الجامعة الإسلامية _ غزة
عمادة الدِّراسات العُلْيا
كُلِيَّة أُصُول الدِّين
قِسْم العقيدة والمَذاهب المُعَاصِرة



خصائص أُمَّة محمد ﷺ

دِرَاسة عقائدية تحليلية

إعداد الطالب

نايف هشام نايف أبوشمالة

بإشراف الدكتور

سعد عبد الله حسان عاشور

قُدِّمت هذه الرِّسالة استكمالاً لِمُتَطلَّبات الحُصُول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المُعَاصرة

١٤٣٢ هـ _ ٢٠١١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

(آل عمران ١١٠)



إهداء

إلى فلسطين المُباركة، صانعة المُجاهدين والعُظَماء، وقاهرة المَلاحِدة والجبابرة ...

إلى أرواح الشهداء والعلماء مِنَ الأُمَّة الإسلامية، الذين قَدَّموا أَغْلى ما يَمْلكون مِنْ أَجْل رِسالة الدِّين الإسلامي الخالد؛ حتى تَنْعم البَشَرِيَّة بِنُوره وعَدْله وسَمَاحته ...

إلى والديَّ الأعزاء، الذَيْن عجزَت الكلمات عن مَدْح ما قَدَّموه منْ أَجْلي ...

إلى زَوْجتي العزيزة، التي حَمَلت معي هَمَّ هذا المشوار العِلْمي ...

إلى كُلِّ مُوَحِّد على وَجْه الأرض، رَضِيَ بالله رَبَّاً، وبالإسلام دِيناً، وبِمحمد رسولاً ...

وإلى كُلِّ باحثٍ عن الحق، بِتَجَرُّد وبِلا تَعَصُّب، أُهْدي هذا البحث العِلْمي النافع، سائلاً المَوْلى ﷻ أنْ يُسَدِّدْ ما فيه، وأنْ يَكْتُب لي فيه التَّوْفيق، وأنْ يجعله نَفْعاً للإسلام والمسلمين .

شكر وتقدير

الشُّكْر كُلُّه لله ﷻ القائل في مُحْكم تَنْزيله: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم ٧)، نَشْكُرُه ﷻ علـى نِعَمِـه علينـا التـي لا تُعَـدُّ ولا تُحْصى، ونحن نَتَقلَّب فيها ليلاً ونهاراً .

وقد أَمَرنا نَبيُّنا محمد ﷺ أنْ نَشْكر كُلَّ مَنْ أَسْدى لنا مَعْروفاً مِنَ البَشَر، وذلك بِقَوْلـه ﷺ: **(مَنْ لا يَشْكر الناس، لا يَشْكر الله)**[١] .

لذلك فإني أَتَقَدَّم بالشُّكْر والتَّقْدير لِوَالديَّ الأعزاء على ما بَذَلوه مِنْ أَجْلي، فَهُما أَحَقُّ الناس بالشُّكْر والتَّقْدير .

والشُّكر مَوْصول للدكتور الفاضل: سعد عبد الله عاشور، الـذي أَشْـرف علـى كِتابـة هذا البحث، دون أنْ يَتَأَخَّر عن تقديم ما يَلْزمني مِنَ العَوْن والمساعدة، مُزَوِّداً لي بالإرشـادات والتعليمات التي كانت تفيدني كثيراً في كِتابة هذا البحث .

كما وأَتَقَدَّم بالشُّكْر الجَزيل لأعضاء لجنة المُناقشة الذين قَدَّموا لي منْ أَوْقاتهم ما يَكْفـي؛ لِمُطالعة هذا البحث وتَقْويمه، إتماماً لِفائدته، وهُمْ:

- فَضيلة الدكتور: يحيى علي الدجني حفظه الله .
- فَضيلة الدكتور: عماد الدين عبد الله الشنطي حفظه الله .

وأَتَوَجَّه بالشُّكْر والتَّقدير للجامعـة الإسـلامية والعـاملين فيهـا، وأَخُـصُّ بالشُّـكْر: قِسْم الدِّراسات العُلْيا، وكُلِّيَّة أُصول الدِّين .

وكذلك أَتَوَجَّه بالشُّكْر لِزَوْجتي العزيزة التي أعانتني على حَمْـل الأعبـاء والمسـؤوليات

---

(١) الجامع الكبير ٣٣٩/٤ – أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي – ت: د. بشـار عـواد معـروف – كتاب البر والصلة – باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك – حديث رقم ١٩٥٤ – وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح – ط ٢ – ١٩٩٨م – دار الجيـل – بيـروت / دار العـرب الإسـلامي – بيروت .

المُلْقاة على عاتقي .

والشُّكْر أيضاً لِكُلِّ مَنْ أعان وأَسْهم في إنجاح هذا البحث، وإيصـــاله لِغايتـــه المَنْشـــودة، وكذلك فإني أَشْكُر كُلْ مَنْ كان له حَقٌّ عليْ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رَبِّ العالمين، الذي خَضَعَ لِعِزَّته كُل شئ، وخَضَعَت لِعَظَمته كُل المَخْلوقات، والصلاة والسلام على سَيِّد المُرْسلين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصَحْبه أَجْمعين، جعله الله نَبيَّ رَحْمة للعالمين، وجعل أُمَّته خير الأُمَمْ وأَوْسطها، تَكْريماً وتَشْريفاً له ﷺ .

فقد خاطب الله ﷻ أُمَّة محمد ﷺ بقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران ١١٠)، وقال أيضاً: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة ١٤٣) .

فَكَما أنَّ نَبيَّنا محمداً ﷺ هو خير الأنبياء عليهم السلام، فإنَّ أُمَّته هي خير الأُمَمْ وأَوْسَطها عند الله ﷻ .

وقد كان نَبيُّنا ﷺ رحيماً بأُمَّته، وكانت دائماً هي هَمُّه الأكبر في الدنيا والآخرة، ومِمَّا يَدُلُّ على ذلك، قوله ﷺ: **(لِكُلِّ نبي دَعْوة مُسْتجابة، فَتَعجَّل كُلُّ نبي دَعْوته، وإني اختبأتُ دَعْوتي شَفَاعة لِأُمَّتي يوم القيامة، فهي نائلة إنْ شاء الله مَنْ مات مِنْ أُمَّتي لا يُشْرك بالله شيئاً)**[1] .

ولا شك أنَّ الله ﷻ لَمْ ولن يُخَيِّب أَمَل نَبيِّه ﷺ في أُمَّته في الدنيا والآخرة .

فهناك الكثير مِنَ النُّصُوص الشرعية التي تواترت لِتُؤكد على فَضْل هذه الأُمَّة، وخَيْريَّتِها على الأُمَمْ والناس أَجْمَعين، وما لها مِنْ خصائص انفردت بها عن الأُمَمْ الأخرى، وذلك تَكْريماً وتَشْريفاً مِنَ الله ﷻ لِنَبيِّه محمد ﷺ .

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(أُعْطِيْت ما لمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الأَنبياء،** فقلنا يا رسول الله: ما هو؟ قال: **نُصِرت بالرُّعْب، وأُعْطِيْت مفاتيح الأَرض،**

---

(١) صحيح مسلم ١٨٩/١ – مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري – ت: محمد فؤاد عبد الباقي – كتاب الإيمان – باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأُمَّته – حديث رقم ١٩٩ – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

وسُمِّيت أحمد، وجُعِل التُّراب لي طَهُوراً، وجُعِلت أُمَّتي خير الأُمَمْ)[1] .

وقد أُوتيَ ﷺ ليلة أُسْرِيَ به بِقَدحَيْن مِنْ خَمْر ولَبَن، فَنَظر إليهما، ثَمَّ أَخَذ اللَّبَن، فقال جبريل عليه السلام: **(الحمد لله الذي هداك لِلْفِطْرة، ولو أَخَذْتَ الخَمْر، غَوَتْ أُمَّتك)**[2] .

فالحمد لله الذي جَعَل أُمَّة محمد ﷺ خير الأُمَمْ، وجعلها على هَدْي نَبيِّها ﷺ .

وحَرِيٌّ بِنَا كَطَلَبة عِلْم ودُعاة، أنْ نُؤكد على ما أَكَّد عليه القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة، وأنْ نتناول هذه النُّصوص الشرعية بالفَهْم والتأمل والتحليل الدقيق، واستخراج الفوائد منها .

وتَجْدُر الإشارة إلى أنَّ خصائص أُمَّة محمد ﷺ قد ذُكِرتْ بِشَكْل مُتَفرِّق ومُتَناثر في كُتُب أَهْل العِلْم، لذلك فإني أَتَطلَّع للقيام بِجَمْع هذه الخصائص، مع الاعتناء بها جَمْعاً وتَرْتيباً وشَرْحاً وتَحْليلاً، في بَحْث واحد مُسْتقل، بإسم : (خصائص أُمَّة محمد ﷺ) .

❖ <u>أهمية المَوْضوع وأسباب اختياره:</u>

تبْرُز أهمية هذا البحث ودوافع اختياره فيما يلي:-

١ـ التَّأكيد على خَيْرِيَّة ما هو خير عند الله، والتَّأكيد على قباحة ما قَبَّحه الله ﷻ .

٢ـ معرفة نِعَم الله علينا كأُمَّة إسلامية وَوُجُوب شُكْره ﷻ عليها .

٣ـ معرفة ما لنا وما علينا مِنْ حُقُوق وواجبات كأُمَّة إسلامية مُبَاركة .

٤ـ معرفة أسباب كَوْننا خَيْر أُمَّة أُخْرجت للناس، حتى نَتمثلها على الدَّوام .

٥ـ معرفة مصادر قُوَّتنا كأُمَّة إسلامية، والتَّحذير مِنَ الأخطاء والتَّجاوزات التي وَقَعَتْ فيها الأُمَمْ السابقة، والبُعْد عن كُل ما يَضُر بهذه الأُمَّة في الدنيا والآخرة .

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٩٨/١ – من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم ٧٦٣ – مؤسسة قرطبة – مصر، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ٣٠٤/٦ – أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي – ت: كمال يوسف الحوت – من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم ٣١٦٤٧ – ط ١ – مكتبة الرشد – الرياض – ١٤٠٩هـ، سنن البيهقي الكبرى ٢١٣/١ – أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي – ت: محمد عبد القادر عطا – كتاب الطهارة – باب الدليل على أن الصعيد الطيب هو التراب – حديث رقم ٩٦٥ – مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، وصححه محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في كتاب: (إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل – ط ٢ – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م – المكتب الإسلامي – بيروت – ٣١٧/١) .

(٢) الجامع الصحيح المختصر ٢١١٩/٥ – محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – ت: مصطفى ديب البُغا – ٧٧ كتاب الأشربة – مقدمة الجزء الخامس – حديث رقم٥٢٥٤ – ط ٣ – دار ابن كثير – اليمامة – بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

❖ **منهج البحث :**

اتَّبعتُ في كِتابــة هــذا البحــث المَــنْهج الوَصْــفي التَّحْليلــي، القــائم علــى جَمْــع المعلومات، ودِرَاستها وتَحْليلها .

❖ **عَمَلي في البحث:**

١ـ عَزْو الآيات القُرْآنية إلى سُوَرِها، مع ذِكْر أرقام هذه الآيات .

٢ـ تَخْريج الأحاديث النَّبَوِيَّة الشريفة مِنْ أُصُولها، مع نَقْل حُكْم العُلَمــاء عليهــا صِــحَّةً وضَعْفاً، ما لم يَكُنْ في الصحيحين، وقد ذَكرتُ في توثيق التخريج رقم الجزء والصفحة بعد اسم الكِتاب مباشرة، ورَمَزْتُ بحرف (ت) لاسم المُحقِّقْ في توثيق جميــع المصــادر والمراجــع، وفي حالة التطابق بين المصدر والذي يليه في الحاشية، يتم التعبير عن المصدر التالي بِعِبــارة: (المَصْدر السابق)، مع ذِكْر رقم الجزء والصفحة فقط إذا كان اختلاف فيهما بين المَصْدرين .

.

٣ـ عَزْو النُّصُوص والمَعْلومات إلى مصادرها الأَصْلِيَّة .

٤ـ التَّرْجمة للأعلام المَغْمُورين .

٥ـ عَمَل فَهَارس خاصــة للمصــادر والمَرَاجــع، بالترتيــب الأبجــدي التصــاعدي، وقد وَضَعت كذلك فَهَارس الآيات والأحاديث والمَوْضوعات .

❖ **الدِّراسات السابقة:**

- غاية السول في خصائص الرسول ﷺ – أبو حفــص عمــر بــن علــي الأنصــاري الشهير بابن الملقن – ت: عبد الله بحــر الــدين عبــد الله – دار البشــائر الإســلامية – بيروت – ١٤١٤هــ – ١٩٩٣م .
- القــول الأحمــد فــي خصــائص أُمَّــة محمــد ﷺ – حــاي بــن ســالم الحــاي – مكتبة النفائس – الكويت – ط ١ – ١٤١١هــ .
- خصائص الشريعة الإسلامية / د. عمر سليمان الأشقر .
- عقيدة أَهْل السُّــنَّة والجَمَاعــة(مفهومهــا _ خصائصــها _ خصــائص أَهْلهــا) / د. محمد بن إبراهيم الحمد .
- خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء – الصــادق بــن محمــد بــن إبــراهيم – رسالة ماجستير – بإشراف د. علي بــن عبــد الــرحمن الحــذيفي / قســم العقيــدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة – ١٤١٥هــ .

وقد تميَّزت هذه الدِّراسات بتسليط الضوء على الخصائص الحميدة لرسول الله محمد ﷺ وأُمَّته، وذلك مِنْ جوانب عديدة، كالتشريع والأخلاق والمعاملات ... إلخ .

وقد تميَّزت هذه الدِّراسات أيضاً بقوة الأسلوب والتعبير، والبحث المُعمَّق، على طريقة السلف الصالح ﷺ .

ودِرَاستنا تَتَميَّز عن هذه الدِّراسات بِأَنَّها سَتُسَلِّطُ الضُّوء على خصائص أُمَّة محمد ﷺ ، وما يُمَيِّزها عن الأُمَمْ الأُخْرى، ومكانتها عند الله ﷻ في الدُّنيا والآخرة، بما لها مِنْ فضائل ضَلَّت عنها الأُمَمْ الأُخرى .

فهذه الدِّراسة تُضِيف العديد منَ العناوين الرئيسية المُسْتنبطة مِنَ الكِتاب والسُّنَّة، بأسلوب عِلْمي سهل ومُيسَّر، كما سيتبين ذلك بإذنه ﷻ .

❖ **خُطَّة البحث**

اشْتَملتْ خُطَّة البحث على: مُقَدمة، وتَمْهيد، وأربعة فُصُول، وخاتمة، وفهارس، وذلك على النحو التالي:

- **المقدمة**

واشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهج البحث فيه، والدراسات السابقة .

- **تمهيد**

وقد خَصَّصْته لِتَوْضيح النِّقَاط التالية :

أَوَّلاً: التعريف بِمُصطلحات البحث .

ثانياً: مدى الاتفاق والاختلاف بين الرِّسالات السَّماوية .

الفصل الأول

خصائص أُمَّة محمد ﷺ فيما يتعلق برسالتها

(وفيه ثلاثة مباحث):

- **المبحث الأول:** محمد ﷺ المَبْعوث في أُمَّته هو خاتم النَّبِيِّين عليهم السلام .

المطلب الأول: النُّصُوص الدَّالَّة على خَتْم النُّبُوَّة بِرَسول الله محمد ﷺ، وَوُجُوب الاعتقاد الجازم بذلك .

المطلب الثاني: نُزُول عيسى عليه السلام، وعَدَم تَعَارضه مع خَتْم النُّبُوَّة .

- **المبحث الثاني:** عُمُوم بِعْثة نبي هذه الأُمَّة محمد ﷺ .

المطلب الأول: الأَدِلَّة على عُمُوم بِعْثة رسول الله محمد ﷺ، وَوُجُوب الإيمان بذلك .

المطلب الثاني: عُموم البِعْثة النَّبوية تَشْمل عالَم الجِنْ .

المطلب الثالث: بُلُوغ دِين رسول الله محمد ﷺ مشارق الأرض ومغاربها .

- **المبحث الثالث:** الإسلام هو الدِّين المُعْتمد عند الله ﷻ .

المطلب الأول: شَرِيعة رسول الله محمد ﷺ ناسخة للشرائع السابقة، وخاتمة لها .

المطلب الثاني: القُرآن الكريم ناسخ وخاتم لِلْكُتُب السَّماوِيَّة السَّابقة .

الفصل الثاني

هِدَاية أُمَّة محمد ﷺ لِفَضَائل غَفَلَتْ عنها الأُمَمْ السابقة

(وفيه مبحثان):

المبحث الأول: أُمَّة محمد ﷺ اهتدت لِفَضائل ضَلَّتْ عنها الأُمَمْ السابقة .

المطلب الأول: المَسْجد الحَرَام قِبْلة أُمَّة محمد ﷺ ، ويوم الجُمُعة سيِّدُ أَيَّامها .

المطلب الثاني: اليَهُود يَحْسدون أُمَّة محمد ﷺ على أُمُور لَمْ تَكُنْ فيهم .

المطلب الثالث: هِداية أُمَّة محمد ﷺ للأمر بالمَعْروف والنَّهي عن المُنْكَر .

المبحث الثاني: تَمَيُّز أُمَّة محمد ﷺ في رِوَاياتها بالسَّنَد .

المطلب الأول: مَنْزِلة السَّنَد في دِين أُمَّة محمد ﷺ .

المطلب الثاني: مَكَانــة القُــرآن الكــريم مِــنْ حيــث قواعــد الإسْــناد الصــحيحة، وسلامته مِنَ التَّحْريف .

المطلب الثالث: مكانــة السُّــنَّة النَّبَويَّــة مِــنْ حيــث قواعــد الإســناد الصــحيحة، وحِفْظِها مِنَ الضَّيَاع .

المطلب الرابع: مصادر ورِجَال اليَهُود والنَّصارى بين الإثبات والنَّفي .

الفصل الثالث

صِفَات في الدُّنيا تَمَيَّزتْ بها أُمَّة محمد ﷺ

(وفيه ثلاثة مباحث):

المبحث الأول: أُمَّة محمد ﷺ أُمَّة مَعْصُومة .

المطلب الأول: عِصْمَة أُمَّة محمد ﷺ مِنَ الإجماع على ضَلَالة .

المطلــب الثــاني: عِصْــمة أُمَّــة محمــد ﷺ مِــنْ سِــنَة عامَّــة تَأْخُــذها، أو إبادة على يَدِ أَعْدائها .

المبحث الثاني: أُمَّة محمد ﷺ أُمَّة مَرْحومة .

المطلب الأول: رَفْع الخطأ والنِّسْيان عن أُمَّة محمد ﷺ .

المطلــب الثــاني: رَفْــع الحَــرَج عــن أُمَّــة محمــد ﷺ فيمــا يتعلــق بــالإكْرَاه، وحديث النَّفْس .

المطلب الثالث: حِماية أُمَّة محمد ﷺ منْ خطر الكُهَّان .

المبحث الثالث: أُمَّة محمد ﷺ أُمَّة ناصِرَة مَنْصُورة .

المطلب الأول: أُمَّة محمد ﷺ ناصِرَة لِنَبِيِّها .

المطلب الثاني: انْتِصَار أُمَّة محمد ﷺ غير مَنُوط بالعَدَد والعُدَّة .

الفصل الرابع

خصائص أُمَّة محمد ﷺ فيما يتعلق باليوم الآخر

(وفيه مبحثان):

المبحث الأول: وَسَطِيَّة أُمَّة محمد ﷺ ومالها مِنَ الشفاعة، وكَوْنها شاهِدَة على الأُمَمْ الأُخرى .

المطلب الأول : وَسَطِيَّة أُمَّة محمد ﷺ .

المطلب الثاني : أُمَّة محمد ﷺ شاهدة على الأُمَمْ الأُخْرى .

المطلب الثالث : الشَّفاعة مِمَّا تَمَيَّزتْ به أُمَّة محمد ﷺ في اليوم الآخر .

المبحث الثاني: خصائص أُمَّة محمد ﷺ عَبْر مَرَاحل اليوم الآخر.

المطلب الأول: خصائص أُمَّة محمد ﷺ أَثْناء علَامات السَّاعة الكُبْرى .

المطلب الثاني : خصائص أُمَّة محمد ﷺ مِنْ حين ساعة الحِسَاب إلى نِهاية مَرْحلة الحَوْض .

المطلب الثالث: خصائص أُمَّة محمد ﷺ مِنْ نِهاية مَرْحلة الحَوْض إلى آخر مَرْحلة مِنَ اليوم الآخر .

- **الخاتمة:**

وقد اشْتَملتْ على أَهَم النَّتائج والتَّوْصِيَات التي تَوَصَّلْتُ إليها .

وما كان مِنْ صواب في هذا البحث فَمِنَ الله ﷻ، وما كان فيه مِنْ خطأ فَمِنْ نَفْسي والشيطان، والله المُسْتعان، وعليه التُّكْلان .

الطالب/ نايف هشام أبو شمالة

تمهيد

وهو يتكون مِنْ شِقَيْن، وذلك على النحو التالي:

أولاً: التعريف بِمُصْطلحات البحث .

سَيَتِم في هذا المَوْضِع تناوُلْ مُفْردات عنوان البحث بالشرح والتَّحليل، وذلك على النحو التالي:

١ـ المعنى اللغوي لكلمة (**خصائص**): وهي جَمْع خِصِّيصة، والخِصِّيصة: الصفة التي تُمَيِّز الشيء وتُحَدِّدُه، وهي تشمل أيضاً الاصطفاء والاختيار والانفراد بالشئ[١] .

وفي الاصطلاح: يُقال: إنَّ لله ضَنَائن، أي: خصائص[٢]، وقد وَرَدَ هذا المعنى بقوله ﷺ: **(أَقُوم عن يمين العرش، ليس أَحَد مِنَ الخلائق يَقُوم ذلك المَقَام غَيْرِي)**[٣]، أي: " هذه خصيصة شَرَّفني الله بها "[٤] .

٢ـ **أُمَّة**: الجماعة، وكُلُّ جِنْسٍ مِنَ الحيوان أُمَّة، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ (الأنعام ٣٨) .

وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ (آل عمران ١١٠)، أي كُنْتم خير أَهْل دِين، وأُمَّة الله هُمْ خَلْقه[٥] .

---

(١) **انظر**: المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى، وآخرون – ت: مجمع اللغة العربية – دار الدعوة – ٢٣٨/١ .

(٢) **انظر**: غريب الحديث – أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي – ت: عبد المعطي أمين القلعجي – ط ١ – دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م – ٢٠/٢ .

(٣) سنن الترمذي ٥٨٥/٥ – كتاب المناقب – باب في فضل النبي ﷺ – حديث رقم ٣٦١١ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب .

(٤) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي – محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا – دار الكتب العلمية – بيروت – ٥٧/١٠ .

(٥) **انظر**: مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي – ت: محمود خاطر – ط ١ – مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م – ١٠/١، لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري – ط ١ – دار صادر – بيروت – ٢٨/١٢ .

وتَجْدُر الإشارة إلى أنَّ كلمة (أُمَّة) تَحْمل عِدَّة معاني، أَوْردنا مِنْها ما يَمَسْ عنوان البحث بشَكلٍ مُباشر .

ثانياً: مدى الاتفاق والاختلاف بين الرِّسالات السَّماوية .

إنَّ دِراسة مَوْضوع خصائص أُمَّة محمد ﷺ لا يعني أنَّ الرِّسالات السَّماوية تختلف عن بعضها جُمْلةً تفصيلاً، فهي مُتَّفقة في الدَّعوة إلى توحيد الله ﷻ ودِين الإسلام، وهذا هو الأصل الثابت الذي تَقُوم عليه الرِّسالات السَّماوية، وتنطلق مِنْه، فالاختلاف بين الرِّسالات السَّماوية هو في الفروع لا في الأُصُول، وقد دَلَّ على ذلك القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، ومِنْ ذلك:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء ٢٥) .

في الآية الكريمة دلالة قوية على إثبات أنَّ كافة الأنبياء عليهم السلام قد بُعِثوا بالتوحيد والإسلام، فدَعوتهم عليهم السلام مُوَحدة فيما بينهم .

وفي الآية جُمْلة خبرية، بمعنى: " أَرْسلت الرُّسل بالإخلاص والتوحيد لله ﷻ، فلا يُقْبَل مِنَ العِبَاد عَمَل حتى يقولوه، ويُقِرُّوا به، والشرائع تختلف، في التَّوْراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة "[1] .

" فالرُّسل عليهم السلام والكُتُب كُلُّها مُتَّفِقة على الأمر بإخلاص الدِّين لله ﷻ "[2]، " والإسلام هو مِلَّة الأنبياء عليهم السلام قاطبة، وإنْ تنوعت شرائعهم واختلفت مناهجهم "[3]؛ فالرُّسُل عليهم السلام مُتَّفقون في الدِّين الجامع للأصول الاعتقادية والعِلْمية[4] .

٢ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران ١٩) .

في الآية " إخْبارٌ مِنْه ﷻ بأنَّه لا دِين عِنْده يَقْبله مِنْ أَحَد، سِوَى الإسلام،

---

(١) الدر المنثور – عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي – دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣م – ٦٢٤/٥ بتصرف يسير .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ت: محمد بن صالح بن عثيمين – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م – ٦٩١/١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء – دار الفكر – بيروت – ١٤٠١هـ – ١٨٧/١ .

(٤) **انظر:** كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس – ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي – ط ٢ – مكتبة ابن تيمية – ١٥٩/١٥ .

وهو اتباع الرُّسُل فيما بَعَثَهم الله به في كُلِّ حين، حتى خُتِموا بمحمد ﷺ، الذي سَدَّ جميع الطُّرُق إليه _ أي إلى الله ﷻ _ إلاَّ مِنْ جهة محمد ﷺ، فَمَنْ لقيَ الله بَعْد بِعْثة محمد ﷺ، بدِين على غير شريعته فليْس بمُتَقَبَّل "[1].

و" الأنبياء عليهم السلام عَبِيد مُكَرَّمون، اصطفاهم الله وأَكْرمهم بالرِّسالة، ووَصَفهم بالعُبُودية، دِينهم الإسلام، ولا يَقْبل الله دِيناً سِواه ... اتفقت رِسالاتهم عليهم السلام في أُصُولها، وتَنَوَّعت شرائعهم ... وخاتمة هذه الشرائع شريعة رسول الله محمد ﷺ، وهي ناسخة لِكُلِّ شريعة سابقة، وأنَّ رسالته ﷺ خاتمة الرِّسالات، وهو خاتم المُرْسلين عليهم السلام "[2].

وسَيَتِم التفصيل في هذه المسألة لاحقاً بإذنه تعالى .

٣ـ قال رسول الله ﷺ: (**الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ**[3]، **أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، ودِينُهُمْ واحِدٌ**)[4] .

قوله ﷺ: (**ودِينُهُمْ واحِدٌ**)، أي: " أَصْل دِينهم واحد، وهو التوحيد، وفُروع شرائعهم مختلفة "[5] .

وفي الحديث الشريف تشبيه " المقصود مِنْ بِعْثة جُمْلة الأنبياء عليهم السلام وهو إرشاد الخَلْق، بالأب، وشَبَّه شرائعهم المُتَفاوتة في الصورة بِأُمَّهات .

قال القاضي رحمه الله: والحاصل أنَّ الغاية القُصْوى مِنْ البِعْثة التي بُعِثوا جميعاً لأجلِها: دعوة الخَلْق إلى معرفة الحق، وإرشادهم إلى ما به يَنْتظم معاشهم ويحسن

---

(١) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٣٥٥/١ بتصرف يسير .

(٢) الإسلام أصوله ومبادئه – محمد بن عبد الله بن صالح السحيم – ط ١ – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية –١٤٢١هـ – ص١٩٠ .

(٣) **عَلات:** بفتح المهملة الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عَلَّ منها، والعَلَلْ الشرب بعد الشرب، وأولاد العلات الأخوة من الأب وأمهاتهم شتى . (فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – ت: محب الدين الخطيب – دار المعرفة – بيروت – ٤٨٩/٦) .

(٤) صحيح البخاري ١٢٧٠/٣ – كتاب الأنبياء – ٤٩ باب ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (مريم ١٦) – حديث رقم ٣٢٥٩ .

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير – عبد الرؤوف المناوي– ط ١ – المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ١٣٥٦هـ – ٤٧/٣، **وانظر:** صحيح مسلم بشرح النووي – أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي – ط ٢ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٣٩٢هـ – ١٢٠/١٥ .

معـــادهم، فَهُـــمْ مُتَّفِقـــون فـــي هـــذا الأصـــل وإنْ اختلفـــوا فـــي تفـــاريع الشـــرائع، فَعَبَّر عَمَّا هو الأصل المُشْترك بين الكُلْ بالأب ونَسَـبهم إليـه، وعَبَّـر عَمَّـا يختلفـون فيـه مِـنَ الأحكـام والشـرائع المُتَفاوتـة بالصُّـوَر المُتَقاربـة فـي الغَـرَض بالأُمَّهـات، وأَنَّهم وإنْ تباينت أَعْصارهم وتباعدت أعوامهم، فالأصل الـذي هـو السـبب فـي إخـراجهم وإبرازهم كُلٌّ في عَصْره واحد، وهو الدِّين الحـق، الـذي فُطِـر النـاس مُسْـتعدين لِقبولـه، مُتَمكنين مِنَ الوقوف عليه والتمسك به، فعلى هذا المُراد بالأُمَّهـات الأزمنـة التـي اشـتملت عليهم _ أي الأنبياء عليهم السلام _ "[١] .

٤ـ قـال رسـول الله ﷺ: **(إن مَثَلي ومَثَل الأنبياء مِنْ قَبْلي، كمثل رَجُل بنى بيتاً، فأَحْسَنه وأَجْمله، إلَّا مَوْضع لَبِنَة مِنْ زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هَلَّا وُضعت هذه اللَّبِنَة، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النَّبيين)**[٢] .

إنَّ تشبيه الأنبياء عليهم السلام باللَّبِنات لِلْبِنَاء الواحد، فيـه دلالـة صـريحة علـى أنَّ دعـوتهم واحدة ودِينهم واحد عليهم السلام كما سبق توضيح ذلك .

والحديث يَحْمل العديد مِنَ الدُّروس والأحكـام الشـرعية، وسـيتم التفصـيل فيـه لاحقـاً في مَوْضعه بإذنه تعالى .

---

(١) فيض القدير – عبد الرؤوف المناوي – ٤٧/٣، **وانظر:** فتح الباري – ابن حجر – ٤٨٩/٦ .

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٣٠٠ – كتاب المناقب – ٦ باب خاتم النبيين ﷺ – حديث رقم ٣٣٤٢ واللفـظ له، صحيح مسـلم ٤/ ١٧٩٠ – كتـاب الفضـائل – ٧ بـاب ذكـر كونـه ﷺ خـاتم النبيـين – حديث رقم ٢٢٨٦ .

الفصل الأول

خصائص أُمَّة محمد ﷺ فيما يتعلق بِرِسالتها

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: محمد ﷺ المَبْعوث في أُمَّته هو خاتم النَّبِيِّين عليه السلام .**

- **المبحث الثاني: عُمُوم بِعْثة نبي هذه الأُمَّة محمد ﷺ .**

- **المبحث الثالث: الإسلام هو الدِّين المقبول عند الله ﷻ .**

المبحث الأول

محمد ﷺ المَبْعوث في أُمَّته هو خاتم النَّبيين عليهم السلام

وفيه مطلبان:

_ المطلب الأول: النُّصُوص الدَّالة على خَتْم النُّبُوَّة بمحمد ﷺ، ووجوب الاعتقاد الجازم بذلك .

_ المطلب الثاني: نُزُول عيسى عليه السلام، وعدم تعارضه مع خَتْم النُّبوة .

المطلب الأول

النُّصُوص الدَّالة على خَتْم النُّبُوَّة بمحمد ﷺ، وَوُجُوب الاعتقاد الجازم بذلك

في هذا الموضوع العديد مِنَ الأدلَّة الشَّرْعية بِمَا تَحْمله مِنْ معاني، تُثْبت أنَّ النُّبُوَّة قد خُتِمت وأُغْلق بابها بِبِعْثَة محمد ﷺ رسولاً، وتُؤكد على وجوب الاعْتقاد بذلك يقيناً بلا شك ولا رِيبَة، وما سوى ذلك فَغَيٌّ وضلال، فإنَّ كُل مَنْ تَلَقَّى عَقيدته بِلا هُدىً مِنَ الكِتاب والسُّنَّة بِفَهم السَّلَف الصالح، انْحَرف وزلَّت قَدَمه عن الصِّراط المستقيم، فالأَمْر عظيم وليس بالهَيِّن، فإن عقيدة خَتْم النبوة بمحمد ﷺ، لها قَدْر عظيم، ومكانة عالية في دِيننا الحَنيف، وقد دلَّ على ذلك النُّصوص الكثيرة منَ الكِتاب والسُّنَّة النَّبويَّة .

أوَّلاَ: أَدِلَّــة خَتْــم النُّبُــوَّة بِبِعْثَتــه ﷺ

١ـ الأَدِلَّة مِنَ القرآن الكريم:

أـ قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ (الأحزاب٤٠) .

ذَكَر أَهْل العِلْم ما يُفَسِّر هذه الآية ، فقد " قرأ الجمهــور _ كلمــة خــاتم _ بِكَسْــر التــاء، وقُرِأت بِفَتحها، ومعنى الأولى: أنه ختمهم، أي: جاء آخــرهم، ومعنـــى الثانيـــة: أنَّـــه صـــار كالخاتم لهم، الذي يَخْتمون به ويَتَزيَّنــون بِكَوْنـــه مِـــنْهم، قـــال أبوعبيـــدة: الوَجْـــه الكســـر؛ لأنَّ التَّأويـــل أنَّـــه خَـــتَمهم فهـــو خـــاتِمُهم ... وخـــاتم الشـــئ آخـــره، وقـــال الحســـن: الخاتِم هو الذي خُتِمَ به، والمعنى: خَتَم الله به النُّبُوَّة، فلا نُبُوَّة بعده ولا معه "[١] .

إنَّ هـــذا المعنـــى متطـــابق إلـــى حـــدٍّ بعيـــد مـــع المعنـــى اللغـــوي الـــذي ذكرنـــاه لـــكلمة الــ(خَتْم)، مِمَّا يزيدها وُضُوحاً، وقوة في التعبير .

إنَّ الله ﷻ حِكْمة جليلة في كَوْنه لمْ يَرْزق نَبيَّه محمداً ﷺ بِوَلَـــدٍ ذَكَـــر؛ أَلَـــا وهـــي إزالـــة

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي – محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا – دار الكتب العلمية – بيروت – ٥١/٩ .

أي شُبْهة تُوْهِم بِمَجِئ نبي بعد نَبِيِّنا محمد ﷺ[1] .

وذَكَر ابن كثير رحمه الله ما نَصُّه: " هذه الآية نَصٌّ في أنَّه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأَوْلى والأَحْرى؛ لأنَّ مَقَام الرِّسالة أَخَصُّ مِنْ مَقَام النُّبُوَّة؛ فإنَّ كُلَّ رسول نبي ولا يَنْعكس "[2] .

ثُمَّ يَخْتِم كلامه رحمه الله قائلاً: " فَمِنْ رحمة الله ﷻ بالعِبَاد إرسال محمد ﷺ إليهم، ثُمَّ مِنْ تَشْريفه لهم خَتْم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام به، وإكْمال الدِّين الحَنيف له، وقد أَخْبر الله ﷻ في كِتابه وكذلك رسوله ﷺ في السُّنَّة المُتَواترة عنه أَنَّه لا نبي بعده؛ لِيَعْلموا أَنَّ كُلَّ مَنْ ادَّعى هذا المَقام بَعْده فهو كَذَّاب أَفَّاك دَجَّال ضال مُضِل، ولو تَحَرَّق وشَعْبَذ[3]وأتى بأنواع السِّحْر والطَّلاسم[4]والنِّيرَنْجِيِّات[5]، فَكُلُّها مُحال وضلال عند أُولي الألباب، كما أَجْرى الله ﷻ على يَد الأَسْوَد العَنْسي باليمن، ومُسَيْلمة الكَذَّاب باليمامة، مِنَ الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما عُلِم لِكُلِّ ذي لُب وفهم وحُجى أَنَّهما كاذبان ضالان، لَعَنَهما الله، وكذلك كُلُّ مُدَّعٍ لذلك إلى يوم القيامة "[6] .

ب- قوله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة ٣) .

تَدُلُّ هذه الآية الكريمة على كمال دِين الإسلام، وتمام النِّعْمة مِنَ الله ﷻ بِبِعْثة نَبيِّه محمد ﷺ، الذي أدى الأمانة، وبَلَّغ الرِّسالة على الوجه الأكمل دون نقص ولا تبديل

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي – محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا – دار الكتب العلمية – بيروت – ٥١/٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٤٩٤/٣ .

(٣) **شَعْبذ:** من (شَعْبَذة) وهي مهرٌ في الاحتيال، وأرى الشئ على غير حقيقته مُعْتمداً على خِداع الحواس، وزين الباطل للإيهام أنه حق فهو مُشَعبذ . (المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى، وآخرون – ت: مجمع اللغة العربية – دار الدعوة – ٤٨٤/١) .

(٤) **الطَّلاسِم:** جمع: طَلْسم _ في علم السحر _ ، وهي خطوط وأعداد يَزْعُم كاتبها أنه يربط بها رَوْحانيات الكواكب العُلوية بالطبائع السُفلية لجلب محبوب أو دفع أذى، وهو لفظ يوناني لكل ما هو غامض مبهم كالألغاز والأحاجي، والشائع على الألسنة: طلسم كجعفر، ويقال: فك طلسمه أو طلاسمه: أي وضحه وفسره . (المصدر السابق ٥٦٢/٢) .

(٥) **النِّيرَنجيِّات:** هو التَشْبيه والتلْبيس . (تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى الحسيني الزبيدي – ت: مجموعة من المحققين – دار الهداية – ٢٣٦/٦ بتصرف) .

(٦) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٤٩٥/٣ .

ولا تحريف، لذلك فهو خاتم النَّبيِّين عليهم السلام .

إنَّ الدِّين عند الله الإسلام، ولن يُقْبل مِنَ الخَلْق سواه دِيناً، " هذه أكبر نِعَمْ الله ﷻ على هذه الأُمَّة؛ حيث أَكْمل لهم دِينهم، فلا يحتاجون إلى دِين غيره، ولا إلى نبي غير نَبِيِّهم محمد ﷺ؛ ولهذا جعله الله ﷻ خاتم الأنبياء عليهم السلام، وبَعَثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلَّا ما أَحَلَّه، ولا حرام إلَّا ما حَرَّمه، ولا دِين إلَّا ما شرعه، وكُلُّ شيءٍ أَخْبر به فهو حق وصِدْق لا كَذِب فيه ولا خَلف ... فلمَّا أَكْمل لهم الدِّين، تَمَّتْ عليهم النِّعْمة ولهذا قال ﷻ: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾، أي: فارْضوه أنتم لأنفسكم؛ فإنَّه الدِّين الذي أحبه الله ورضيه، وبَعَث به أفضل الرُّسل الكِرَام عليهم السلام، وأَنْزَل به أَشْرف كُتُبه "[1] .

٢ـ الأَدِلَّة مِنَ السُّنَّة النَّبَويَّة المُطَهَّرة:

أ ـ قال رسول الله ﷺ: **(أنا العاقب، والعاقب: الذي ليس بَعْده نبي)**[2] .

(العاقب) هو اسم مِنْ أسمائه ﷺ كما هو مذكور في الحديث؛ لِمَا يَحْمله مِنْ دلالة: " بأنَّه ﷺ ليس بعده نبي، أي جاء عَقِبَ الأنبياء عليهم السلام .

قال ابن الأعرابي: العاقب والعَقُوب الذي يَخْلف في الخير مَنْ كان قَبْله "[3] .

ب ـ قال رسول الله ﷺ: **(إنه سيكون في أُمتي ثلاثون كذَّابون، كُلُّهم يَزْعم أنَّه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي)**[4] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٢/١٣ .

(٢) صحيح البخاري ٤/١٨٥٨ – كتاب التفسير – ٣٧١ باب تفسير سورة الصف – حديث رقم ٤٦١٤ – ط ٣ – دار بن كثير – اليمامة – بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، صحيح مسلم ٤/١٨٢٨ – كتاب الفضائل – ٣٤ باب في أسمائه ﷺ – حديث رقم ٢٣٥٤ – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي – أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي – ط ٢ – ١٣٩٢هـ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٥/١٠٦ بتصرف يسير .

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٤٩٩ – محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي – ت: أحمد محمد شاكر وآخرون – كتاب الفتن – ٤٣ باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون – حديث رقم ٢٢١٩ بلفظ: (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أُمتي ... الحديث) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح – دار إحياء التراث العربي – بيروت، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ١٦/ ٢٢٠،٢٢١ – محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي – ت: شعيب الأرنؤوط – باب فضل الأُمة – ذكر سؤال المصطفى ﷺ ربه جل وعلا لأُمته بأن لا يُسلط عليهم عدواً من غيرهم – حديث رقم ٧٢٣٨ بنحوه – ط ٢ – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م .

يُبْرِز لنا الحديث الشريف عَلامة مِنْ علامات النُّبوة؛ وذلك لأنَّ النبي ﷺ قد أَخْبرنا بِمَا سَيَقَع مُسْتقبلاً، وذلك أنَّه سَيَخْرج علينا ثلاثون دَجَّالاً، يَدَّعون النُّبوة وهُمْ كاذبون .

فهذه شَهادة للنبي ﷺ، أنَّه بلَّغ الدعوة وأدى الأمانة على أَكْمَل وجه، فإنه لم يَكْتفِ بالدَّعوة إلى الخير والصلاح فحسب، بل إنه حذَّر أيضاً مِنْ كُلِّ ما يُناقِضْهما ويَتَصادم معهما .

ففي الحديث: " القَطْع بتكذيب كُلُّ مُدَّعٍ للنُّبُوَّة بَعْده ﷺ دون نَظَر أو تَأَمُّل، وهذا مِنْ أَبْرز ثمرات الإيمان بعقيدة خَتْم النُّبوة، التي تَحْصل بها العِصْمة للأُمَّة مِنْ اتِّباع مَنْ ادعى النُّبوة مِنَ الدَّجالين الكَذَّابين، ولهذا كان التنبيه على هذا الأمر العظيم هو مِنْ أعظم مقاصد النبي ﷺ في تقريره اعتقاد خَتْم النُّبوة به، وذلك بإخباره عن خروج كذابين ثلاثين في هذه الأُمَّة، كُلُّهم يَدَّعي النُّبوة، ثُمَّ تقريره أَنَّه لا نبي بَعْده؛ تحذيراً للأُمَّة مِنْ تصديقهم واتِّباعهم "[1] .

وبالفعل فقد تَحَقَّق ما أَخْبر به الحديث الشريف، فَخَرَج كثير مِنْ أدعياء النُّبوة قديماً وحديثاً، ولا يُسْتبعد أنْ يَظْهر دَجَّالون آخرون إلى أنْ يَظْهر الدَّجَّال الأَعْوَر الكَذَّاب[2] .

ج- قال رسول الله ﷺ: (**فُضِّلت على الأنبياء بِسِتْ ...** فَذَكَر مِنْها: **و خُتِم بيَ النَّبِيُّون**)[3] .

قوله ﷺ: (**خُتِم بيَ النَّبِيُّون**)، أي: "أُغْلِقَ باب الوَحْي، وقُطِعَ طريق الرسالة وسُدَّ، وجَعَل اسْتِغْنَاء الناس عن الرسل، وإظْهار الدَّعوة بعد تصحيح الحُجَّة وتَكْميل الدِّين، وأمَّا باب الإلْهام فلا يَنْسَد، وهو مَدَدْ يُعِين النُّفُوس الكاملة، فلا يَنْقطع لِدَوام الضَّرورة، وحاجة الشريعة إلى تأكيد وتذكير، وكما أنَّ الناس اسْتَغْنوا عن الرِّسالة والدَّعوة، احتاجوا إلى التَّنْبِيه والتَّذْكير، لاسْتِغْراقهم في الوِسْواس، وانْهِماكهم في الشَّهوات واللَّذَّات، فالله ﷻ أَغْلَق باب الوحي بِحِكْمة وتَجْديد، وفتح الإلْهام برحمته،

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة – نخبة من العلماء – ط ١ – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية – ١٤٢١هـ – ١/٢٥٠ .

(٢) **انظر:** أشراط الساعة – عبد الله بن سليمان الغفيلي – ط ١ – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية – ١٤٢٢هـ – ١/٦٣ .

(٣) صحيح مسلم ١/٣٧١ – ٥ كتاب المساجد ومواضع الصلاة – حديث رقم٥٢٣ .

لُطْفاً مِنْه بِعِباده، فَعُلِم أنَّه ﷺ ليس بَعْده نبي "[1] .

وهذا منْ أبرز خصائصه ﷺ، ومِنْ أبرز المزايا التي فُضِّل بها على الأنبياء عليهم السلام كما هو مَذْكور في الحديث .

د- قال رسول الله ﷺ: **(إن مَثَلي و مَثَل الأنبياء مِنْ قَبْلي كمثل رَجُل بنى بيتاً، فأَحْسَنه وأَجْمله، إلَّا مَوْضع لَبِنَة مِنْ زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هَلَّا وُضعت هذه اللَّبِنَة، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النَّبيين)**[2] .

يَحْرِص الحافظ بن حجر رحمه الله في شرحه للحديث الشريف على إزالة أي لَبْس قد يقع عند البعض في تشبيه الأنبياء عليهم السلام لِبُنْيان الدار أو القَصْر، كما ويُوَضِّح وَجْه الشَّبه القائم بَيْنَهُما، وكذلك الغاية مِنْ هذا التَّشْبيه، بقوله: " قيل: المُشَبَّه به والمُشَبَّه جماعة، فكيف صَحَّ التَّشْبيه؟

جوابه: أَنَّه جَعَل الأنبياء عليهم السلام كَرَجُلٍ واحد؛ لأنَّه لا يَتِمْ ما أراد مِنَ التَّشبيه إلَّا باعتبار الكُلْ، وكذلك الدار، لا تَتَمْ إلَّا باجْتِماع البُنْيان، ويُحْتَمَلْ أنْ يكون مِنَ التَّشْبيه التَمْثيلي، وهو أَنْ يوجد وَصْف مِنْ أَوْصاف المُشَبَّه، ويُشَبَّه بِمِثْله مِنْ أحوال المُشَبَّه به، فكأنَّه شبَّه الأنبياء عليهم السلام وما بُعِثوا به مِنْ إرْشاد الناس، بِبَيْت أُسِّسَتْ قواعده، ورُفِع بُنْيانه، وبَقِيَ مِنْه مَوْضِع به يَتِمُّ صلاح ذلك البيت ...

وفي الحديث ضَرْبُ الأَمْثال؛ للتَّقْريب للأَفْهام، وفَضْل النبي ﷺ على سائر النَّبِيِّين، وأَنَّ الله خَتَمَ به المُرْسَلين، وأَكْمَل به شَرائع الدِّين "[3] .

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير – عبد الرؤوف المناوي – ط ١ – ١٣٥٦هـ – المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ٤٣٨/٤ .

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٣٠٠ – كتاب المناقب – ٦ باب خاتم النبيين ﷺ – حديث رقم ٣٣٤٢ واللفظ له، صحيح مسلم ٤/ ١٧٩٠ – كتاب الفضائل – ٧ باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين – حديث رقم ٢٢٨٦ .

(٣) هدي الساري مقدمة فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥٥٩/٦ – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – ت: محمد فؤاد عبدالباقي/ محب الدين الخطيب – دار المعرفة – بيروت – ١٣٧٩م .

هـ - قال رسول الله ﷺ: **(إني عبد الله، وخاتم النَّبِيِّين، وأبي مُنْجَدِلٌ[1] في طِينته)**[2].

إنَّ هذا الحديث الشريف يَحْمِل العديد مِنْ دلائل النُّبُوَّة، التي تَشْهد لنبينا محمد ﷺ أنَّه عبد الله ورسوله، للعالَمين نذيراً وبشيراً، وفي الحديث دلالة على أنَّه ﷺ خاتم النبيين قَبْل خَلْق البشر، أي: " أَنَّه ﷺ كذلك في قضاء الله وتَقْديره، قَبْل أَنْ يَكُون آدم عليه السلام "[3].

و- قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ الرِّسالة والنُّبُوَّة قد انْقطعت، فلا رسول بَعْدي ولا نبي**، فَشَقَّ ذلك على الناس، فقال: **لكن المُبَشِّرات**، فقالوا: يا رسول الله: وما المُبَشِّرات؟ قال: **رُؤْيا المَرْءِ المُسْلِم، هي جُزْءٌ مِنْ أَجْزاء النُّبُوَّة)**[4].

إنَّ انْقِطاع الرسالة والنبوة بعد وفاة النبي ﷺ كما جاء في الحديث الشريف، لا يعني ذلك أَنَّه سَيَتْرُكُ فَراغاً في حياة المسلمين، وذلك لِسَبَبَيْن[5]:

الأول: أنَّ النبي ﷺ رَحَل عَنْ الدنيا، دون يترك شيئاً إلا أخبرنا عنه، إما تَفْصيلاً وإما تَأْصيلاً .

الثاني: بقاء المُبَشِّرات بعد مَوْت النبي ﷺ، وهذا ما أشار إليه الحديث الشريف، ووضح معناه .

فقد ذَكَر النبي ﷺ حديثه الشريف بمعنى: " إنَّ الوَحْي ينقطع بِمَوْتي، ولا يَبْقى ما يُعْلم مِنْه ما سَيَكُون، إلا الرُؤْيا، ويَرِدُ عليه الإِلْهام، فإنَّ فيه إِخْباراً بِمَا سيكون، وهو للأنبياء عليهم السلام بالنسبة

---

(١) **مُنْجَدِل:** أي مُمَدَّدْ على الأرض . **انظر:** (لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري – ط ١ – دار صادر – بيروت – ١٠٤/١١) .

(٢) المستدرك على الصحيحين ٤٥٣/٢ – محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري – ت: مصطفى عبد القادر عطا – كتاب التفسير – ٣٤ تفسير سورة الأحزاب – حديث رقم ٣٥٦٦، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه – ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

(٣) شعب الإيمان – أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي – ت: محمد السعيد بسيوني زغلول – ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٠ هـ – ١٣٤،١٣٥/٢ .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤٣٣/٤ – ٤٧ كتاب تعبير الرؤيا – حديث رقم ٨١٧٨، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ، أخرجه الترمذي في سننه ٥٣٣/٤ بنحوه _ كتاب الرؤيا _ باب ذهبت النبوة وبقيت المبشرات – حديث رقم ٢٢٧٢، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث المختار بن فلفل، مسند الإمام أحمد ٢٦٧/٣ من حديث أنس بن مالك بنحوه – أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني – حديث رقم ١٣٨٥١ – مؤسسة قرطبة – مصر .

(٥) تحفة الأحوذي – المباركفوري – ٤٥٥/٦ .

للوَحْي كالرؤيا، ويَقَعُ لغير الأنبياء عليهم السلام .

ز- عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: **(رَأَيْتُ خاتَماً في ظَهْر رسول الله ﷺ كأنَّه بَيْضَة حَمَام)**[1]، وعن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: **(نَظَرْتُ إلى خاتَم النُّبُوَّة بين كَتِفَيْه ﷺ عِنْد ناغِض كَتِفِه[2] اليُسْرى)**[3] .

قال القاضي رحمه الله: " هذه الرِّوايات مُتَقاربة مُتَّفِقَة على أنَّه _ أي خاتم النُّبُوَّة _ شاخِصْ في جَسَدِه ﷺ قَدْر بَيْضَة الحَمَامة "[4] .

" وإنَّما كان الخاتَم في ظَهْرِهِ ﷺ، لِيَدُل على ختْم النبوة به، وأنَّه لا نبي بعده، وكان تحت نَغِض كتفه؛ لأنَّ ذلك المَوْضِع مِنْه يُوَسْوِسُ الشَّيْطان "[5] .

هذه دلالة قوية حَمَلَتها الرِّوايات النَّبَوِيَّة المَذْكورة لِتُثْبت خَتْم النُّبُوَّة بِرَسول الله محمد ﷺ .

_ ثانياً: إجْماع علماء المسلمين .

لَمْ يَقَع أدنى خلاف بين الصحابة رضي الله عنهم على أنَّ النبوة قد خُتِمَتْ بِبِعْثَة رسول الله محمد ﷺ، بَلْ إنَّهم أَجْمَعوا على ذلك، مع الأخذ بِعَيْن الاعْتِبار، أنَّ إجماعهم يُعَد أقوى طبقات الإجماع .

وقد اتَّفَقت الرِّوايات التاريخية المَوْثوق بها، أنَّ الصحابة رضي الله عنهم حاربوا بإجماعهم هذا كل مَنْ قام بِدَعْوى النُّبُوَّة بعد وَفاة محمد ﷺ[6] .

---

(١) صحيح مسلم ١٨٢٣/٤ – كتاب الفضائل – ٣٠ باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله من جسده ﷺ – حديث رقم ٢٣٤٤ .

(٢) **ناغِض كتفه:** وأما ناغِض كتفه فبالنون والغين والضاد المعجمتين، والغين مكسورة، وقال الجمهور: النَّغِض والنَّاغِض أعلى الكتف، وقيل: هو العظم الرقيق الذي على طرفه، وقيل: ما يظهر منه عند التحرك . (صحيح مسلم بشرح النووي – النووي – ٩٨/١٥) .

(٣) صحيح مسلم ١٨٢٣/٤ – كتاب الفضائل – ٣٠ باب إثبات خاتم النبوة وصفته ومحله من جسده ﷺ – حديث رقم ٢٣٤٦ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي – النووي – ٩٩/١٥ .

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري – بدر الدين العيني – ٤٣/٤ .

(٦) **انظر:** الفرق القديمة والمعاصرة في التاريخ الإسلامي – د محمد بخيت – ص ٣٥٤ .

قال عبد القاهر البغدادي ﷺ: " أَجْمَع المسلمون، وأَهْل الكِتَاب، على أنَّ أَوَّل مَنْ أُرْسِل مِنَ النَاس آدم ﷺ، وآخرهم عند المسلمين رسول الله محمد ﷺ "[1]، وقد وَرَدَ أيْضاً عن ابن حزم ﷺ قوله: " واتَّفَقوا على أنَّه لا نبي مع رسول الله محمد ﷺ، ولا بَعْده أبداً "[2] .

ثالثاً: حُكْم القَدْح في عقيدة خَتْم النُّبُوَّة بِرَسول الله محمد ﷺ .

إنَّ القَدْح في عقيدة خَتْم النُّبُوَّة بِرَسول الله محمد ﷺ ، له مَظاهِر وصُوَر مُتَعَدِّدة، كُلُّها مُهْلِكة لِصاحبها .

" وادِّعاء النُّبوة قد يكون بأَنْ يدَّعي شَخْص النبوة لِنَفْسِه كذباً وافْتِراءً، إمَّا استقلالاً، أو شَرِكة مع نبي آخر، وقد يكون بِتَصْديق مَنْ ادَّعاها، أو القَوْل بِتَجْويزها بَعْد خَتْمها بِرَسول الله محمد ﷺ، أو زَعَم أنَّه يمكن اكْتِسابها، أو ادعى أنَّه يُوحى إليه، أو يُنْكِر خَتْم النُّبوة بِرَسول الله محمد ﷺ فَكُلُّ هذه الصُّوَر _ وما يَلْحق بها مِنْ أَمْثالها _ مِنْ نَواقِضْ الإيمان القَوْلِيَّة في النُّبُوَّات "[3] .

وتُعَد فِرْقة القاديانية[4] مِنْ جُمْلة الفِرَق الضَّالَّة، التي دَخَلَتْ في هذا المُنْعطف الخطير؛ وذلك لِتَحقيق غايات وأهداف خَبِيثة، تَمَسُّ بالشَّريعة الإسلامية،

---

(١) أصول الدين – أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري المتولي – ص ١٥٩، نقلاً عن كتاب: نواقض الإيمان القولية والعملية – د عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف – ط ٢ – ١٤١٥هـ – مدار الوطن للنشر – الرياض – ص ١٩٤ .

(٢) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات – علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٧٣/١ .

(٣) نواقض الإيمان – د عبد العزيز العبد اللطيف – ص ١٨٦ .

(٤) **القاديانية:** هي حركة نشأت سنة ١٩٠٠م، بتخطيط من الإستعمار الإنجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنجليزية .
ومؤسس هذه الحركة: مرزا غلام أحمد القادياني (١٨٣٩م _ ١٩٠٨م) وكان أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن، وهو معروف عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وادمان المخدرات، وله أكثر من خمسين كتاباً ونشرة ومقالاً ومن أهم كتبه: (إزالة الأوهام _ إعجاز أحمدي _ براهين أحمدية _ أنوار الإسلام _ إعجاز المسيح _ التبليغ _ تجليات إلهية) . (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض – ط٢ – ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م – ص ٣٨٩) .

وتُفْرِغْها مِنْ جَوْهَرِها، وقِيَمِها السَّامِيَة[1] .

وقد حكَم السَّلَف مِنْ أَهْل العِلْم على مَنْ يَقْدح في عقيدة خَتْم النُّبوة بِرَسول الله محمد ﷺ بالكُفْر والرِّدَّة، وذلك كما يلي:

_ جاء عَنْ مُلاَّ علي القارِّي رحمه الله قوله: " ودَعْوة النُّبوة بَعْد نَبيِّنا ﷺ كُفْر بالإجْماع "[2] .

_ وكذلك عَنْ النووي رحمه الله قوله: " مَنْ ادَّعى النُّبوة بَعْد نَبيِّنا ﷺ، أو صَدَّق مُدَّعِياً لها... فَكُلُّ هذا كُفْر "[3] .

_ وقال الشربيني رحمه الله: " مَنْ نفى الرُّسُل، بأنْ قال: لَمْ يُرْسِلهم الله، أو نفى نُبُوَّة نبي، أو ادَّعى نُبُوَّة بَعْد نَبِيِّنا ﷺ، أو صَدَّق مُدَّعيها، أو قال: النُّبوة مُكْتَسَبة، أو تُنَال رُتْبَتُها بِصَفاء القُلوب، أو أُوحي إليه، ولَمْ يَدَّعِ النُّبوة ... فقد كَفَر "[4] .

إنَّ عقيدة خَتْم النُّبوة بِبِعْثَة رسول الله محمد ﷺ هي مِنَ المَعْلوم مِنَ الدِّين بالضَّرورة، ويَعْتَقِد بها كُلُّ مَنْ رَضِيَ بالله ربَّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، ولا يُنْكِرها إلَّا مَنْ فَسَد عَقْله، ومَرِض قَلْبه، ومُسِخت فِطْرته .

وإنَّما أَرَدتُ إبْراز خَتْم النُّبوة بِرَسول الله محمد ﷺ في هذا البحث كخاصِيَّة مِنْ خصائصه ﷺ دون غيره مِنَ الأنبياء عليهم السلام، وبناءاً على ذلك، فهي خاصِيَّة لأُمَّتِه أيضاً، انْفَردت بها عَنْ الأُمَمْ السابقة؛ لِكَوْنها آخر الأُمَمْ زماناً في الدُّنيا، وأَوَّلها مكانةً عند الله عز وجل .

(١) انظر: الفرق القديمة والمعاصرة في التاريخ الإسلامي – د محمد بخيت – ص ٣٥٤ .

(٢) شرح الفقه الأكبر – أبو حنيفة النعمان/ ملا علي القاري – ص ٢٤٤ – نقلاً عن المرجع السابق ص ١٩٦ .

(٣) روضة الطالبين وعمدة المفتين – أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي – ط ٢ – ١٤٠٥هـ – المكتب الإسلامي – بيروت – ٦٤/١٠،٦٥ .

(٤) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج – محمد الخطيب الشربيني – دار الفكر – بيروت – ١٣٥/٤ بتصرف .

المطلب الثاني

نُزُول عيسى ﷺ، وعَدَم تعارضه مع خَتْم النُّبوة

بُعِث نبي الله عيسى ﷺ إلى بني إسرائيل؛ لِيُبَلغهم رسالة رَبِّهِم بِوَحْي مِنْه ﷻ، ومعه الإنجيل والمُعْجِزات الدَّامِغات، الدَّالَّة على صِدْق نُبُوَّته وما بُعِث به مِنَ الهِداية إلى الصِّراط المستقيم .

وبعد كُل ذلك لم يَجِد من بني إسرائيل إلا قِلَّة التابعين وكثرة المُكذبين الجاحدين لِنُبوته ولِرِسالته التي بُعِث لِيُبلغها لهم، ولمْ يَقِف الأمر عند هذا الحد، بل إنَّهم تآمروا على قَتْله والتَّخَلُّص مِنْه إلى الأبد، وقد كان في زمانه مَلِكاً جَبَّاراً يُقال له: داود بن نوذا، وكان مَلِك بني إسرائيل آنذاك، أَعْطى هذا المَلِك أوامره باعتقال عيسى ﷺ لِيَقوم بِصَلْبه وقَتْله، فَأَوْحى الله إلى نَبِيِّه: ﴿ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (آل عمران ٥٥) بمعني: ومُخَلصُك مِنَ اليهود فلا يَصِلون إلى قتلك[1]، وقيل أيضاً: أي: " مُخْرِجك مِنْ بينهم، ومُنَجِّيك مِنْهم "[2] .

هكذا أراد الله ﷻ أنْ يُطَهِّر نَبِيَّه مِنَ القَوْم الظالمين، وقد تَمَّ ذلك بأنْ رَفَعه الله إليه فَنَجاه مِنْهم، قال تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (النساء ١٤١)، فَمَهْما طغى الكافرون وازْداد عِدْوانهم فإنْ العاقِبة لِعِباد الله المُتَّقين في الدنيا والآخرة، كما قال جَلَّ في عُلَاه: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص ٨٣) .

وقد جاءت نُصُوص الكِتاب والسُّنَّة مُبَيِّنةً أنَّ عيسى ﷺ هو الآن حَيٌّ يُرْزَق عند ربه، ولكن ذلك ليس أَبَدِياً، بل سيأتي يوم ينْزِل فيه ﷺ إلى الأرض، وذلك في آخر الزَّمان حَكَماً عَدْلاً مِنْ حُكَّام أُمَّة محمد ﷺ، عاملاً بِشَريعتها وتابعاً ليس بناسخٍ لها .

ويُعَدُّ نُزُول عيسى ﷺ مِنْ أَشْراط السَّاعة الكُبْرى، التي تُنْذِر بِقُرب مجئ يوم القيامة، وفي ذلك الزمان يَقُوم عيسى ﷺ بِأَداء عِدَّة مهام أُنيطت به كما أَمَر الله ﷻ،

(١) **انظر**: الدر المنثور– عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي – دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣م – ٢٢٥/٢ .

(٢) معالم التنزيل – البغوي – ت: خالد عبد الرحمن العك – دار المعرفة – بيروت – ١٤١٦هـ – ٣٠٨/١ .

وذلك على النحــو التــالــي:-

أَوَّلاً: أَدِلَّــة نُــزُول عيسى ﷺ فــي آخــر الزمــان:

١ـ قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ (النساء ١٥٩) .

لا يبقى أحدٌ مِنْ أَهْل الكِتاب إلَّا ويـؤمن بعيســى ﷺ عنــد نُزُولــه، وقتْلِــه الــدَّجال، وكسْرِه الصليب، وقتْلِه الخنْزير، فَيُصدقونه ويُــدْرِكون أَنَّهــم كــانوا علــى دِيــن مُحَّــرف، وأنَّ عيسى ﷺ نَزَل مُسْلِماً تابعاً لشريعة محمد ﷺ، فلا يَسَعُهم إلَّا إتِّباعــه على الإسلام، فَتَصِير المِلَلْ كُلُّها واحدة وهي مِلَّة الإسلام الحَنيفية دِين ابراهيم ﷺ[١].

وقال ابن جرير ﵀: " ذلك عند نُزُول عيسى بن مريم ﷺ، لا يَبْقى أَحَدٌ مِنْ أَهْل الكِتــاب إلَّا لَيُؤمنن به "[٢]، ويُعَقِّب ابن كثير ﵀ على هذا التأويل بقوله: " ولا شك أنَّ هذا الــذي قالــه ابن جرير هو الصحيح "[٣] .

٢ـ قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ (الزخرف ٦١) .

تُوَضِّح هذه الآية الكريمة معنى نُزُول عيسى بن مريم ﷺ بالنسبة لِقِيام الساعة، فقد جاء ذلك جَلِياً في تفسير الآية، وذلك بمعنى أنَّ نُزُول عيسى ﷺ هو: " أَمَارة ودليل علــى اقْتِــراب الساعة؛ وذلك لأنَّه يَنْزل ﷺ بعد خروج المسيح الدَّجال، فيَقْتله الله على يَدَيْه "[٤] .

وعليه فإنَّ " القَوْل الحق الصحيح الذي يشهد لــه القــرآن العظــيم والسُّــنَّة المُتَــواترة، هو أنَّ نُزُول عيسى ﷺ في آخر الزمان حياً عِلْمٌ للساعة، أي عَلَامة لِقُرْب مَجيئها؛ لأنَّــه ﷺ مِنْ أشراطها الدَّالَّة على قُرْبها "[٥] .

هذه مِنْ جُمْلة التفاسير التي جاءت مُتَّفقةٌ على هذا المعنى مُؤيدةٌ له؛ وذلك لِوُضوح دلالــة

---

(١) **انظر**: جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبــو جعفــر – دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ – ١٨/٦ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٥٧٨/١ .

(٤) المصدر السابق ٥٨٤/١ .

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكنــي الشــنقيطي – ت: مكتب البحوث والدراسات – دار الفكر للطباعة والنشر – بيــروت – ١٤١٥هـــ – ١٩٩٥م – ١٢٨/٧ .

الآية بِلا لَبْس ولا غُمُوض .

مِمَّا سَبَق يَتَبيَّن أنَّ الآية الكريمة تَحْمل عِدَّة دلالات على هذا الموضوع، مِنْها:

أ- التأكيد على نُزُول عيسى عليه السلام إلى الأرض في آخر الزمان .

ب- ذِكْر نُزُول عيسى عليه السلام كأَمَارة مِنْ أَمَارات الساعة التي تُنْذِر بِقُرب قِيامِها .

٣- قال تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا[١] وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آل عمران ٤٦) .

تُعَد هذه الآية الكريمة مِنْ جُمْلة الأَدِلَّة الشرعية الدَّالَّة على نُزُول عيسى عليه السلام ، فقد سُئِل الحسين بن الفَضْل رحمه الله[٢]ذات مَرَّة عن نُزُول عيسى عليه السلام في القرآن، فقيل له: " هَلْ تَجِدون نُزُول عيسى عليه السلام في القرآن؟ قال: نعم، قوله تعالى: ﴿ وَكَهْلًا ﴾، وهو لَمْ يكْتهل في الدنيا، وإنَّما معناه: ﴿وَكَهْلاً﴾ بعد نُزُوله مِنَ السماء "[٣] .

هذا هو الصواب؛ أَمَا إنَّ عيسى عليه السلام قد كَلَّم الناس في المَهْد صَبِياً، فهذا قد وَقَع حقاً في الدنيا قَبْل أنْ يَرْفعه الله إليه، أمَّا كَوْنه كَهْلاً فإنَّه لَمْ يَكْتَهِل قَبْل الرَّفْع في الدنيا، وإنَّما يَكْتهل عليه السلام في الدنيا بعد نُزُوله مِنَ السماء في آخر الزمان، بهذا فإنه يتضح لنا وَجْه الدَّلالة المُرَاد مِنَ الآية الكريمة .

٤- قال رسُولُ الله ﷺ: (**والَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمَاً عَدْلاً، فيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ويَقْتُلَ الخِنْزِيرَ ويَضَعَ الجِزْيَةَ، ويَفِيضُ المَالُ، حتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ،**

---

(١) كهْلاً: الكهل من الرجال الذي جاوز الثلاثين وخطه الشيب، وامرأة كهْلة . (مختار الصحاح – محمد الرازي – ٢٤٢/١).

(٢) الحسين بن الفضل البُجَلي الكوفي العلامة المفسر أبوعلي نزيل نيسابور... وهو من كبار أهل العلم والفضل...قال الحاكم: كان امام عصره في معاني القرآن لقد أنزله عبد الله بن طاهر في الدار التي ابتاعها له سنة سبع عشرة ومئتين فبقي فيها يعلم الناس العلم خمسا وستين سنة ومات وله مائة وأربع سنين وقبره مشهور يزار، ثم ذكر طائفة من مشائخه ثم ذكر أن عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون خراسان سأله في استصحاب ثلاثة من العلماء فسماه منهم، وعن أبي القاسم المذكر قال: لو كان الحسين بن الفضل في بني إسرائيل لكان من عجائبهم . (لسان الميزان – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – ت: دائرة المعارف النظامية – الهند – ط ٣ – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م – ٣٠٧/٢) .

(٣) معالم التنزيل – البغوي ٣٠٨/١ .

حتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْراً مِنَ الدُّنْيَا وما فِيهَا)[1]، ثُمَّ يَقُولُ أبُو هُرَيْرَةَ ﷺ _ وهو راوي الحديث _: واقْرَؤا إنْ شِئْتُمْ: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ (النساء ١٥٩) .

قوله ﷺ: (**والذي نفسي بيده**)، " فيه الحَلْف في الخَبَر مُبَالغة في تأكيده .

وقوله ﷺ: (**لَيُوشِكن**) بِكَسْر المُعْجمة أي: لَيَقْربن، أي: لا بُدَّ مِنْ ذلك سريعاً "[2]
.

أمَّا كَسْر الصَّليب وقَتْل الخنزير على يَدِ عيسى ﷺ فلهذا مَقْصد عظيم، ألَا وهو: إثبات أنَّ النَّصارى قد حَرَّفوا دِينهم وبَدَّلوه، وأنَّهم كانوا على بُهْتان عظيم .

وفيه أيضاً: تَوْبيخ للنَّصارى الذين يَدَّعون أنَّهم على طريقة عيسى ﷺ، ثم يَسْتحلون أَكْل الخنزير، ويُبَالغون في مَحَبَّته ﷺ، بادِّعائهم أنَّه ﷺ ابْناً لله تعالى الله عَمَّا يقولون عُلُواً كبيراً[3] .

في ذلك الزمان يَفِيض المال ويكثر، حتى لا يَقْبَله أَحَد، كما جاء ذلك في الحديث الشريف، فَتَقِل الرَّغَبات بِجَمْع المال واقْتِنائه، ويَتَقرَّب الناس إلى الله بالعِبَادة، عَدَا إنْفَاق الصَّدَقات؛ لأنَّهم لا يَجدون مَنْ يَقْبلها، ويُدْرِكون حينئذٍ أنَّ الساعة قد اقتربت، عندئذٍ فإنَّ السَّجدة الواحدة لله ﷻ تكون عند أَحَدِهم خير مِنَ الدنيا وما فيها، وكما هو معلوم فإنَّ كَلِمَة (السجدة) تُطْلَق ويُرَاد بها الرَّكعة .

٥ـ عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نَذْكر الساعة، قال: (**إنَّها لن تَقُوم حتى تَرَوْن قَبْلها عَشْر آيات**، وذَكَر مِنْها: **نُزُول عيسى بن مريم** ﷺ)[4] .

يُؤكد الحديث الشريف على نُقْطتين ذَكَرناهما سابقاً، وهُما:

أـ التأكيد على نُزُول عيسى ﷺ إلى الأرض في آخر الزمان .

---

(١) صحيح البخاري ١٢٧٢/٣ – كتاب الأنبياء – ٥٠ باب نزول عيسى بن مريم ﷺ – حديث رقم ٣٢٦٤، صحيح مسلم ١٣٥/١ – كتاب الإيمان – ٧١ باب نزول عيسى بن مريم ﷺ حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ – حديث رقم ١٥٥ بنحوه .

(٢) فتح الباري – ابن حجر – ٤٩١/٦ .

(٣) **انظر:** المصدر السابق ٤١٤/٤ .

(٤) صحيح مسلم ٢٢٢٥/٤ – كتاب الفتن وأشراط الساعة – ٣ باب في الآيات التي تكون قبل الساعة – حديث رقم ٢٩٠١ .

ب- ذِكْر نُزُول عيسى عليه السلام كأَمَارة مِنْ أَمَارات الساعة التي تُنْذِر بِقُرب قِيامِها .

ثانياً: عَدَم التَّعارض بين نُزُول عيسى عليه السلام في آخر الزمان مع عقيدة خَتْم النبوة بِبِعْثَة رسول الله محمد ﷺ .

إنَّ هذه المسألة هي الشِّق الثاني لهذا المطلب وجَوْهره، إذ إنَّ هناك مَنْ ينفي نُزُول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، بدعوى أنَّ ذلك يتعارض مع عقيدة ختم النبوة بِرَسول الله محمد ﷺ، وهذه حُجَّة واهية لا أَصْل لها مِنَ الصِّحَّة، بل إنَّ الأَدِلَّة الشرعية التي سَرَدَتْها سَلَفاً لإثبات نُزُول عيسى عليه السلام في آخر الزمان تُكَذِّبها وتَدْحَضُها .

إنَّ كَوْن نُزُول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ثابت بالأَدِلَّة الشرعية، لا يعني أنَّ ذلك قَدْحاً في عقيدة خَتْم النُّبوة بِرَسول الله محمد ﷺ على الإطلاق[1] .

لذا ينبغي معرفة أَوْجه التوفيق بين المسألتين التي ذَكَرها العلماء بهذا الصدد، والتي منها:

١- قال رسول الله ﷺ: (**كيف أنتم إذا نَزَل ابن مريم فيكم، وإمامكم مِنْكم**)[2]، وفي رِواية: (**يَنْزِل عيسى عليه السلام، فيقول أميرهم: تعال صَلِّ لنا، فيقول: لا، إنَّ بعضكم على بعض أُمَراء، تَكْرِمة الله هذه الأُمَّة**)[3] .

يَحْمِل هذا الحديث دلالات قَوِيَّة تُؤكد على تَبَعيَّة عيسى عليه السلام وانْقياده لشريعة نَبِيِّنا محمد ﷺ، وأنَّه عليه السلام لا يَنْزل نبياً بِشَرعٍ جديد، بل يَنْزِل حاكماً بشريعة الإسلام، لا يَقْبل مِنَ الناس سِواه دِيناً _ وذلك في آخر الزمان _ .

قوله ﷺ: (**وإمامكم مِنْكم**)، يعني: " أَنَّه عليه السلام يَحْكُم بالقرآن لا بالإنجيل، وقال ابن التين رحمه الله: أي أنَّ الشريعة المُحَمدية مُتَّصلة إلى يوم القيامة، وأنَّ في كُلِّ قَرْن طائفة مِنْ أَهْل العِلْم، ... وعلى تقدير أنْ يكون عيسى عليه السلام إماماً، فمعناه: أَنَّه يَصِير معكم بالجماعة مِنْ هذه الأُمَّة، وقال ابن الجوزي رحمه الله: لو تَقَدَّم عيسى عليه السلام إماماً لَوَقع في النَّفس إشْكال، ولقيل:

---

(١) **انظر:** الرسل والرسالات - د عمر سليمان الأشقر - ط ٤ - ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م - مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع / دار النفائس للنشر والتوزيع - ص ٢٢٢، **انظر أيضاً:** التبيان شرح أركان الإيمان - د سعد عبد الله عاشور - مكتبة ومطبعة دار المنارة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م - فلسطين - غزة - ٢/ ٦٦ .

(٢) صحيح البخاري ١٢٧٢/٣ - كتاب الأنبياء - ٥٠ باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام - حديث رقم ٣٢٦٥ - تابعه عقيل والأوزاعي، صحيح مسلم ١٣٧/١ - كتاب الإيمان - ٧١ باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ - حديث رقم ١٥٦ .

(٣) صحيح مسلم ١٣٧/١ - كتاب الإيمان - ٧١ باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ - حديث رقم ١٥٦ .

أَتُراه تَقَدَّم نائباً أو مُبْتدئاً شَرْعاً؟ فَصَلَّى مَأْموماً لئلاَّ يَتَدنَّس بِغُبار الشُبْهة، وَجْه قوله ﷺ: (**لا نبي بَعْدي**)[1] "[2] .

" إنَّ القصْد بِإمَامة المَهْدي[3]لعيسى عليه السلام؛ إنَّما هو إظهار أَنَّه نَزَل عليه السلام تابعاً لِنَبيِّنا ﷺ حاكماً بشريعته غير مُسْتقل بشيء مِنْ شريعة نَفْسه، واقْتِداؤه ببعض هذه الأُمَّة مع كوْنه أفضل مِنْ ذلك الإمام الذي اقتدى به، فيه مِنْ إذاعَة ذلك وإظهاره "[4] .

مِمَّا سَبَق ذِكْره، تَتَجَلى الحِكْمة الجَليلَة مِنْ إمَامة المَهْدي لعيسى عليه السلام، وذلك على خِلاف أَصْل قاعدة: (اقْتِداء المَفْضول بالفاضِل)، إلَّا أنَّ الحِكْمة في ذلك؛ إظْهار تَبَعيَّة عيسى عليه السلام للشريعة المُحَمدية، وانْقِياده لها، وعاملاً بها كأي فَرْد مِنْ أُمَّة محمد ﷺ، وقَطْع أي شُبْهة تُوْهِم بأَنَّه عليه السلام نازلٌ بشريعة جديدة أو ما يُخالف شريعة رسول الله محمد ﷺ، ولو لَمْ يَكُنْ سِوى ذلك دليلٌ على هذه التَّبَعيَّة لكفى .

٢ـ إنَّ مِنْ جُمْلة ما استَدلَّ به مُنْكِرو نُزُول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ما يلي[5]:

أـ قوله ﷻ: ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (الأحزاب ٤٠) .

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٤٩٩ – – كتاب الفتن – ٤٣ باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون – حديث رقم ٢٢١٩ بلفظ: (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أُمتي ... الحديث) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح .

(٢) فتح الباري – ابن حجر – ٤٩٤/٦ بتصرف يسير .

(٣) **المهدي:** هو رجل من أهل البيت، يُسمى باسم نبينا ﷺ (محمد بن عبد الله)، يُشْبهه في الخَلْق لا في الخُلُق، يُؤَيد الدين ويُظْهِر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الاسلامية، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، ويساعد عيسى عليه السلام على قتل الدجال بباب لِد بأرض فلسطين، ويأْتَمُّ به عيسى عليه السلام في صلاته، وخرَّج أحاديث المهدي جماعة من الأئمَّة منهم: أبو داود والترمذي وبن ماجة والبزار والحاكم والطبراني وأبو يعلي الموصلي وأسْندوها إلى جماعة من الصحابة مثل: علي وبن عباس وبن عمر وطلحة وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة بن إياس وعلي الهلالي وعبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنهم أجمعين، وإسْناد أحاديث هؤلاء بين صحيح وحسن وضعيف . **انظر** (تحفة الأحوذي – المباركفوري – ٤٠١/٦)، وأيضاً (شرح سنن بن ماجة – ٣٠٠/١) .

(٤) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة – أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيثمي – ت: عبد الرحمن بن عبد الله التركي / كامل محمد الخراط – مؤسسة الرسالة – لبنان – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م – ط ١ – ٤٨٠/٢ .

(٥) للاطلاع على شروح هذه الأَدِلَّة الشرعية، **انظر:** ص ٩،٨،٧ من هذا البحث .

ب- قوله ﷺ: (**لا نبي بَعْدِي**)[1] .

ج- إجْماع المسلمين على أَنَّه لا نبـي بعـد نَبِيِّنـا محمـد ﷺ، وأنَّ شـريعته مُؤبَّـدة إلى يوم القيامة لا تُنْسخ .

ولا شك أنَّ الاسْتِدْلال بهذه الأَدِلَّـة لإنْكـار نُـزُول عيسـى عليه السلام فـي آخـر الزمـان، هو اسْتِدْلال في غير مَحِلِّه، وظاهر البُطْلان والاضْطِّراب .

قال القاضي رحمه الله: " هذا استدلالٌ فاسد؛ لأنَّه ليس المُراد بِنُزول عيسى عليه السلام أنَّه يَنْزل نبياً بِشَرعٍ يَنْسخ شرعنا، ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء مِنْ هذا، بل صَحَّت الأحاديـث في الصِحَاح وغيرها أنَّه يَنْزل عليه السلام حَكَماً مُقْسطاً، يُحكِّم شرعنا، ويُحْيي مِـنْ أُمُـور شـرعنا ما هَجَره الناس "[2] .

" فلا يَقْدح فيه _ أي خَتْم النُّبُوَّة بِرَسول الله محمد ﷺ _ نُزُول عيسى عليه السلام بَعْده؛ لأنَّ معنى كَوْنه ﷺ خاتم النبيين: أنَّه لا يُنَبَّأ أَحَدٌ بَعْده، وعيسى عليه السلام مِمَّن نُبِئ قَبْله، وحين يَنْزل إنَّما يَنْـزل عاملاً على شريعة رسول الله محمد ﷺ، مُصَلياً إلى قِبْلته كأنَّه بعض أُمَّته "[3] .

" يَنْزل عليه السلام حاكماً بهذه الشريعة _ أي الشريعة الإسلامية _، فإنَّ هذه الشـريعة باقيـة لا تُنْسَخ، بل يكون عيسى عليه السلام حاكماً مِنْ حُكَّام هذه الأُمَّة "[4] .

" وانْـعَقَـد الإجْمـاع على أنَّ عيسى عليه السلام مُتَّبِع لهذه الشريعة المُحَمَّدِيَّة، ليْس بِصَـاحب شَريعة مُسْتَقلَّة عنْد نُزولِه "[5] .

إنَّ إجماع العلماء علـى تَبَعِيَّة عيسى عليه السلام لشريعة محمد ﷺ عند نُزُولـه إلـى الأرض في آخر الزمان، إنَّمـا جـاء نتيجـة كثـرة الأَدِلَّـة الشرعية، وقُوَّة ألفاظها، ووُضُوح معانيها، في الدلالة على هذه المسألة .

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٤٩٩ – – كتاب الفتن – ٤٣ باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخـرج كـذابون – حديث رقم ٢٢١٩ بلفظ: (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أُمتي ... الحديث) وقـال الترمـذي: هذا حديث حسن صحيح . .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي – النووي – ١٨/٧٥،٧٦ .

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – أبو السعود محمد بن محمد العمادي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٧/١٠٦ .

(٤) فتح الباري – ابن حجر – ٦/٤٩١ .

(٥) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني – أحمد بن غنيم بن سـالم النفـراوي المـالكي – دار الفكر – بيروت – ١٤١٥هـ – ١/٧٠ .

٣ـ إنَّ خُلاصة ما سَبَق مِنَ القَوْل بِتَبعيَّة عيسى عليه السلام لِشَريعة محمد ﷺ، تَبْرز في عِدَّة نقاط على النحو التالي:

أ ـ إنَّ نَبيَّنا محمد ﷺ هو خاتم النبيين، وعيسى عليه السلام مِمَّن نُبِئ قَبْله، وحين يَنْزل إنَّما يَنْـزل عاملاً على شريعة محمد ﷺ .

ب ـ إنَّ الشريعة المُحَمدية مُتَّصلة إلى يوم القيامة، فهي باقية لا تُنْسَخ .

ج ـ اقْتِداء عيسى عليه السلام بالمَهْدي في صلاته مع كَوْنه أَجَلُّ مِنْه قَـدْراً، هـو خيْـر شـاهد على تَبَعيَّة عيسى عليه السلام لشريعة محمد ﷺ .

د ـ يَنْـزل عيسـى عليه السلام فـي آخـر الزمـان، ليـؤدي عِـدَّة مهـام أُنِيطـت بـه، تَدُل على تَبَعِيَّته للشـريعـة المُـحَمَّديـة، وذلك كما يلـي:

- يَحْكُـم بالشريعـة المُحَمديـة، ويُحْي مِنْهـا مـا هَجَـره النـاس .
- يَكْسر الصَّليب ويَقْتُل الخنزير، وفي هذا إشارة إلى أَنَّه لا يَنْزل بِشَـرعٍ جَديـد يَنْسَـخ شَرْعنا، بل يَنْزل تابعاً للشريعة المُحَمَّدية عاملاً بها، وفيه أيضاً: تَوْبيخٌ للنَّصارى، الذين عَدَلوا عنْ دِينهم الحق، فَحَرَّفوه وبَدَّلوه .
- يَضع الجِزْيـة، ولا يَقْبـل مِنَ النـاس سِـوى الإسلام دينـاً .

المبحث الثاني

عُمُوم بِعْثة نبي هذه الأُمَّة محمد ﷺ

وفيه ثلاثة مطالب:

_ **المطلب الأول: عالَمِيَّة أُمَّة محمد ﷺ .**

_ **المطلب الثاني: عُمُوم البِعْثة النَّبَوِيَّة تَشْمل عالَم الجِنْ .**

_ **المطلب الثالث: بُلوغ دِين محمد ﷺ مشارق الأرض ومغاربها .**

المطلب الأول

عالَمِيَّة أُمَّة محمد ﷺ

إنَّ مِنْ أَبْرز ما اختصَّ به نبي أُمَّة محمد ﷺ عن باقي أنبياء الأُمَمْ السابقة عليهم السلام، هو أنَّ رِسالته السماوية التي يحملها، قد بُعِث بها لجميع الخَلْق بلا استثناء، وهذا بخِلاف الأنبياء السابقين عليهم السلام، فقد كانت بِعْثة كُل نبي مَقْصورة على قَوْمه دون سواهم مِنَ النَّاس، أمَّا بِعْثة نبيِّنا محمد ﷺ، فهي عامَّة وشاملة للخَلْق أَجْمعين، **وهذا يَعْكِس في الواقع عالَمِيَّة أُمَّة محمد ﷺ** .

قال شَيْخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " أَخْبَر نَبِيُّنا محمد ﷺ: أنَّ رسالته عامَّة إلى أَهْل الأرض، مِنَ المُشْركين وأَهْل الكِتاب، وأنَّه لَمْ يَكُنْ مُرْسلاً إلى بعض الناس دون بعض، وهذا أمرٌ مَعْلومٌ بالضَّرورَة، والنَّقْل المُتَواتِر، والدَّلائل القَطْعِيَّة "[1]، وقال أيضاً: " أَرْسل الله ﷻ محمداً ﷺ إلى الثَّقَلَيْن، الجِنْ والإنْس، فعلى كُلِّ أَحَد أَنْ يُؤْمن به، وبما جاء به، ويَتَّبِعه في باطنه وظاهرة، والإيمان به، ومتابعته هو سبيل الله ﷻ ودِينه تعالى "[2] .

وقال ابن عبد البَرْ رحمه الله: " لا خِلاف بين السَّلف على أنَّه ﷺ قد بُعِثَ إلى الإنس والجن، وهذا مِمَّا فُضِّل به على الأنبياء عليهم السلام "[3] .

مِمَّا سَبَق يتبين لنا أنَّ عُمُوم بِعْثة محمد ﷺ تَقُوم على أَمْرين رئيسيين هُمَا:

- عموم بعثته ﷺ للناس كافَّة، عَرَبِهم وعَجَمِهم، الأبيْض والأسوْد، المُشْرِكون وأَهْل الكِتاب وغيرهم .
- أنَّ البعثة النَّبَوِيَّة تَشْمل عالم الجِنْ بِأَكْمَله، وهذا ما سَيَتِم التفصيل فيه لاحقاً في المطلب التالي بإذن الله ﷻ .

أَوَّلاً: الأَدِلَّة على عالَمِيَّة أُمَّة محمد ﷺ .

١ـ الأَدِلَّة منَ القرآن الكريم:

ذَكَر القرآن الكريم عُمُوم بِعْثته ﷺ للعالمين في مَوَاضع كثيرة، منها:

(١) مجموع الفتاوى ٢٠٨/٤ .

(٢) المصدر السابق ١٤٢/١ .

(٣) فتح الباري – ابن حجر – ٣٤٥/٦ .

أ- قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ الْكِتَـٰبَ وَالْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ اهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَـٰغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران ٢٠) .

شَمِلَت الآية الكريمة جميع أصناف الناس، وأَكَّدَت أنَّ جميعهم داخلون في عُمُـوم البِعْثـة المُحَمَّدِيَّة إليهم، وأنَّهُم مُلْزَمون بالدخول في شريعته، والانْصِيَاع لدِينه، دِين الإسلام والتوحيد .

فقد وَرَد الخِطَاب في الآية بمعنى: " قُلْ يا محمد للـذين أُوتـوا الكِتَـاب مِـنَ اليهـود والنَّصارى، والأُمِيِّين الذين لا كِتَاب لَهُم مِنْ مُشْرِكي العرب: أَأَسْلَمْتم؟ أي: هل أفردتم التوحيد، وأَخْلَصْتم العبادة، والأُلُوهيَّة لرَبِّ العالمين؟ ... ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ ﴾ أي: فـإنْ انْقـادوا لإفْـراد الوَحْـدانيَّـة للـه ﷻ، وإخلاص العبادة والألوهية له، فقد اهْتَدوا، يعني: فقد أصـابوا سـبيل الحق، وسَلَكـوا مَحَجَّـة الرُّشْد "[1] .

وقد وُصِفَتْ هـذه الآيـة بأنهـا: " مِـنْ أَصْـرح الـدلالات علـى عُمُـوم بِعْثتـه ﷺ إلى جميع الخَلْق "[2]؛ فإنَّ فيها " تَصْريح بِشُمُول رِسالته ﷺ لأَهْـل الكِتَـاب مـع العـرب "[3]، " وهو معلوم مِنْ دِين الإسلام ضرورةً أَنَّه ﷺ رسول الله إلى الناس كُلهم "[4] .

ب- قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف ١٥٨) .

يأمر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة، نَبِيَّه محمد ﷺ أنْ يُعْلن للبشرية كُلها، بأنَّه مُرْسلٌ إلـيْهم، مِنْ عند الله ﷻ، وأَنْ يُقِيم الحُجَّة عليهم .

فقد وَرَد الخِطَاب في الآية الكريمة بمعنى: " قُلْ يا محمد للناس كُلهم: إني رسول الله إليكم جميعاً، لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان مَنْ قَبْلي مِنَ الرُّسل، مُرْسلاً إلـى بعـض النـاس دون بعض، فَمَنْ كان منهم أُرْسِل كذلك، فإنَّ رسـالتـي ليسـت إلـى بعضكـم دون بعـض، ولكنَّها إلى جميعكم "[5]، " عربكم وعجمكم، أَهْل الكِتَاب فيكم وغيرهم "[6] .

فإنَّ بِعْثته ﷺ شاملة مَنْ كان في زمانه، ومَنْ يأتي بعده حتى قيام الساعة[7]،" فعلى الخَلْق كُلُّهم اتِّباع محمد ﷺ ، فلا يعبدون إلا الله ﷻ، ويَعْبدونه بشريعة محمد ﷺ، لا بغيرها "[8] .

---

(١) جامع البيان – الطبري – ٢١٤/٣ .
(٢) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٣٥٥/١ .
(٣) أضواء البيان – محمد الأمين الشنقيطي – ٤١/٢ .
(٤) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٢٥٦/٢ .
(٥) جامع البيان – الطبري – ٨٦/٩ .
(٦) تيسير الكريم – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ٣٠٥/١ .
(٧) **انظر:** الرسل والرسالات – عمر الأشقر – ص ٢٢١ .
(٨) مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ٥٢٣/١١ .

ج- قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ (الفرقان ١) .

يُثْني الله ﷻ في هذه الآية على نَفْسه بشيئين، هُمَا:

- تنزيله القرآن الكريم، على نَبيِّه محمد ﷺ .
- تَكْليفه لِنَبيِّه محمد ﷺ بالرِّسالة لجميع الخَلْق، وإنذارهم .

وقد " ذكَر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أنَّه: ﴿ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾، وهو: هذا القرآن العظيم، ﴿ عَلَى عَبْدِهِ ﴾، وهو: محمد ﷺ؛ لِأَجْل أنْ يكون ﴿ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾، أي: مُنْذِراً، والإنذار هو: الإعْلام المُقْتَرِنْ بتهديد وتخويف، وأنَّ كُلَّ إنْذار إعلام، وليس كُل إعلام إنذار، وهذه الآية الكريمة تَدُلُّ على عُمُوم رسالته ﷺ، للأَسْود والأحمر، والجن والإنس، لِدُخول الجميع في قوله تعالى: ﴿ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ "[١] .

وقيل أيضاً في معنى الآية، أي: " تبارك الذي نَزَّل الفَصْل بَيْن الحق والباطِل، فَصْلاً بعد فَصْل، وسُورة بعد سُورة، على عَبْده محمد ﷺ؛ لِيَكون لجميع الجن والإنس، الذين بَعَثه الله إليهم داعياً إليه ونذيراً، يعني: مُنْذِراً، ينذرهم عقابه، ويخوفهم عذابه، إنْ لَمْ يُوَحِّدوه، ولم يُخْلِصوا له العِبادة، ويَخْلَعوا كُل ما دونه مِنَ الآلهة والأَوْثان "[٢] .

وخُلَاصة القول: " أنَّ الآية دالَّة على عُمُوم رسالته ﷺ لِأَهْل كُل لِسَان، فهو يَجِب عليه إبْلاغ أَهْل كُل لِسان "[٣] .

د- قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ ٢٨) .

وَرَدَت هذه الآية الكريمة لِتُؤكد على ما أكدت عليه سابقاتها مِنَ الآيات الكريمة، بأنَّ بِعْثة رسول الله محمد ﷺ عامة وشاملة لجميع الخلق، وذلك بأسلوب بلاغي مُحْكم ومُتَناسق .

فقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾، أي:" عامَّة، ففي الكلام تقديم وتأخير، وقال الزَّجَّاج: أي وما أرسلناك إلا جامِعاً للناس، بالإنْذار والإبْلاغ، والكافَّة بمعنى: الجامِع، وقيل: معناه كافَّاً للناس، تَكُفُّهم عمَّا هُمْ فيه مِنَ الكُفْر، وتَدْعوهم إلى الإسلام، والهاء للمُبالغة، وقيل: أي إلا ذا كافة، فحذف المُضَاف، أي ذا مَنْع للناس مِنْ أنْ يَشْذُّوا عنْ تبليغك، أو ذا مَنْع لَهُم مِنَ الكُفْر، ومِنْه: كَفَّ الثَّوْب؛ لأنَّه ضَمَّ طَرَفَيْه، ﴿ بَشِيراً ﴾ أي: بالجَنَّة لِمَنْ أطاع،

---

(١) أضواء البيان – محمد الأمين الشنقيطي – ٣/٦ .

(٢) جامع البيان – ابن جرير الطبري – ١٧٩/١٨ .

(٣) أضواء البيان – محمد الأمين الشنقيطي – ٢٤١/٢ .

﴿ وَنَذِيراً ﴾ مِنَ النـــار لِمَنْ كَفَر "[1] .

" هذا وإنْ كان محمد ﷺ قد بُعِث للناس كافة، فإنَّ الله ﷻ جعل جميع الأُمَمْ وعامَّة الألْسِنَة في هذا الأمر، تَبْعاً لِلِسَان العرب "[2]؛ وذلك لأنَّ الله ﷻ قد أوحى إلى نبيه محمــد ﷺ القــرآن الكريم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة بِلِسَان عربي فَصِيح، فإنَّ التَّــدَيُّن بغيــر لُغَتِهمــا العربيــة الفصيحـــة، لا يُقْبَل عند الله ﷻ، بل يجب التَّعَبُّد إلى الله ﷻ بالقرآن الكريم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة كما نَزَلا تمامــاً، دون نَقْص أو زِيادة، ومالا يَتِمُّ الواجب إلا به فهو واجب .

" فمحمد ﷺ رسول الله إلى جميع الثقلين، إنْسِــهِم وجِــنِّهم، عَــرَبِهم وعَجَمِهــم، مُلُــوكهم وزُهَّادهم، الأَوْلياء مِنْهم وغيــر الأوليــاء، فَلَيْس لأَحَد الخروج عَنْ مُتَابعته، باطِنــاً وظــاهِراً، ولا عَنْ متابعة ما جاء به مِــنَ الكِتَــاب والسُّــنَّة، فــي دَقِيــق ولا جَلِيــل، لا فــي العلــوم ولا في الأعمال "[3] .

٢ـ **الأَدِلَّة مِنَ السُّنَّة النَّبوِيَّة المُطَهَّرة:**

قال رسول الله ﷺ: (**أُعْطِيْتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلي ...** ـ وذَكَر مِنْها ـ **وكان النبي يُبْعَثُ إلى قَوْمِه خاصَّة، وبُعِثْتُ إلى الناس عامَّة**)[4]، وفي رِوايــة: (**كان كُل نبي يُبْعث إلى قَوْمه خاصة، وبُعِثت إلى كُلِّ أَحْمَر وأَسْوَد**)[5] .

يُعَد هذا الحديث الشريف مِنْ أقوى الأَدِلَّة على عُمُوم بِعْثته ﷺ، وما مِــنْ كتــاب صُــنِّف في هذا الموضوع، إلا وكان هذا الحديث الشريف على رأس أَدِلَّته المَذْكورة .

وبالإشارة إلى عدد خصائص النبي محمد ﷺ المذكورة في الحديث، فإنَّ مِنْ أَهْــل العِلْــم مَنْ ذَكَر بأنَّ العدد المذكور في الحديث ليس للحصْر، وأنَّ عدد خصائصه ﷺ يفوق ذلك بكثيــر، فمــنهم مــن ذكــر بأنهــا تصــل إلــى ســتين، وآخــرين ذكــروا بأنهــا ثلاثمائـــة، وهــذا أَمْــر تُــؤَيِّــدُه الأدلـــة الشــرعيـــَّة[6] .

" كما أنَّ المصطفى ﷺ أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام، لمَّا ذكر مِنْ أنَّ كلَّ نبي أُرْسل إلى قــوم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – ٣٠١،٣٠٠/١٤ .

(٢) الاعتصام – أبو إسحاق الشاطبي – ٢٩٤/٢ .

(٣) مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ٢٣٤/٢ .

(٤) صحيح البخاري ١٢٨/١ – ٧ كتاب التيمم، قول الله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَاءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾ (النساء ٤٣) – حديث رقم ٣٢٨ .

(٥) صحيح مسلم ٣٧٠/١ – ٥ كتاب المساجد ومواضع الصلاة – حديث رقم ٥٢١ .

(٦) **انظر:** الديباج على مسلم – عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي – ت: أبو إسحاق الحــويني الأثري – دار ابن عفان – الخُبَر – السعودية – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م – ٢٠١/٢ .

مَخْصوصين، وهو إلى الكافَّة؛ وذلك لأنَّ الرُّسل إنَّما بعثوا لإرْشاد الخَلْق إلى الحقِّ، وإخراجهم مِنَ الظُّلُمات إلى النُّور، ومِنْ عبادة الأصْنام إلى عبادة الملك العلَّام، وكُلُّ مَنْ كان في هذا الأمْر أكثر تأثيراً، كان أَفْضَل، فكان للمصطفى ﷺ فيه القَدْر المُعْلى؛ إذْ لَمْ يَخْتَص بقَوْم دون قَوْم، وزمان دون زمان، بَلْ دِينُه انتشر في المشارق والمغارب، وتغلْغل في كُل مكان، واسْتَمرَّ اسْتِمْداده على وَجْه كُل زمان، زاده الله شَرَفاً على شَرَف، وعِزاً على عِزْ، ما دَرَّ شارِق، ولَمَع بارِق، فَلَهُ الفَضْل بحذافيره سابقاً ولاحقاً "[١] .

فقوله ﷺ: (**وبُعِثْتُ إلى الناس عامَّة**)، أي: " أُرْسِلْت إليْهم رسالة عامّة، في ناس زمنه، فمَنْ بَعْدهم إلى آخرهم "[٢]، أي إلى قِيام السَّاعة .

وفي ذلك دلالة على أنَّ البِعْثة النَّبوية شاملة لجميع الإنس والجن على السواء، فإنَّ كلمة (**الناس**) المذكورة في الحديث تَشْمل الثَّقلين، الإنس والجن، قال ابن عقيل ﷺ: " الجن داخلون في مُسَمَّى الناس لُغَةً ... وقال الجَوْهري ﷺ: الناس قد يكون مِنَ الإنس ومِنَ الجن "[٣] .

وأمَّا قوله ﷺ: (**وبعثت إلى كُلِّ أَحْمَر وأَسْوَد**)، " فقد اختلف العلماء في المعنى المُراد مِنَ الأحمر والأسْوَد هنا، فقيل: هُمْ العرب والعجم؛ لأنَّ الغالب على العجم الحُمْرة والبَياض، وعلى العرب الآدَمَة والسَّواد، وقيل: أراد الإنس والجن، وقيل: أراد الأحمر والأبيض مُطْلَقاً؛ فإنَّ العرب تقول امْرَأة حَمْراء، أي: بَيْضاء، ويُؤَيِّد قوْل مَنْ قال إنَّهم الجن؛ إنَّ إطْلاق السَّوَاد على الجن صحيح، باعْتِبار مُشابهتهم للأرْواح، والأرواح يُقال لها اسْوِدَّة، كما في حديث الإسراء: **أنَّ رسول الله محمداً ﷺ رأى آدم ﷺ، وعَنْ يَمِينه اسْودة، وعَنْ شِمَاله اسودة، وإنَّها نَسَم بَنِيه** "[٤]، وهذه الأقوال المتعددة قويَّة، وكلٌّ منها له وجْهٌ مِنَ الدلالة بِشَكل مَلْحوظ .

" إنَّ محمداً ﷺ أُرْسِل إلى الإنس والجن، والقرآن خِطَابٌ للثَّقَلَيْن، والرسول ﷺ منهم جميعاً، كما قال ﷻ: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ (الأنعام ١٣٠)، فجعل الرُّسل التي أَرْسلها مِنَ النوعين مع أنَّهم مِنَ الإنس، فإنَّ الإنس والجن مُشْتركون، مع كَوْنهم أَحْياء ناطِقِين مَأْمورين مَنْهِيِّين، فإنَّهم يأكلون ويشربون ويَنْكِحون ويتناسلون ويتغذون ويَنْمون بالأكل

---

(١) فيض القدير – عبد الرؤوف المناوي – ٥٦٨/١ .

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير – عبد الرؤوف المناوي – ١٧٣/١ .

(٣) آكام المرجان في أحكام الجان – بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي الحنفي – ت: إبراهيم محمد الجمل – مكتبة القرآن – مصر – القاهرة – ٦٥/١ .

(٤) المصد السابق ٦٥/١ .

والشُّرْب، وهذه الأمور مُشْتَرَكة بينهم، وهُمْ يتميزون بها عَنْ المَلائكَة؛ فإنَّ الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولا تنكح ولا تتناسل، فصار الرسول ﷺ مِنْ أَنْفُس الثقلين؛ باعتبار القَدَر المشترك بينهم، الذي تميزوا به عن الملائكة، حتى كان الرسول ﷺ مبعوثاً إلى الثقلين دون الملائكة "[1] .

ومعلوم أنَّ " الآيات التي أَنْزلها الله ﷻ، على محمد ﷺ فيها خِطَاب لجميع الخَلْق، مِنَ الإنس والجن، إذْ كانت رسالته عامَّة للثَّقلين، وإنْ كان مِنْ أسباب نُزُول الآيات ما كان موجوداً في العرب، فليْس شيء مِنْ الآيات مُخْتَصاً بالسَّببْ المُعَيَّن، الذي نَزَل فيه، باتفاق المسلمين "[2]، بمعنى: أنَّ العِبْرَة بِعُمُوم اللَّفْظ، لا بِخُصُوص السَّبَبْ .

كما أنَّ الكُتُب والرسائل التي كان يحملها رُسُل النبي ﷺ إلى المُلُوك والقياصرة والأكاسرة في زمانه ﷺ، والتي كان يدعوهم فيها لاعْتِنَاق الدِّين الإسلامي، والانْقِياد لمِلَّة التوحيد الحنيفيَّة، لهُوَ دليل عملي صريح، على أنَّ رسالته ﷺ عامة لجميع الخلق، وشاملة لكل طوائف الناس باختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم[3] .

أمَّا ما تبقى مِنْ أحاديث نبوية دالة على عموم البعثة النبوية، فإني قد آثرت ذكرها في معرض الرد على مَنْ زَعَم أنَّ البِعْثة النَّبوية مَحْصورة في العرب دون غيرهم، وهذا ما تقتضيه الضرورة العِلْمية؛ فإنَّ هذه الأحاديث تُكَذِّب هذا الزعم وتدحضه كُلِّياً .

ثانياً: تَفْنيد مَزَاعِم مَنْ يَنْفي عالَمِيَّة أُمَّة محمد ﷺ .

إنَّ مِنْ أَهْل الكِتاب مَنْ ذَهَبَ إلى تصديق وإثبات رِسالة نَبِيِّنا محمد ﷺ، مع نفي كَوْنها عامَّة شاملة لجميع الناس، بل إنَّها مَحْصُورة في العرب، الذين ليس لَهُم دِين ولا كِتاب سماوي، وبالتالي القول بأنَّ أُمَّة محمد ﷺ لها حُدُود مَحْدُودة تَقِف عندها، وأَنَّ رِسالتها لا تستهدف العالَم بِمُجْمله .

ويَلْزم مِنْ هذه الدَّعْوى الباطِلَة، القول: بأنَّ أَهْل الكِتاب غير مُلْزَمين باتِّباع نبينا محمد ﷺ، واعْتِنَاق دِين الإسلام؛ فإنَّ رسالته ﷺ ليست عامة لجميع الناس، بل هي مَقْصورة على العرب دون غيرهم !

وهذه دَعْوى فاسِدة، لا أساس لها مِنْ الصِّحَّة، فـ" إنَّه مِنَ المعلوم بالضرورة، لكل مَنْ عَلِم

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى بن تيمية في التفسير ١٩٢/١٦ .

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ١٤/١٩ .

(٣) **انظر:** شرح العقيدة الطحاوية – ابن أبي العز الحنفي – ط ٤ – المكتب الإسلامي – بيروت – ١٣٩١ هـ – ١٧٨/١، **وانظر:** السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون – علي بن برهان الدين الحلبي – دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٠ هـ – ٣٦٥/١ .

أحواله ﷺ بالنَّقْل المُتَواتر، الذي هو أعظم تواتراً مما نُقِل عن موسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما، وبالقرآن المتواتر عنه وسُنَّته المتواترة عنه ﷺ، وسُنَّة خُلَفائه الراشدين مِنْ بعده، أنَّه ﷺ ذَكَر أنَّه أُرْسِل إلى أَهْل الكِتاب، اليهود والنصارى، كما ذَكَر أنَّه أُرْسِل إلى الأُمِيِّين، بل ذكر أنَّه أُرْسِل إلى جميع بني آدم، عربهم وعجمهم، مِنَ الرُّوم والفُرْس، والتُرْك والهِنْد والبَرْبَرْ والحَبَشة، وسائر الأُمَمْ، بل ذَكَر أنَّه أُرْسل إلى الثقلين، الجن والإنس جميعاً، وهذا كُلُّه مِنَ الأمور الظاهرة المتواترة عنه ﷺ، التي اتَّفَق على نقلها عنه أصحابه، مع كثرتهم وتَفَرُّق ديارهم وأحوالهم، وقد صَحِبَه عشرات الألوف لا يُحْصي عددهم على الحقيقة إلا الله ﷻ، ونَقَل ذلك عنهم التَّابعون، وهُمْ أَضْعاف الصحابة عدداً، ثُمَّ ذلك منقول قَرْناً بعد قرن إلى زماننا "[1] .

" وأمَّا قول بعض اليهود والنصارى: إنَّ محمداً ﷺ رسول إلى العرب خاصَّة، فظاهر البُطْلان، فإنَّهم لمَّا صَدَّقوا بالرِّسالة لَزِمَهُم تصديقه في كُلِّ ما يُخْبِر به، وقد قال: إنَّه رسول الله إلى النَّاس عامَّة، والرَّسُول لا يَكْذِب، فَلَزِم تصديقه حَتْماً، فقد أَرْسل رُسُلَه، وبَعَث كُتُبه في أَقْطار الأرض، إلى كِسْرى وقَيْصَر والنَّجَاشي والمُقَوْقِس، وسائر مُلوك الأطراف يَدْعو إلى الإسلام "[2] .

وإنَّ القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبوية مَلِيئان بما يُكذب دَعْوى حَصْر بِعْثته ﷺ في العرب فقط دون غيرهم، وما يؤكد عُمُوم بِعْثته ﷺ، للناس كافَّة، بل للخَلْق أجمعين، وذلك كما يلي:

١ـ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (آل عمران ٨١) .

تُخْبِرنا الآية الكريمة، أنَّ الله ﷻ قد أَخَذ على أنبيائه عليهم السلام ميثاقاً غليظاً، وعهداً مَتِيناً، أَلَا وهو الإيمان بِرِسالة محمد ﷺ ونُصْرَته، في حال بُعث فيهم، وفي أقوامهم، فأخذ الله ﷻ من أنبيائه إقراراً صريحاً بيناً، على هذا الميثاق، وإنَّ مما يُعَظِّم هذا الميثاق أنَّ الله ﷻ عليه مِنْ الشَّاهدين، وكفى به شهيداً، قال ابن عباس رضي الله عنهما: " ما بَعَث الله نَبياً، إلَّا أَخَذ عليه الميثاق، لئن بُعِثَ محمد ﷺ، وهو حَيٌّ، لَيُؤمنن به ولِيَنْصُرَنَّه، وأَمَره أنْ يأخذ على أُمَّته الميثاق، لئن بُعِث

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – أحمد عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية – ت: علي سيد صبح المدني – مطبعة المدني – مصر – ١٦٢/١،١٦٣ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية – ابن أبي العز الحنفي – ط ٤ – المكتب الإسلامي – بيروت – ١٣٩١ هـ – ١٧٨/١، وانظر: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون – علي بن برهان الدين الحلبي – دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٠ هـ – ٣٦٥/١ .

محمد ﷺ وهم أحياء، ليؤمنن به وليتبعنَّه "[1]، " وقد وُجِدت البِشَارات به في الكُتُب المُتَقَدِّمة، وهي أَشْهَر مِنْ أنْ تُذْكر، وأكثر مِنْ أنْ تُحْصَر "[2] .

٢ـ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾ (النساء ٤٧) .

يُوَجِّه الله ﷻ خطاباً صريحاً ومباشراً، لأهل الكتاب، وذلك يتضمن الدعوة صراحةً للدخول في دِين محمد ﷺ، دِين الإسلام، وأنهم مُطَالبون باتباعه والانْقِياد له، ولنْ يُقْبَل منهم سوى ذلك، " فإنَّهم إنْ لَمْ يؤمنوا بهذا القرآن، فإنهم لم يؤمنوا بِمَا في أيديهم مِنَ الكُتُب، لأنَّ كُتُب الله ﷻ يُصَدِّق بعضها بعضاً، ويوافق بعضها بعضاً، فدعوى الإيمان ببعضها دون بعض، دعوى باطلة، لا يمكن تصديقها، وفي قوله تعالى: ﴿ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾، حَثٌّ لهم، وأَنَّهم يَنْبغي أنْ يَكُونوا قَبْل غيرهم مُبَادرين إليه؛ بسبب ما أَنْعَم الله عليهم به مِنَ العِلْم والكِتاب، الذي يُوجب أنْ يكون ما عليهم أعظم مِنْ غيرهم، ولهذا تَوَعَّدهم على عَدْم الإيمان، فقال تعالى: ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾ ، وهذا جزاء مِنْ جِنْس ما عملوا، فكما تركوا الحق، وآثروا الباطِل وقَلَبوا الحقائق، فجعلوا الباطل حقاً، والحق باطلاً، جُوزوا مِنْ جنس ذلك، بِطَمْس وجوههم، كما طَمَسوا الحق، ورَدُّها على أدبارها، بأنْ تُجْعل في أَقْفَائهم، وهذا أَشْنَع ما يكون "[3] .

قال ابن عباس ﷺ: " وطَمْسها، أنْ تُعْمى، وقوله تعالى: ﴿ فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا ﴾ ، أي: أنْ نجعل وُجُوههم مِنْ قِبَل أَقْفِيَتهم، فيمشون القَهْقَري، ونجعل لأحدهم عَيْنَيْن في قَفَاه "[4] .

وقد فَهِم الصحابي الجليل كعب الأحبار ﷺ هذه الآية، وأدرك معناها، على أكمل وَجْه، حينما كان كِتَابياً قَبْل إسلامه، فقال وهو يُحَدِّث عن قصة إسلامه: " إني ذات ليلة فوق سَطْح، إذا برَجُل مِنَ المسلمين، يَتْلو كتاب الله، حتى أتى على هذه الآية، فلمَّا سَمِعْتُها، خشيْت الله ألاَّ أُصبِح حتى يُحَوّل وَجْهي في قفاي، فما كان شيء أحب إلي مِنَ الصَّباح،

---

(١) صحيح السيرة النبوية – الألباني – ص ٥٢، فتح الباري – ابن حجر – ٤٣٤/٦، البداية والنهاية – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء – مكتبة المعارف – بيروت – ١٧٨/٦ .

(٢) البداية والنهاية – ابن كثير – ١٧٨/٦ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن – عبد الرحمن السعدي – ١٨١/١ .

(٤) جامع البيان – الطبري – ١٢١/٥ .

فغدوْت على عمر بن الخطاب ﷺ، فأسلمت حين أصبحت "[1] .

ولولا أنَّه كان ﷺ مُتَأكداً مِنْ صِدْق ما سَمِع لمَا أسْلم، ومِمَّا لا شك فيه أنَّ أَهْــل الكِتَــاب قد وجدوا هذا فـــي كتبـــهـــم أيضاً .

" وهذا القرآن الذي يَعْرف كُل أَحَد أَنَّه الكِتاب الذي جاء به محمد ﷺ، مَمْلــوء مِنْ دعـــوة أَهْل الكِتاب إلى إتباعه، ويُكَفِّر مَنْ لمْ يتبعه منهم، ويَذِمُّه ويلعنه والوعيد له، كـــمــا في تكفيــر مَنْ لمْ يتبعه مِنَ المشركين، وذَمِّــه والـــوعيــد له، كما قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا . . . ﴾ ، وفي القرآن مِنْ قوله تعـــالى: يـــا أَهْــل الكتـــاب، يـــا بنـــي إســـرائيل، ما لا يُحْصى إلاَّ بِكُلْفة، وقال تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ (البينة ١)، إلى قوله: ﴿ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة ٧)، ومِثْل هــذا فـــي القرآن كثير جداً ... فإذا عُلِم بالاضْطِّرار بالنَّقْل المُتَواتر، أنَّه ﷺ دعا أَهْل الكِتاب إلـــى الإيمان به، وأنَّه حَكَم بِكُفْر مَنْ لمْ يؤمن به منهم، وأنه أَمَر بقتالهم حتى يُسْلموا، أو يُعْطوا الجزْيَة عنْ يَدٍ وهُمْ صاغِرون، وأنَّه قاتلهم بنفسه وسراياه، وأنَّه ضَرَب الجزيَّة عليهم، وقَتَل مُقَاتِلتهم وسَبى ذراريهم، وغَنَم أَمْوالهم "[2] .

فالآيات المَذْكورة هنا، وفي أَوَّل المطلــب، تــدل دلالـــة واضـــحة علـــى عُمُـــوم بعْثـــة رسول الله محمد ﷺ للناس أجمعين، بِمَنْ فيهم أَهْــل الكِتَـــاب، وأنَّهـــم مُطـــالبون باتباعـــه ﷺ، والانقياد لدِينه، وما سِوى ذلك فخروج عَنْ طاعة الله ﷻ .

٣ـ قـــال رســـول الله ﷺ: **(والـذي نَفْـس محمـدٍ بِيَـدِه، لا يَسْـمع بـي أَحَـدٌ مِـنْ هـذه الأُمَّـة، يَهُودي ولا نَصْراني، ثُمَّ يموت ولمْ يؤمن بالذي أُرْسِلْت بـه، إلا كان مِنْ أصحاب النَّـار)**[3] .

أَقْسَم النبي ﷺ في حديثه الشريف، على أنه لا نجاة ليهـــودي ولا نصـــراني مِـــنَ النـــار، إنْ سَمِع بِرِسالته ﷺ ولم يؤمن بها .

وليس بعد ذلك صراحةً في إلزام اليهود والنصارى باتباع مـــحـــمد ﷺ في دِينه الحنيـــف، والانقياد له، ويتضح المعنى أكثر مِنْ خِلال معرفة سبـــب وُرُود الحـــديـــث .

" فقد جاء رَجُل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، رَأَيْتُ رجُلاً مِنَ النَّصارى مُتَمَسِّكاً

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل – محمد الغرناطي – ٤٩/٢ .

(٢) مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ٢٠٤/٤،٢٠٥ .

(٣) صحيح مسلم ١٣٤/١ – كتاب الإيمان – ٧٠ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، إلـــى جميـــع الناس، ونسخ الملل بملته – حديث رقم ١٥٣ .

بالإنْجيل، ورجُلاً مِنَ اليهود متمسكاً بالتَّوْراة، يؤمن بالله ورسوله، ثُمَّ لمْ يَتَّبعك، فقال رسول الله ﷺ: فذكر الحديث "[1] .

وعن سعيد بن جبير ﷺ قال: " كنْت لا أَسْمع بحديث عَنْ النبي ﷺ، إلاَّ وجدتُ مِصْداقه أو قال تَصْديقه في القرآن، فبَلَغني أنَّ النبي ﷺ قال: _ وذَكَر الحديث _، فَجَعلتُ أَقُول: أين مِصْداقه في كِتاب الله؟ وقلَّما سمعت عنْ رسول الله ﷺ إلاَّ وجدتُّ له تَصْديقاً في القرآن، حتى وَجَدتُّ هذه الآية من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ﴾ (هود ١٧)، و﴿ ٱلْأَحْزَابِ ﴾: هي المِلَلْ كلِّها "[2] .

" فإذا كان الأمر كذلك، فإنه يَلْزم بأنَّ محمداً ﷺ رسول الله إلى كُلِّ الطوائف، فإنَّ القرآن الكريم يُقَرِّر بأنَّه رسول اللـه إلى أَهْل الكِتاب وغيرهم، فإنَّ رسول الله لا يَكْذب، ولا يُقاتل الناس على طاعته بغير أَمْر اللـه، ولا يَسْتَحِل دِماءَهم وأموالهم وديارهم بغير إذْن الله ﷻ "[3] .

٤ـ قال رسول الله ﷺ: **(لو كان موسى حياًّ، بيْن أَظْهُركم ما حَلَّ له إلاَّ أنْ يَتَّبِعني)**[4] .

هكذا يكون النبي ﷺ قد أقام الحُجَّة على أَهْل الكِتاب، بنَبيِّهم موسى عليه السلام، وذلك بالميثاق الذي أَخَذَه الله عليه وعلى جميع الأنبياء عليهم السلام، كما ذُكِرنا آنفاً، وبهذا فإن النبي ﷺ قد أَقام الحُجَّة على أَهْل الكِتاب مِنْ أساسهم، فهل بعد الهُدى إلَّا الضَّلال؟! .

" والمقصود أنَّ الله ﷻ اختصَّ نَبِيَّه محمد ﷺ بعُمُوم الرِّسالة إلى الثَّقلين، ولَمْ يَقْبل مِنْ أَحَدٍ صَرْفاً ولا عَدْلاً، إلاَّ باتباعه، ولا يَصِل أحدٌ دار السَّلام، التي دعا الله إليْها عِباده، إلاَّ مِنْ طريقه، فهو ﷺ أكْرَم الرُّسل، وأُمَّته خَيْر الأُمَمْ، وشريعته أكْمَل الشرائع، وكِتابه مُهَيْمن على كُل كِتاب، أُنْزل لا نَسْخ له بعده، ولا تغيير ولا تَحْويل ولا تَبْديل، وأَيَّده الله ﷻ بالمُعْجزات

---

(١) البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف – إبراهيم بن محمد الحسيني – ت: سيف الدين الكاتب – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠١ هـ – ٢٩٥/٢ .

(٢) جامع البيان – الطبري – ١٩/١٢، تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٤٤١/٢ بتصرف .

(٣) مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ٢٠٦/٤ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٣٣٨/٣ – أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني – مؤسسة قرطبة – مصر – من حديث جابر بن عبد الله برقم ١٤٦٧٢، وحَسَّنه الألباني رحمه الله في كتاب: مختصر العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها – الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي – اختصره وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني – ط ٢ – ١٤١٢ هـ – المكتب الإسلامي – بيروت – ٥٩/١ .

الظاهرة، والآيات البـــاهِـــرة "[1] .

ولو كان أَهْل الكِتاب مُتَّبعين أنبياءهم حقيقةً كما يَزْعمون، لمَا تأخروا عن الإيمان بِرِســـالة رسول الله محمد ﷺ واتباعه طَرْفة عَيْن .

ثالثاً: الفارِق بَيْن عُمُوم بعْثته ﷺ، وعُمُوم بعْثة نبي الله نُوح عليه السلام .

تَكَلَّم أَهْل العِلْم في هذا الموضوع كثيراً، ووضعوا أجوبة شافية لِتَوْضيح الفارق بين عُمُوم البِعْثتين؛ وذلك لإزالة أي إشكال، قد يَطْرأ على الأذهان، خاصةً عندما يُسيئ البعض فَهْم حديث الشفاعة والذي جاء فيه قَوْل أَهْل المَوْقف لِنُوح عليه السلام: " أنت أَوَّل رسول إلى أَهْـــل الأرض "[2]، وبدعائه على أَهْل الأرض بالهلاك، فأُهلكوا إلَّا المؤمنين، وأنَّ ذلك قد يكون إشارة إلى عُمُـــوم بِعْثته عليه السلام، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء ١٥) .

مِنْ هذا المُنْطلق، قد يَظُنُّ البعض، أنَّ رِسالة نُوح عليه السلام كانت عامة، وبالتالي فلا خُصُوصـــية لِنَبِيِّنا محمد ﷺ في عُمُوم بِـــعْـــثتـــه .

وهذا مُخالف للفهم السليم للأدلة الشرعية، فقد أجاب أَهْل العِلْم بأجوبة مُهِمَّة بهذا الصَّـــدَدْ، منها[3]:

١ـ أنَّ هذا العموم لمْ يَكُنْ في أَصْل بِعْثة نُوح عليه السلام، وإنَّمـــا اتَّفَـــق بالحـــادث الـــذي وقـــع، وهو انْحِصار الخَلْق في المَوْجودين، بعد هلاك سائر الناس، وأمَّا نبينـــا ﷺ، فَعُمُـــوم رِســـالته مِنْ أَصْل البِعْثة، فثبت اختصاصه بذلك .

وأما قول أَهْل الموقف لِنُوح عليه السلام ...، فليس المُراد به عموم بعثته، بَلْ إثْبات أَوَّلِية إرْساله، وعلى تقدير أنْ يكون مُراداً، فهو مخصوص بِتَنْصيصه جل جلاله في عدة آيـــات، علـــى أنَّ إرســـال نُوح عليه السلام كان إلى قومه، ولمْ يَذْكر أنَّه أُرْسل إلى غيرهم .

واستدل بعضهم لعموم بعثته عليه السلام، بكونه دعا على جميع مَنْ في الأرض، فأُهْلكوا بالغَرَق، إلاَّ أَهْل السفينة، ولو لمْ يَكُنْ مَبْعوثاً إليهم لمَا أُهْلكوا ...

الجواب: يُحْتمل أنْ يكون دعاؤه قومه إلى التوحيد، بَلَغ بقيَّة الناس، فتمادوا على الشِّـــرْك،

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول – حافظ بن أحمد حكمي – ت: عمر بن محمود أبو عمر – ط ١ – دار ابن القيم – الدمام – ١٤١٠ هـــ – ١٩٩٠ م – ١٠٩٩/٣ .

(٢) المستدرك على الصحيحين ٥٩٥/٢ – الحاكم النيسابوري – كتاب تواريخ المتقـــدمين مـــن الأنبيـــاء والمرسلين عليهم السلام – ذكر نوح عليه السلام – حديث رقم ٤٠٠٥، وقال ابن حجر رحمه الله: حديث صحيح أ.هـــــ (فتح الباري – ٤٣٦/١) .

(٣) المصدر السابق ٤٣٦/١، ٤٣٧، **وانظر:** عمدة القاري – بدر الدين العيني – ٨/٤، ٩ .

فاسْتحقوا العِقاب .

وإلى هذا نَحَا بن عطية ﷺ في تفسير سورة هود، فقال: وغير مُمْكن أنْ تكون نُبُوَّته ﷺ، لمْ تبلغ القريب والبعيد لِطُول مُدَّته . أ.هـ

ووَجَّهَه ابن دقيق العيد: بأنَّ توحيد الله ﷻ يَجُوز أنْ يكون عاماً، في حق بعض الأنبياء عليهم السلام، وإنْ كان التزام فُرُوع شريعته ليس عاماً؛ لأنَّ منهم مَنْ قاتل غير قَوْمه على الشِّرْك، ولو لم يَكُنْ التوحيد لازماً لهم لمْ يُقَاتلهم .

ويُحْتمل أنَّه لمْ يَكُن في الأرض عند إرْسال نُوح ﷺ إلاَّ قَوْمه، فبعثته ﷺ خاصة؛ لِكَوْنها إلى قَوْمه فقط، وهي عامة في الصُّورة، لِعَدم وُجُود غيرهم، لكن لو اتَّفق وُجُود غيرهم، لمْ يكُن مَبْعوثاً إليهم .

٢ـ وثَمَّة فارقٌ آخر بين عموم البعثتين هو: " أنَّ الخصوصية لِنَبِيِّنا ﷺ في عموم بعثته، بقاء شريعته إلى يوم القيامة، ونُوح ﷺ وغيره بِصَدَدْ أنْ يُبْعث نبي في زَمَانه أو بعده، فَيَنْسخ بعض شريعته "(١) .

إذن فملخص الفارق بين عموم البعثتين، يَبْرز في نقاط، هي:

- مِنْ حيث أَصْل البِعْثة: إنَّ رِسالة نَبِيِّنا محمد ﷺ هي عامة مِنْ أَصْل البِعْثة، أمَّا عموم رِسالة نُوح ﷺ ليست كذلك، بل هو عموم بسبب انحصار الخَلْق في الموجودين بعد هلاك الناس .
- مِنْ حيث مُدَّة الرِّسالة: إنَّ شريعة نبينا محمد ﷺ باقية إلى يوم القيامة، لا تُنْسخ، أمَّا شريعة نُوح ﷺ، فَمَنْسوخة بِمُجَرَّد بِعْثة نبي جديد، بِشَرْعٍ جديد، فهي ليست شريعة عامَّة لجميع الأَزْمِنَة .
- نصوص القرآن الكريم دلَّت صراحةً على بِعْثة نُوح ﷺ في قَوْمه، في حين كانت صريحة في الدَّلالة على عُمُوم بِعْثة رسول الله محمد ﷺ .

رابعاً: حُكْم إنْكار عُمُوم بعْثته ﷺ .

إنَّ عموم بعثة نَبِيِّنا محمد ﷺ، هو معلوم مِنَ الدِّين بالضرورة، ورُكْن أساسي في دِيننا الحنيف، فمَنْ أنْكره، فقد أنْكر شَيْئاً مِمَّا أجْمَع عليه المسلمون، سَلَفاً وخَلَفاً، وهذا شَرْخٌ عظيم في العقيدة، يُوْقِع صاحِبه في الكُفْر _ والعِياذ بالله _، وهذا قَوْل المُتَقدمين والمُتَأخرين مِنْ أَهْل العِلْم .

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – ١/٤٣٧، **وانظر:** السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون – علي بن برهان الدين الحلبي – دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٠ هـ – ١/٣٦٥ .

فقد " أُرْسل محمد ﷺ للناس كافَّة، الإنس والجن، إجْماعاً معلوماً مِنَ الـدِّين بالضـرورة، فَيَكْفر جاحِد ذلك "[1] .

وقال ابن تيمية رحمه الله: " إنَّ الذي يَدِين به المسلمون: أنَّ محمـداً ﷺ رسـول إلى الثقلـين الإنس والجن، أَهْل الكِتاب وغيرهم، وأنَّ مَنْ لمْ يؤمن به فهو كافر، مُسْـتحق لعـذاب الله ﷻ، مُسْتحق للجهاد، وهو مِمَّا أَجْمع أَهْـل الإيمـان بـالله ورسـوله عليـه؛ لأنَّ الرسـول ﷺ هو الذي جاء بذلك، وذَكَره الله في كِتابه، وبَيَّنـه الرَّسـول ﷺ أيْضـاً فـي الحِكْمـة المُنَزَّلـة عليـه مِـنْ غيـر الكِتـاب "[2] .

---

(١) السيرة الحلبية – علي بن برهان الدين – ٣٨٢/٣ .

(٢) الجواب الصحيح – ابن تيمية – ٣٦٨/١ .

المطلب الثاني

عُمُوم البِعْثة النَّبَوِيَّة تَشْمل عالَم الجِنْ

إنَّ الجن كالإنْس في وُجُوب اتِّباع رسول الله محمد ﷺ في رِسالته، والانْقياد له فيما جاء به، وعدم مُخَالفته ظاهراً وباطناً، لا في صغير ولا في كبير، فإنَّ البعثة النبوية شاملة لَهُمْ، فَهُم في دائرة التكليف داخلون دُخولاً حَتْمياً .

وقد جاء تفصيل ذلك في نُصُوص الكِتاب والسُّنَّة، والتي سنتناول بعضاً منها شرحاً وتحليلاً، بِمَا يؤدي إلى إحاطة شاملة بالموضوع .

أَوَّلاً: أدلة شُمول بعثته ﷺ لعالَم الجن:

١ ـ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الأحقاف ٢٩،٣٠،٣١) .

تَحْكي الآية الكريمة قِصَّة عجيبة، جاء فيها سَماع الجن لِتِلاوة القرآن الكريم، مع الإشارة إلى أنَّه كان أول سماع للقرآن الكريم مِنْ قِبَل الجن .

فقد " قرأ النبي ﷺ عليهم القرآن، وأَمَرَهم ونَهاهم، وفيه أنَّ أَمْره ونهيه لَهُم، دليلٌ على أنَّه ﷺ كان مَبْعوثاً إلى الجن والإنس جميعاً "[(١)] .

وكان ذلك في سِياق حادِثَة مُعيَّنة وقعت، وهي أنَّ السماء لمْ تكُنْ تُحْرس مِنَ الجن، في الفترة ما بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، فقد كانوا يقْعدون منها مَقاعِد للسمع، فلمَّا بَعَث الله رسوله محمداً ﷺ، حُرِسَت السماء حَرَساً شديداً، ورُجِمَت الشياطين، فأنْكروا ذلك، فقال إبْليس: لقد حَدَثَ في الأرض حَدَثْ، واجْتمعت إليه الجن، فقال: تفرقوا في الأرض، فأخبِروني ما هذا الخَبَر الذي حدث في السماء، وكان أَوَّل بَعْث مِنْ أَهْل نصيبين، وهُمْ أشْراف الجن وساداتهم،

---

(١) غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر – زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن بكر المشهور بابن النجيم الحنفي – ت: شرح مولانا السيد أحمد بن محمد الحنفي الحموي – ط ١ – دار الكتب العلمية – لبنان/بيروت – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م – ٤١٥/٣ .

فبعثهم إلى تُهامة، فاندفعوا حتى بلغوا الوادي، وادي نخلة، فوجدوا نبي الله محمداً ﷺ يُصَلِّي صلاة الغداة، ببطن نخلة، فلمَّا سمعوه يتلو القرآن، قالوا أنْصتوا، ولمْ يكُن نبي الله يَعْلم أنَّهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن، فلمَّا قُضِيَ ولوْا إلى قومهم مُنْذرين[١] .

" ثُمَّ أَمَر الله ﷻ نَبيَّه محمداً ﷺ أنْ يُخْبر الناس بذلك، فقال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ (الجن ١) الخ، فأَمَره أنْ يقول ذلك لِيَعْلم الإنس بأحوال الجن، وأنَّه مَبْعوث إلى الإنس والجن، لِمَا في ذلك مِنْ هدى الإنس والجن إلى ما يَجِب عليهم، مِنَ الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر، وما يجب مِنْ طاعة رُسُله، ومِنْ تحريم الشِّرك بالجِنْ وغيرهم "[٢] .

وإنَّ ما جاء في الآيات الكريمة مِنْ سورة الأحقاف، يَدُل على تكليف الجن مِنْ وُجُوه مُتعددة، وهي[٣]:

أ- أنَّ الله ﷻ صرَفهم إلى رسوله يستمعون القرآن؛ ليؤمنوا به، ويأتمروا بأوامره، ويَنْتهوا عَنْ نواهيه .

ب- أنَّهم ولَوْا إلى قومهم مُنْذرين، والإنذار: هو الإعلام بالخوف بعد انْعقاد أسبابه، فَعُلِم أنَّهم مُنْذرون لهم بالنار، إنْ عصوْا الرسول .

ت- أنَّهم أَخْبروا بسماعهم القرآن، وأنَّهم عَقَلوه وفهموه، وأنَّه يهدي إلى الحق، وهذا القول مِنْهم يدل على أنَّهم عالِمون بموسى ﷺ، وبالكِتاب المُنَزل عليه، وأنَّ القرآن مُصدقٌ له، وأنَّه هادٍ إلى صراط مستقيم، وهذا يدل على تَمَكُّنهم مِنَ العِلْم الذي تقوم به الحُجَّة، وهمْ قادرون على امْتثال ما فيه، والتكليف إنَّما يستلزم العِلْم والقُدْرة .

ث- أنَّهم قالوا لِقَوْمهم: ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴾، وهذا صريح في أنَّهم مُكَلَّفون مأمورون بإجابة الرسول ﷺ، وهي تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أَمَر .

ج- أنَّهم قالوا:﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾، والمَغْفِرة لا تكون إلاَّ عَنْ ذَنْب،

---

(١) **انظر:** جامع البيان – ابن جرير الطبري – ٣٠/٢٦، معالم التنزيل – البغوي – ١٧٣/٤، وقال الحاكم في المستدرك ٤٩٥/٢ – كتاب التفسير – تفسير سورة الأحقاف – حديث رقم ٣٧٠١ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه .

(٢) مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ٣٣/١٩ .

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين – محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله – ت: عمر بن محمود أبو عمر – ط ٢ – دار ابن القيم – الدمام – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م – ٦٢٢/١،٦٢٣ بتصرف يسير .

وهو مُخالفة الأمْر .

ح- أنَّهم قالوا: ﴿ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾، وهذا يدل على أنَّ مَنْ لمْ يستجب مِنْهم لِداعي الله، لَمْ يُجِره مِنْ العذاب الأليم، وهذا صريح في تَعَلُّق الشريعة الإسلامية بِهِم .

خ- أنَّهم قالوا: ومَنْ لا يُجِب داعي الله فليس بِمُعْجز في الأرض، وليس له مِنْ دونه أوْلياء، وهذا تهديد لِمَنْ تخلَّف عَنْ إجابة داعي الله مِنْهم، وقد اسْتُدِل بها على أنَّهم كانوا مُتَعبدين بشريعة موسى ، كما هُمْ متعبدون بشريعة محمد ﷺ، وهذا مُمْكِن، والآية لا تَسْتلزمه .

هذه جُمْلة مِنَ النِّقَاط الهامَّة، التي اسْتُنْبِطَت مِنَ الآية الكريمة، وما فيها مِنْ دلالة واضحة، على شُمُوليَّة البِعْثة النَّبوية، لِعَالَم الجن .

" والدليل _ أيضاً _ على أنَّهم مُكَلَّفون، ما في القرآن مِنْ ذَمِّ الشَّياطين، ولَعْنِهم والتَّحَرز مِنْ غَوائلهم وشرِّهم، وذِكر ما أعدَّ الله لهم مِنَ العذاب، وهذه الخِصَال لا يفعلها الله ﷻ، إلاَّ لِمَنْ خالَف الأمر والنهي، وارْتكب الكبائر، وهَتَك المَحَارم مع تمكُّنه مِنْ أنْ لا يفعل ذلك، وقُدْرته على فعل خلافه .

ويدُل على ذلك أيضاً، بأنَّه كان مِنْ دِين رسول الله محمد ﷺ، لَعْن الشياطين، والبيان عن حالهم، وأنَّهم يَدْعون إلى الشر والمعاصي، ويُوَسْوِسون بذلك، وهذا كُله يَدُل على أنَّهم مُكَلَّفون .

وذلك كقوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ (الجن ١)، إلى قوله: ﴿ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ (الجن ٢)، إلى غير ذلك مِنَ الآيات الدَّالَّة على تكليفهم، وأنهم مأمورون مَنْهيون "[١] .

٢ـ قال تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ (الأنعام ١٣٠) .

هذه الآية دليلٌ آخر، على شموليَّة البِعْثة النَّبوية لعالَم الجن، وأنَّ الإنس والجن في التكليف سواء، فقد أُرْسلت لَهُمْ الرُّسل، وأُنْزلت عليهم الكُتُب، وهمْ مُحاسَبون أمام الله يوم القيامة، وعلى أنْفُسهم شاهدون، " فهذا خِطاب للصنفيْن، وهو صريح في اشتراكهم في التكليف "[٢] .

---

(١) آكام المرجان – بدر الدين الحنفي – ٦٢/١ .

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين – محمد بن أبي بكر الزرعي – ٦٢٢/١ .

" وفيه دلالة على أنَّ الجن كانوا مُتَعبدين بشرائع الرُّسُل قَبْل محمد ﷺ، ... وعلى هذا فيكون اختصاص نَبِيِّنا ﷺ بالبعثة إلى الثقلين، هو اختصاصه بالبعثة إلى جميعهم، لا إلى بعضهم، ومَنْ قَبْله كان يُبْعث إلى طائفة مَخْصوصة "(١) .

" فإنَّ رسول الله محمد ﷺ أُرْسل إلى الإنس والجن، والقرآن خِطاب للثقلين، والرسول ﷺ مِنْهم جميعاً، كما قال تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾، فجعل الرُّسل التي أرْسلها مِنَ النَّوْعين، مع أنَّهم مِنَ الإنس، فإنَّ الإنس والجن مُشتركون مع كونهم أحياء ناطقين مأمورين مَنْهيين، فإنَّهم يأكلون ويشربون، وينكحون ويتناسلون، ويتغذون وينمون بالأكل والشرب، وهذه الأمور مُشتركة بينهم "(٢) .

" وفي التَنْزيل: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ (الرحمن ٢٢)، أي: مِنْ أحدهما، وإنَّما يَخْرج مِنَ الملح دون العَذْب، فكذلك الرُّسل مِنَ الإنس دون الجن، فمعنى مِنْكم، أي: مِنْ أحدكم، وكان هذا جائزاً؛ لأنَّ ذِكْرهما سَبَق، وقيل: إنَّما صَيَّر الرُّسل في مَخْرج اللَّفظ مِنَ الجميع؛ لأنَّ الثقلين قد ضَمَّتهما عَرَصَة القيامة والحِسَاب عليهم دون الخَلْق، فَلَمَّا صاروا في تلك العَرَصة في حِسَاب واحد، في شأن الثواب والعقاب، خُوطِبوا يومئذٍ بِمُخاطبة واحدة، كأنَّهم جماعة واحدة "(٣) .

وقال أَهْل العِلْم: " المُراد بالرُّسل مِنَ الجن نُذُرهم، الذين يَسْمعون كلام الرُّسل فَيُبلغونه إلى قوْمهم، ويَشْهد لهذا: أنَّ الله ﷻ ذَكَر أنَّهم مُنْذِرون لقومهم، في قوله: ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ (الأحقاف ٢٩) "(٤) .

وقد رُوِي عن ابن عباس ﷺ قوله: " الرُّسل مِنْ بني آدم، ومِنَ الجن نُذُر "(٥)، بهذا تَتَبيَّن طريقة وُصُول الدَّعوة لِلْبَشَر على لِسَان الرُّسل، وطريقة وُصُولها إلى الجن على لِسَان النُّذُر .

وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا ﴾، أي: " أقْرَرْنا أنَّ الرُّسل قد بلغونا رسالاتك، وأنْذرونا لقاءك، وأنَّ هذا اليوم كائنٌ لا مَحَالة، وقوله: ﴿ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾، أي: وقد فَرَّطوا

---

(٢) المصدر السابق .

(٣) مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ١٩٢/١٦ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – ٨٦/٧، **وانظر:** تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ١٧٨/٢ .

(٥) أضواء البيان – الشنقيطي – ٤٩٣/١ .

(٦) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ١٧٨/٢، **وانظر:** النبوات – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس – المطبعة السلفية – القاهرة – ١٣٨٦ هـ – ٢٧٧/١ .

في حياتهم الدنيا، وهَلَكوا بتكذيبهم الرُّسل، ومخالفتهم للمعجزات، لِمَا اغْترُّوا به مِنْ زُخْرُف الحياة الدنيا وزينتها وشهواتها، ﴿ وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾، أي: يوم القيامة، ﴿ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾، أي: في الدنيا، بِمَا جاءتهم به الرُّسل عليهم السلام "[1] .

٣ـ قال رسول الله ﷺ: **(أتاني داعي الجن، فأتيتهم فَقَرأت عليهم،** ـ وسألوه الزَّاد، وكانوا مِنْ جن الجزيرة ـ فقال: **كُل عَظْم يُذْكر اسم الله عليه، يَقَع في أيديكم أَوْفَر ما كان لَحْماً، وكُلُّ بَعَرة أو رَوْثة عَلَف لِدَوابكم،** ـ ثم قال للناس ـ: **فلا تَسْتَنْجوا بِهِما، فإنَّهما زادُ إخوانكم الجن)**[2] .

يُخْبرنا الحديث الشريف أنَّ الإنس والجن، في التكاليف الشرعية سواء، فهذا القرآن الكريم الذي يَتَعبَّد البَشَرُ رَبَّهم بتِلَاوته، فإنَّ الحال كذلك عند الجن، فجميع الخَلْق مُطَالبون ومُلْزمون بالإيمان برِسالة نبي الله محمد ﷺ، والكِتاب المُوْحى إليه .

ولكن يُشِير الحديث، إلى أنَّ هناك بعض الاختلاف في الأحكام العملية الخاصة بالجن، عن بعض الأحكام العملية المُتَعلِّقة بالبشر، وكُلُّه وَحْيٌ مِنَ الله ﷻ، ومِنْ دِين الإسلام الحنيف، أمَّا في أُصُول الدِّين، فلا اختلاف ولا تباين، فالجميع فيها سواء، مُوَحَّدون فيها جُمْلةً وتفصيلاً .

وإلى ذلك يُشِير ابن حجر رحمه الله بقوله: " وإذا تَقَرَّرَ كَوْنهم مُكَلَّفين، فَهُمْ مكلفون بالتوحيد وأركان الإسلام، وأمَّا ما عدَاه مِنَ الفُرُوع فاخْتُلِف فيه؛ لِمَا ثَبَت مِنَ النَّهي عنْ الرَّوَث والعَظْم، وأنَّهما زادُ الجن "[3] .

وفي الحديث دليل على أنَّ الجن قد استمعوا لتِلَاوة القرآن مِنَ النبي ﷺ أكثر مِنْ مَرَّة، " فإن داعيَهم أتى النبي ﷺ، فَذَهَب ﷺ إليهم قاصداً، واجتمع بهم، وقرأ عليهم القرآن، وهي واقعة أُخْرى بلا شك، غير الواقعة التي رواها ابن عباس رضي الله عنهما المَذْكورة في القرآن "[4] .

وقد رُوِيَ أنَّه ﷺ لَمَّا قرأ عليهم سورة الرحمن، وتلا: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

---

(١) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ١٧٨/٢ .

(٢) سنن الترمذي ٣٨٢/٥ – كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ – باب ومن سورة الأحقاف – حديث رقم ٣٢٥٨ – وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح .

(٣) فتح الباري – ابن حجر – ٣٤٥/٦ .

(٤) فتاوى السبكي – الامام أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي – دار المعرفة – لبنان/ بيروت – ٦٠٠/٢ .

(الرحمن ١٣)، قالوا: **ولا بشيء مِنْ نِعْمتك ربنا نُكَذِّب، فلك الحمد**[١] .

فالقرآن الكريم الذي أُنْزل على محمد ﷺ فيه خِطاب للثقلين، " ودليل ذلك ما نَطَق به القرآن مِنْ دعائهم إلى الإيمان، بقوله في مواضع مِنْ كِتابه: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ...﴾ "[٢] .

ثانياً: إجماع المسلمين .

إنَّ عُمُوم بِعْثته ﷺ لجميع الخَلْق، وشُمُولها لعالَم الجن ضرورةً، هي مسألةٌ لمْ تجد لها طريقاً للخلاف بين أَهْل العِلْم، بل اتفقوا على أنَّ بعثته ﷺ عامَّة للثقلين، وذلك بالنصوص الشرعية التي أَثْبتت هذه المسألة وشَدَّدت عليها .

" فلا شك في أنَّ سيدنا محمداً ﷺ رسول الله إلى الإنس والجن، كما دَلَّ عليه الكتاب والسنة، وانْعَقَد عليه الإجماع "[٣]، " فَلَمْ يُخالف أَحَدٌ مِنْ طوائف المسلمين، في أنَّ الله ﷻ أَرْسل محمداً ﷺ إلى الجن والإنس، وحاصِل فِقْه هذه المسألة، أنَّ الجن مكلفون على لِسَان نَبِيِّنا ﷺ، بِدَلالة الكِتاب والسُّنَّة، وإجماع المسلمين "[٤] .

فقد ذَكَر أَهْل العِلْم بهذا الخُصُوص ما نَصُّه: " الجن مكلفون في الجُمْلة إجماعاً، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات ٥٦) "[٥] .

وقال السُّبْكي ؒ: " كَوْنه ﷺ مَبْعوثاً إلى الإنس والجن كافَّة، وأنَّ رِسالته شاملة للثقلين، فلا أَعْلم فيه خِلَافاً، ونَقَل جَمَاعةٌ الإجماع عليه "[٦] .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥١٥/٢ – كتاب التفسير – ٥٦ تفسير سورة الرحمن – حديث رقم ٣٧٦٦ .

(٢) التمهيد لابن عبد البر ١١٧/١١ .

(٣) التقرير والتحرير في علم الأصول – ابن أمير الحاج – دار الفكر – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م – ١٠/١ .

(٤) آكام المرجان – بدر الدين الحنفي – ٦٥/١ .

(٥) شرح منتهى الإرادات – منصور بن يونس بن إدريس البهوتي – ط ٢ – عالم الكتب – بيروت – ١٩٩٦ م – ٢٦٨/١ .

(٦) فتاوى السبكي ٥٩٤/٢ .

المطلب الثالث

بُلوغ دِين محمد ﷺ مشارق الأرض ومغاربها

كَتَب الله ﷻ لهذا الدِّين أنْ ينتشر في جميع أقطار الأرض، وُصُولاً إلــى كُــلِّ سُــكَّانها، وأنْ يكون ظاهراً مُهَيْمناً على كُلِّ المِلَلْ، رغم كثرة الخُصُوم والأعداء، الذين يضعون الخُطَــطْ والعقبات والمكائد؛ لإيقاف امْتِداده وتوسعه المُتَواصِل والمُتَعاظِم .

" فإنَّ الشيطان استعمل حِزْبه في إفساد دِين الله ﷻ، الذي بعث به رُسُلَه، وأَنْزل به كُتُبه، ومِنْ سُنَّة الله ﷻ، أنَّه إذا أراد إظهار دِينه، أقام مَنْ يُعارضه، فَيُحِق الحَقَّ بكلماته، ويَقْذِف بالحق على الباطل فَيَدْمغه، فإذا هو زاهِق "(١) .

كما كَتَب الله ﷻ التَّمْكين لِعِبَاده المؤمنين في الأرض، واستخلافهم فيها، أَعِزَّةً ظــاهرين على مَنْ سِوَاهم، قاهرين لِمَنْ عاداهم، وليس ذلك إلاَّ لمن تمسك بهذا الدِّين الإسلامي الحنيــف، وجعله منهج حياة، يهتدي به في طريقه إلى مرضاة الله ﷻ .

دَلَّت على ذلك نصوص الكِتاب والسُّنَّة، مِنْها:

١- قــــال تعـــــالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ (الفتح ٢٨) .

ذَكَر القرآن الكريم هذه الآية في موضعين آخريْن، وذَيَّلهما مَرَّةً بقوله: ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة ٣٣)، ومَرَّة في (الصف ٩) بقوله: ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ .

فهــذه الآيــة تُعبِّــر عــنْ إرادة إلهيَّــة، نافــذة فــي كُــلِّ الخَلْــق، طَوْعــاً أو كَرْهــاً، ومُتَحقِّقةٌ لا مَحَالة .

فقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ ﴾، أي: " محمداً ﷺ، ﴿ بِالْهُدَى ﴾، أي: بالفرقان، ﴿ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾، أي: بالحُجَّة والبراهين، وقد أظهره على شرائع الدِّين، حتــى لا يخفــى عليــه شــيءٌ منهــا، وقيــل: ﴿ لِيُظْهِرَهُ ﴾، أي: ليظهــر الــدِّين، دِين الإسلام على كُلِّ دين "(٢) .

و" معلــوم أنَّ الله ﷻ وَعَــد بإظْهــاره علــى الــدِّين كُلِّــه، ظهــور عِلْــم وبيــان،

---

(١) مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ٥٧/٢٨ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – ١٢١/٨ .

وظهور سَيْف وسِنان ... ومعلوم أنَّ ظهور الإسلام بالعِلْم والبيان، قَبْل ظهوره باليد والقتال، فإنَّ النبي ﷺ مكث بمكة ثلاث عشرة سنة، يُظْهِر الإسلام بالعِلْم والبيان، والآيات والبراهين، فآمنت به المُهَاجرون والأنصار، طَوْعاً واختياراً، بغير سيف، لمَّا بان لَهُمْ مِنْ الآيات البيِّنات والبراهين والمعجزات، ثُمَّ أظهره بالسيف، فإذا وَجَب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداءاً ودفعاً، فإنه يَجِب علينا بيان الإسلام وإعلامه ابتداءاً ودفعاً، لِمَنْ يَطْعن فيه، بطريق الأَوْلى والأحْرى، فإنَّ وُجُوب هذا، قَبْل وُجُوب ذاك، ومنفعته قَبْل منفعته، ومعلوم أنَّه يحتاج كُل وقت إلى السيف، فكذلك هو محتاج إلى العِلْم والبيان، وإظهاره بالعِلْم والبيان، مِنْ جنس إظهاره بالسيف، وهو ظهور مُجْمل، عَلا به على كُلِّ دِين "[1] .

وهذا تصريح قطعي، يفيد بأنَّ انتشار الدِّين الإسلامي، واعتناقه مِنْ قِبَل العديد مِنَ الناس والشعوب، إنَّما كان على أساس الحُرِيَّة المُطْلَقة في الإرادة والاختيار، لدى مَنْ تَبِعَ هذا الدِّين واعتنقه، باقتناع كامل ودون إجبار، فلَمْ يُنْقَل لنا قط، أنَّ أحداً مِنَ الناس أسلم والسيف مُسَلَّط على رقبته، وذلك مُنْذ زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا، فليس مِنْ تعاليم الدِّين الإسلامي إكراه الناس على اعتناقه .

وهذا يَدْحض مزاعم مَنْ ادعى انتشار دِين الإسلام بِحَدِّ السيف، بلْ إنَّ هذه الدعوى تناقض أيضاً المَدْلول اللَّفظي لكلمة (الإسلام)، المأخوذة مِنَ السلام والتسامح، والسلام اسم مِنْ أسماء الله الحسنى .

قال أَهْل العِلْم: " معنى السلام في حَقِّه ﷻ: الذي سَلِم المؤمنون مِنْ عقوبته، ... وقيل: السلام مَنْ سَلِم مِنْ كُلِّ نقص، وبَرِئ مِنْ كُلِّ آفة وعيب، فهي صِفَة سَلْبيَّة، وقيل: المُسَلِّم على عِبَاده، لقوله ﷻ: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ (يس ٥٨)، فهي صِفة كَلامِيَّة، وقيل: الذي سَلِم الخَلْق مِنْ ظُلْمه، وقيل: منه السلامة لِعِباده، فهي صِفَة فِعْليَّة "[2] .

والسلام تحيَّة المسلمين في الدنيا، وتحيَّة أَهْل الجنة في الآخرة، ومِمَّا يَشْهد لسماحة الإسلام، أنَّ العديد مِنَ القُرَى والمُدُن والأقطار، قد فُتِحت بغير قِتال، ودَخَل أَهْلها في الإسلام، مُقْبلين عليه بِقُلوبهم وجوارحهم، مُختارين له، غير مُكْرهين عليه، وإنَّ العديد مِنْ بِقَاع الأرض، دَخَل أَهْلها في الإسلام، وكان حُسْن المعاملة لدى المسلمين، هو السبب الرئيسي لذلك، وهو ما دفعهم للإعجاب بتعاليم الإسلام واعتناقه، بكامل حُرِيَّتهم وإرادتهم .

وإنَّما شُرِع الجهاد بالسيف، إمَّا لدفع عدوان وصده، أو إزالة كُل ما يعترض طريق الدعوة الإسلامية، ويَحُول دون وُصُول الإسلام للبشرية، فتهتدي بنوره، وتَنْعم في ظِلَاله، وتَحُوز على

---

(١) الجواب الصحيح – ابن تيمية – ١/٢٣٩ .

(٢) فتح الباري – ابن حجر – ١٣/٣٦٥ .

السعادتين، سعادة الدنيا والآخرة .

والظهور المذكور في الآية مِنْ سورة الفتح، له شقين، هُمَا[1]:

- **الأول:** الظهور ﴿ بِالْهُدَى ﴾: أي بالعِلْم والبيان .
- **الثاني:** الظهور بـ﴿ دِينِ الْحَقِّ ﴾: أي باليد والعمل .

" فقد تَكَفَّل الله ﷻ لهذا الأمر بالتَّمام والإظهار، على جميع أَدْيان أَهْل الأرض "[2]، " وهكذا وَقَع، وعَمَّ هذا الدِّين، وغَلَب وعلا على سائر الأديان، في مشارق الأرض ومغاربها، وعَلَتْ كلمته في زمن الصحابة ومَنْ بَعْدهم، وذَلَّتْ لهم سائر البلاد، ودان لَهُمْ جميع أَهْلها، على اختلاف أصنافهم، وصار الناس إمَّا مؤمن داخل في الدِّين، وإمَّا مُهادِن بـاذِلٌ للطاعة والمال، وإمَّا مُحَارب خائف وَجِل مِنْ سَطْوَة الإسلام وأَهْله "[3] .

قال الشافعي ؒ: " أظهر الله دِينه، الذي بَعَث به رسوله ﷺ على الأديان، بأنْ أبان لِكُل مَنْ سَمِعَه أنَّه الحق، وما خالفه مِنَ الأديان باطل، وأظهره بأنَّ جِمَاع الشرك دِينان: أَهْل الكِتاب، ودِين الأُمِّيِّين، فَقَهر رسول الله ﷺ الأميِّين، حتى دانوا بالإسلام طَوْعاً وكَرْهاً، وقَتَل مِنْ أَهْل الكِتاب وسَبى، حتى دان بعضهم بالإسلام، وأَعْطى بعضهم الجِزْيَة صاغرين، وجرى عليهم حُكْمه ﷺ، وهذا ظهور الدِّين كُلِّه "[4] .

" فكانت نبُوَّته ﷺ، لِظَهْر الكُفْر قاصمة، وشريعته لِمَنْ لاذ بها ولجأ إليها مِنْ كُلِّ شَرٍّ عاصِمة، وحُجَجه لِمَنْ عاند وكَفَر خاصِمة، حتى أَذْعن المُعاندون، واعترف الجاحِدون، وذَلَّ المُشْركون وجاء الحقُّ، وظَهَر أَمْر الله وهُمْ كارهون "[5] .

٢ـ قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

(١) **انظر:** الجواب الصحيح – ابن تيمية – ١/٢٣٩ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد – محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله – ت: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط – ط ١٤ – مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية – بيروت – الكويت – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م – ٣/٣١٥ .

(٣) البداية والنهاية – ابن كثير – ٦/١٨٣ .

(٤) أحكام القرآن – محمد بن إدريس الشافعي – ت: عبد الغني عبد الخالق – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٠هـ – ٢/٥٠ .

(٥) أحكام أهل الذمة – أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي – ت: يوسف أحمد البكري – شاكر توفيق العاروري – ط ١ – رمادى للنشر – دار ابن حزم – الدمام – بيروت – ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م – ١/٤٨٢ .

﴿ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾ (النور ٥٥) .

دليلٌ آخر يَحْكي لنا، عنْ مُستقبل مُشْرق للإسلام وأَهْله، وما له مِنَ التمكين، والهَيْمنة على كُلِّ الطوائف والمِلَلْ الموجودة، وإنَّ الغَلَبة والتمكين هُمَا مِنَ الصفات المُلازمة لِعِباد الله المؤمنين، المُلْتزمين بِدِين الإسلام، وإنَّ ما يُصيبهم مِنْ ضعف وهَوَان في فترة مِنَ الفترات، ما هو إلاَّ أمرٌ طارئ مؤقت، سُرْعان ما يَزُول، فَيَسْتردوا مَجْدهم، وتعلو رايتهم .

وإنَّ ما يؤيد هذا، معرفة الظروف التي نزلت فيها الآية الكريمة، والأوضاع الصعبة التي مَرَّ بها رسول الله محمد ﷺ وأصحابه .

فعن أُبَيّ بن كعب ﷺ قال: " لَمَّا قَدِم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة، وآوَتْهُم الأنصار، رَمَتْهم العرب عَنْ قَوْس واحدة، وكانوا لا يَبِيتون إلاَّ بالسِّلاح، ولا يُصْبحون إلاَّ فيه، فقالوا: تَرَوْن أنَّا نعيش، حتى نَبيت آمنين مُطْمئنين، لا نخاف إلاَّ الله ؟ فنزلت الآية "(١) .

" وهي مِنْ وُعُود الله ﷻ الصادِقَة، التي شُوهِد تأويلها ومُخْبَرُها، فإنَّه وَعَد مَنْ قام بالإيمان والعمل الصالح مِنْ هذه الأُمَّة، أنْ يَسْتخلفهم في الأرض، فيكونون هُمْ الخُلَفاء فيها، المُتَصرفين في تدبيرها، وأنْ يُمَكِّن لَهُم دِينهم، الذي ارتضى لَهُمْ، وهو دِين الإسلام، الذي فاق الأَدْيان كُلها، ارتضاه لهذه الأُمَّة؛ لِفَضْلها وشَرَفها ونِعْمته عليها، بأنْ يتمكنوا مِنْ إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة في أَنْفُسهم وفي غيرهم؛ لِكَوْن غيرهم مِنْ أَهْل الأَدْيان وسائر الكُفَّار، مَغْلوبين ذليلين "(٢)، " وهو وعْد يَعُمُّ جميع الأُمَّة .

وقيل: " هو خاص بالصحابة، ولا وَجْه لذلك؛ فإنَّ الإيمان وعمل الصالحات لا يَخْتص بِهِم، بَلْ يُمْكن وُقُوع ذلك مِنْ كُل واحد مِنْ هذه الأُمَّة، ومَنْ عمل بِكِتاب الله وسُنَّة رسوله، فقد أطاع الله ورسوله، واللام في ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾، جواب لِقَسَم محذوف، أو جواب لِلْوَعْد بتنزيله مَنْزلة القَسَم؛ لأنَّه ناجز لا محالة، والمعنى: ليجعلنَّهم فيها خُلَفاء يتصرفون فيها تَصَرُّف المُلُوك في مملوكاتهم، وقد أَبَعد مَنْ قال: إنها مُخْتصَّة بالخُلَفاء الأربعة أو بالمهاجرين،

(١) المستدرك على الصحيحين ٤٣٥/٢ – الحاكم النيسابوري – كتاب التفسير – تفسير سورة النور – حديث رقم ٣٥١٢ – وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وفي كتاب: الأحاديث المختارة ٣٥٣/٣ – حديث رقم ١١٤٥ عن أُبَيّ بن كعب ﷺ – إسناده حسن .

(٢) تيسير الكريم الرحمن – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ٥٧٣/١ .

أو بأنَّ المُراد بالأرض: أرض مكَّة، وقد عرفت أنَّ الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وظاهر قوله: ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: كل مَنْ استخلفه الله في أرضه، فلا يَخْتص ذلك ببني إسرائيل، ولا أُمَّة مِنَ الأُمَمْ دون غيرها ... وجُمْلة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ معطوفة على ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾، داخِلة تحت حُكْمه، كائنَة مِنْ جُمْلة الجواب، والمُراد بالتَّمْكين هنا: التثبيت والتقرير، أي: يجعله الله ثابتاً مُقَرَّراً، ويُوَسع لهم في البلاد، ويُظْهر دِينهم على جميع الأديان، والمراد بالدِين هنا: الإسلام "[1] .

" وقد فَعَل الله ذلك بمحمد ﷺ وأُمَّته، مَلَّكَهم الأرض واستخلفهم فيها، وأَذَلَّ لَهُمْ مُلوكاً تحت سيف القهر، بعد أَنْ كانوا أَهْل عِزٍّ وكِبْر، وأَوْرثهم أرضهم ودِيارهم وأموالهم، ومَنَحهم رِقابهم "[2] .

٣ـ قال رسول الله ﷺ: **(لَيَبْلُغَنَّ هذا الأَمْر مَا بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ[3] ولا وَبَر[4]، إلاَّ أَدْخله هذا الدِّين، بِعِزِّ عزيز، أو بِذُلِّ ذليل، عِزاً يَعِز الله به الإسلام، وذُلاًّ يَذِلُّ الله به الكُفْر)**[5] .

وقد وَقَع ما أَخْبر به المَعْصوم ﷺ، فقد جاء عنْ تميم الداري ﷺ _ وقد كان نَصْرانياً قَبْل إسلامه _ قوله: " قد عَرَفت ذلك في أَهْل بيتي، لقد أصاب مَنْ أَسْلم مِنْهم الخير والشرف والعِز، ولقد أصاب مَنْ كان كافراً، الذُّل والصَّغار والجِزْيَّة "[6] .

---

(١) شرح فتح القدير – كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي – دار الفكر – بيروت – ط ٢ – ٤٧/٤ .

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام – محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله – ت: د. أحمد حجازي السقا – دار التراث العربي – القاهرة – ١٣٩٨هـ – ٣٣٨/١ .

(٣) **المَدَر:** أَي أَهل البوادي والمُدُن والقُرى . (تاج العروس – الزبيدي – ٣٢٩/١٤) .

(٤) **الوَبَرُ:** صُوفُ الإِبلِ والأَرانب ونحوها، ج: أَوبارٌ، قال أَبو منصور: وكذلك وبرُ السَّمُّورِ والثَّعالبِ والفَنَكِ، الواحد: وَبَرَةٌ . (المصدر السابق) .

(٥) مسند الإمام أحمد ١٠٣/٤ – من حديث تميم الداري ﷺ برقم ١٦٩٩٨، وقال الهيثمي ﷺ : رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح أ.هـ (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – علي بن أبي بكر الهيثمي – دار الريان للتراث – دار الكتاب العربي – القاهرة – بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٤/٦)، **وانظر:** المستدرك على الصحيحين ٤٧٧/٤ – الحاكم النيسابوري – كتاب الفتن والملاحم – حديث رقم ٨٣٢٦ – وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٦) المصدر السابق .

وإنَّ ما جاء في الحديث، يُضاف إلى جُمْلة الوُعُود والبِشَارات، التي وَرَدت في الكِتاب والسُّنَّة، لتؤكد للأُمَّة الإسلامية، أنَّ المساحة الجُغْرافية للدِّين الإسلامي، سَتَتَّسِع لتشمل كُل ما على وَجْه الأرض، والتَّمْكين فيها، لِعِباد الله الؤمنين، المُتَمسكين بالإسلام تَدَيُّناً .

" ومِمَّا لا شك فيه أنَّ دائرة الظهور _ الإسلامي _ اتسعت بعد وفاته ﷺ، في زمن الخُلَفاء الراشدين ومَنْ بَعْدهم، ولا يكون التَّمَام إلاَّ بِسَيْطرة الإسلام على جميع الكُرَة الأَرْضِيَّة، وسيتحقَّق هذا قَطْعاً، لإخْبار الرسول ﷺ بذلك "[١] .

٤ـ قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ الله زَوَى لِيَ الأَرض، فرأَيْت مشارقها ومغاربها، وإنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغ مُلْكها ما زُوِيَ لي منها، وأُعْطيت الكَنْزين، الأَحمر والأَبيض)**[٢] .

يُخْبر الحديث الشريف عنْ مدى اتساع المَمْلكة الإسلامية العُظمى، المُتَرامية الأطراف، والتي ستقوم على أكتاف عِباد الله المؤمنين، الذين التزموا بالإسلام دِيناً، واختاروا أنْ يكونوا عبيداً لله وَحْده، فجعلهم الله سادةً على الناس أجمعين، لا قِبَل لِأَحَدٍ بِهِمْ .

إنَّ هذا الحديث جدير بالعِناية والتأمل، للوصول إلى إدراك وفَهْم شامل لِمَا جاء فيه، لذلك فإنَّ أَهْل العِلْم لَمْ يدَّخروا جُهْداً في شرحه، واستنباط ما جاء فيه مِنَ الدُّرُوس الهامَّة .

ففي مَطْلع الحديث، قال التوربشتي رحمه الله[٣]شارحاً ما جاء فيه: " زَوَيْتُ الشيء: أي جَمَعته وقَبَضْته، والمعنى: تقريب البعيد مِنْها _ أي الأرض _، حتى اطَّلَع عليه، إطِّلاعه على القريب مِنْها "[٤] .

وجاء عن القرطبي رحمه الله قوله: " أي: جَمَعَها لي، حتى أَبْصَرْتُ ما تَمْلك أُمَّتي،

---

(١) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد – محمد ناصر الدين الألباني – ط ٤ – المكتب الإسلامي – بيروت – ص ١١٢ .

(٢) صحيح مسلم ٢٢١٥/٤ – كتاب الفتن وأشراط الساعة – ٥ باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض – حديث رقم ٢٨٨٩ .

(٣) **فضل الله التوربشتي:** فقيه مُحَدِّث، مِنْ أهل شيراز، شرح مصابيح البغوي شرحاً حسناً، ولعله توفي في حدود الستين والستمائة، وتُورِبشت: بضم التاء المثناة من فوق، بعدها واو ساكنة، ثم راء مكسورة، ثم باء موحدة، ثم شين مُعْجمة ساكنة، ثم تاء مثناة من فوق . (طبقات الشافعية – أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة – ت: د. الحافظ عبد العليم خان – ط ١ – عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٧ هـ – ٣٤/٢ بتصرف) .

(٤) تحفة الأحوذي – المباركفوري – ٣٣٢/٦ .

مِنْ أقصى المشارق والمغارب مِنْها، وظاهر هذا اللفظ يَقْتضي أَنَّ الله ﷻ قَــوَّى إدراك بَصَــره، ورَفَع عنْه الموانع المُعْتادة، فَأَدْرك البعيد مِنْ مَوْضعه، كما أَدْرك بيت المَقْدس مِنْ مكــة، وأَخَــذ يُخْبرهم عنْ آياته وهو يَنْظر إليه ... ويُحْتمل أنْ يكون مَثَّلها الله له، والأَوَّل أَوْلى، قولــه: **(وإنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغ مُلْكها ما زُوِيَ لي منها)**، هذا الخَبَر وُجِدَ مُخْبَره كما قاله، فكان ذلك مِــنْ دلائــل نُبُوَّته ﷺ؛ وذلك أنَّ مُلْك أُمَّته اتَّسع، إلى أنْ بَلَغ أقصى بحر طَنْجَة[1]غرباً، وإلى أقصى المشــرق، ما وراء خُرَسان والنهر وكثير من بلاد الهند والسند والصغد، ولم يتسع ذلك الاتساع مِــنْ جهــة الجنوب والشمال، ولذلك لمْ يذكر ﷺ أنَّه أُرِيه، ولا أَخْبر أنَّ مُلْك أُمَّتــه يبلغــه، وقولــه: **(زُوِيَ)** يحتمل أن يكون مَبْنِياً للفاعل، وأنْ يكون مَبْنياًّ للمفعول، والأَوَّل أَظْهر "[2] .

وقد أشار شيخ الإسلام ؒ بإشارة لطيفة إلى وَسَــطِيَّة أُمَّــة محمــد ﷺ، وذلــك بقولــه: " إنَّ مُلْك أُمَّته ﷺ انْتشــر فــي الشــرق والغــرب، ولــمْ ينتشــر فــي الجنــوب والشــمال، كانتشاره في الشرق والغرب، إذْ كانت أُمَّته أَعْــدل الأُمَــمْ، فانتشــرت دَعْوتــه فــي الأقــاليم التي هي وَسَط المَعْمور مِنَ الأرض "[3] .

وعلى أَيِّ حال، فإن الدِّين الإسلامي كَرِسالة ودَعْوَة، سَيَدْخل كُل بيت، ويَصِل إلى كُلِّ فَــرْد، على وَجْه الأرض، بِغَضِّ النَّظر عنْ مدى حُدُود المَمْلكة الإسلامية .

---

(١) **طَنْجَة:** هي بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو مِنَ البَرْ الأعظم وبلاد البربــر (معجم البلدان – ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله – دار الفكر – بيروت – ٤٣/٤) .

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد – سليمان بن عبد الله بن محمد بــن عبــد الوهــاب – مكتبة الرياض الحديثة – الرياض – ٣٢٢/١ ، ٣٢٣ .

(٣) الجواب الصحيح – ابن تيمية – ٩٩/٦ .

المبحث الثالث

الإسلام هو الدِّين المَقْبول عند الله ﷻ

وفيه مطلبان:

_ المطلب الأول: شريعة محمد ﷺ ناسِخَة للشرائع السابقة، وخاتِمَة لها .

_ المطلب الثاني: القرآن الكريم ناسِخ وخاتِم لِلْكُتُب السماوِيَّة السابقة .

المطلب الأول

شريعة[1] محمد ﷺ ناسخَة للشَّرائع السابقة، وخاتِمَة لها

سَبَق أنْ بَيَّنَّا أنَّ نَبيَّنا محمداً ﷺ الذي بُعِث بالشريعة الإسلامية، هو خاتم الأنبياء والمُرْسَلين عليهم السلام، وبِعثَته للثَّقليْن عامَّة، وشريعته صالحة لِكُلِّ زمان ومكان، وللنَّاس كافَّة، بِمُخْتَلف أَجْناسِهِم وأَعْراقِهِم، والجن كذلك .

وهي مُؤَبَّدة، بمعنى أنَّها قائمة باقية إلى قيام السَّاعة، وذلك كلُّه يقتضي ضرورةً، أنَّها ناسخة وخاتمة للشَّرائع السَّماوية السابقة، وهذا ما يؤكده العقل السَّليم، ومِنْ قَبْلِه نُصُوص القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، مِنْها ما تَمَّ ذِكْره في مواضع سابقة، ومِنْها ما سَيَتِم ذِكْره وشرحه في هذا المَقَام، وذلك على النحو التالي:

١ـ قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ (آل عمران ١٩) .

هذا دليلٌ صريح على أنَّ التديُّن لله ﷻ مَحْصورٌ بدِين الإسلام، وظاهِر الآية الكريمة على أنَّ كُلَّ الطُّرُق إلى مَرْضاة الله ﷻ مَسْدُودة، إلاَّ طريق الشَّريعة المُحَمَّدية، دونما غيرها مِنَ الشَّرائع والدِّيانات والمِلَلْ، فَكُلُّها مَخْتومة مَنْسوخة بشريعة محمد ﷺ، دين الإسلام الحنيف، " فَلَمْ يَزَل ما حرَّم الله ﷻ على بني إسرائيل اليهود خاصَّة، وغيرهم عامَّة، مُحَرَّماً مِنْ حين ما حرَّمه، حتى بَعَث الله ﷻ محمداً ﷺ، فَفَرَض الإيمان به، وأَمَر باتباعه، وطاعة أَمْره، وأَعْلَم خَلْقَه أنَّ طاعته مِنْ طاعته ﷻ، وأنَّ دِينه الإسلام، الذي نَسَخَ به كُلَّ دِينٍ كان قَبْله، وجعل مَنْ أدركه وعلِمَ دِينه، فَلَمْ يَتَّبعه كافراً به، وأَنْزل في أَهْل الكِتاب مِنَ المُشْركين: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران ٦٤)،

---

(١) **الشَّريعة** في اللُّغة: مَوْرِد الإبل على الماء الجاري (النهاية في غريب الحديث والأثر – أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري – ت: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي – المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – ٤٦٠/٢)، وقيل أيضاً: المَذْهب والمِلَّة، ويُقال لِمشْرعة الماء وهي مَوْرِد الشَّارِبة: شريعة، ومِنه: الشَّارِع؛ لأنَّه طريق إلى المَقْصد، فالشريعة _ اصطلاحاً _: ما شَرَعَ الله لِعِباده مِنَ الدِّين، والجمْع: الشرائع، والشرائع في الدِّين: المذاهب التي شَرَعها الله لِخَلْقه . (الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – ١٦٣/١٦) .

وأَمَرَ بقتالهم؛ حتى يعطوا الجزيَّة إنْ لَمْ يُسْلموا، وأَنْزل فيهم ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ﴾ (الأعراف ١٥٧)، فَلَمْ يَبْقَ مَخْلوقٌ يَعْقِل مُنْذ بَعَثَ الله محمداً ﷺ، مِنْ كِتابيٍّ ولا وَثَنِيٍّ ولا حَيٍّ بِرُوحٍ مِنْ جن ولا إنْس، بَلَغته دَعْوَة محمد ﷺ، إلاَّ قامت عليه حُجَّة الله بإتباع دِينه، وكان مُؤمناً باتباعه، وكافراً بتَرك اتباعه"[١] .

وكلمة ﴿الإِسْلامُ﴾ الوارِدَة في الآية المَذْكورة مِنْ سورة آل عمران، جاء في شأنها عن الإمام بدر الدِّين العيني رحمه الله قوله: " يُطْلَق الإسلام على دِين محمد ﷺ، يُقَال: دِين الإسلام، كما يُقال: دِين اليهودية والنَّصْرانيَّة "[٢]، والإسلام في اللُّغَة: " الخُضُوع والانْقِياد، ومِنْه استَسْلم الرَّجُل، فمعنى أسْلَم: خَضَعَ وقَبِلَ ما جاء به محمد ﷺ "[٣] .

وفي الآية: " إخْبارٌ مِنْه ﷻ بأنَّه لا دِين عِنْده يَقْبله مِنْ أَحَد، سِوَى الإسلام، وهو اتباع الرُّسُل فيما بَعَثهم الله به، في كُلِّ حين، حتى خُتِموا بمحمد ﷺ، الذي سَدَّ جميع الطُّرُق إليه _ أي إلى الله ﷻ _ إلاَّ مِنْ جهة محمد ﷺ، فَمَنْ لقيَ الله بَعْد بِعْثة محمد ﷺ، بِدِين على غير شريعته فليْس بِمُتَقَبَّل، ففي الآية إخبارٌ مِنْه ﷻ، بانْحِصَار الدِّين المُتَقبل مِنْه في الإسلام "[٤] .

" فإنَّ الله ﷻ أَرسَل رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافَّة، ونَسَخَ بشريعته سائر الشرائع، وجعل كتابه الكريم، مُهَيْمِناً على سائر الكتب السماوية، فالواجب على جميع أَهْل الأرض، مِنَ الجن والإنس، سواء كانوا مِنَ اليَهُود أو النَّصارى أو غيرهم، مِنْ سائر أَجْناس بني آدم، ومِنْ سائر أجناس الجن، أنْ يدخلوا في دِين الله، الذي بُعِثَ به خاتم الرسل إلى الناس عامَّة، وأنْ يلتزموا به ويستقيموا عليه؛ لأنَّه هو دِين الإسلام، الذي لا يَقْبَل الله مِنْ أَحَدٍ دِيناً سِوَاه "[٥] .

فالواجب على المَرْء، الاعتقاد يقيناً بلا أدنى شك أو تردُّد أنَّه قد " اتَّفَقَت رسالات

---

(١) أحكام القرآن للشافعي – محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله – ت: عبد الغني عبد الخالق – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٠ هـ – ٩٧،٩٦/٢ بتصرف .

(٢) عمدة القاري ١٠٩/١ .

(٣) معاني القرآن – النحاس – ت: محمد علي الصابوني – ط ١ – جامعة أم القرى – مكة المكرمة – ١٤٠٩ هـ – ٣٧١/١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٣٥٥/١ بتصرف يسير .

(٥) فتاوى مهمة لعموم الأمة – عبد العزيز بن باز / محمد بن صالح العثيمين – ت: إبراهيم الفارس – ط ١ – دار العاصمة – الرياض – ١٤١٣هـ – ١٢٦/١ .

الأنبياء عليهم السلام في أُصُولها، وتَنَوَّعــت شــرائعهم، قــال تعــالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة ٤٨)، وخاتمة هذه الشرائع، شريعة محمد ﷺ، وهي ناسخة لِكُــلِّ شــريعة سابقة، وأنَّ رسالته خاتِمة الرِّسالات، وهو خاتم المُــرْسلِيــن عليهم السلام "[١] .

٢ـ قــال تعــالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران ٨٥) .

تَدْفَعُنا الآية الكريمة لِلتَّعَرُّف على ما أَحْدَثتــه فــي أَوْســاط الكفــار مِــنْ أَهْــل الكِتــاب وغيرهم، وموقفهم مِنْها، وكيف أنَّ القرآن الكــريم قَــدْ تَــدَخَّل لِفَــضِّ الخِــلاف الــذي وَقَــع فيها، فإنَّ التَّعَرُّف على كُلِّ هذه الأمور يُتِيح لنا فَهْماً أَعْمق لِمُراد الآية الكريمة .

فعندما نزلت، قال أَهْل المِلَلْ: نحــن المســلمون، فقــال لَهُــمْ رســول الله محمــد ﷺ مستشــــهداً بقولــــــه تعــــــالى: ﴿ وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (آل عمــــران ٩٧): (**إنَّ اللــه فَــرَض علــى المســلمين حَــجَّ البَيْــت مَنْ استطاع إليه سبيلاً**)[٢]، فقالوا: لَمْ يُكْتَــب علينــا، وأَبَــوْا أَنْ يَحِجُّــوا، فقــال تعــالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران ٩٧)[٣] .

" فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَرَ حَجَّ البيت واجباً عليه مع الاستطاعة، فهــو كــافرٌ باتِّفــاق المســلمين، كما دَلَّ عليه القرآن الكريم، واليهود والنصارى لا يَرَوْنه واجبــاً علــيهم، فَهُــمْ مِــنْ الكُفَّــار، حتــــى أنَّـــه رُوِيَ فــــي حــــديث مرفــــوع إلــــى النبــــي ﷺ: (**مَنْ مَلَكَ زاداً وراحِلَــةً تُبَلِّغُــه إلــى بيــتِ اللَّــهِ ولــمْ يحُــجَّ، فــلا عليــهِ أنْ يَمــوتَ**

---

(١) الإسلام أصوله ومبادئه – محمــد بــن عبــد الله بــن صــالح الســحيم – ط ١ – وزارة الشــؤون الإســلامية والأوقــاف والــدعوة والإرشــاد – المملكــة العربيــة الســعودية – ١٤٢١هــ – ١٩٠/١ .

(٢) السنن الكبرى ٣٢٤/٤ – أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي – ت: محمد عبد القادر عطا – مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م – كتاب الحج – باب إثبات فرض الحج على من استطاع اليه سبيلاً، وكان حراً بالغاً عاقلاً مسلماً – حديث رقم ٨٣٩٠، وللحديث شاهد من طريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإسناد صحيح، **انظر:** (تفســير القــرآن العظــيم – ابــن كثيــر – ٣٨٧/١) .

(٣) **انظر:** الدر المنثور – السيوطي – ٢٧٦/٢، تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٣٨٧/١ .

يَهودِيّاً أو نصرانِيّاً)[1] "[2] .

وعليه، فإنَّ كُلْ مَنْ بَلَغَتْه دعوة نَبيِّنا محمد ﷺ، بمَنْ فيهم أَهْل الكِتاب وغيرهم، فهو مُطَالب ومُلْزم بالإيمان به، وإتِّباع شرعه، والخضوع له، وأداء ما يَصْدُر عَنْه مِنْ تكاليف وأحكام ونُسُك .

فقد جاء عن ابن عباس ﷺ قوله: " لا يُقْبَل مِنْ أَحَدٍ طريقةً ولا عملاً، إلاَّ ما كان مُوَافِقاً لشريعة محمد ﷺ، بعد أَنْ بَعَثه الله بما بَعثه به، فأمَّا قَبْل ذلك، فَكُلُّ مَنْ اتَّبع الرسول في زمانه، فهو على هُدَى وسبيل ونجاة "[3] .

ومعلوم أنَّ " رسالات الأنبياء السابقين عليهم السلام وشرائعهم، كانت هِدايات وَقْتِيَّة، سُرْعان ما تَتَبدَّل ويَدْخُلها التحريف والتَّغْيير، على أَيْدي أبنائها أو غيرهم بعد موت نَبيِّهم، ويَظَلُّ أَهْلُهم يُوْغِلون في التَّخَبُّط عَنْ الرِّسالة الحَقَّة، التي جاءهم بها نَبيُّهم، وتَخْتَلط الأمور عليهم؛ بسبب التَّحْريف الذي لَحِق بها، حتى يَبْعث الله لهم نبياً آخر يَرُدُّهُم إلى الجادَّة، ويُحْيي ما انْدَرَس مِنْ معالم الدِّين الصحيح، كما أنَّها رسالات خاصة، بالأَقْوام الذين يُبْعث فيهم الأنبياء عليهم السلام، وليْست عامَّة لِكُلِّ البَشَر، كما قال الله ﷻ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة ٤٨)، ولهذا قد يوجد في الزَّمَن الواحد أكثر مِنْ نبي، كُلٌّ يُبْعث في قَوْمه خاصَّة، أمَّا رِسالة نبيِّنا محمد ﷺ ودينه الخاتم _ الإسلام _، فإنَّها عامَّة لِكُلِّ الخَلْق، لا تختص بأُمَّة دون أُمَّة، ولا بِمَوْطن دون مَوْطن، بَلْ كُلُّ الخَلْق بعد بعْثته ﷺ أُمَّة واحدة، هي أُمَّة الدَّعْوَة، والرسول واحد والدِّين واحد : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ ٢٨) "[4] .

وهذا يَكْشِف لنا، عَنْ خاصيَّة الدَّيْمُومَة والشُّمُولِيَّة، التي تَمَيَّزت بها شريعة

---

(١) سنن الترمذي ١٧٦/٣ – كتاب الحج – ٣ باب ما جاء في التغليظ في ترك الحج – حديث رقم ٨١٢ وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مَقَال، وهلال بن عبد الله مجهول والحارث يضعف في الحديث، وللحديث شاهد من طريق عمر بن الخطاب ﷺ بإسناد صحيح، **انظر:** (تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٣٨٧/١) .

(٢) الجواب الصحيح – ابن تيمية – ١٢٥/٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ١٠٤/١ .

(٤) بحوث ندوة: أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو – لـ: مجموعة من العلماء – ط ٢ – وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ١٤٢٥هـ – ١٢٧/١ .

نبيِّنا محمد ﷺ، عنْ شرائع الأنبياء السابقين عليهم السلام .

" فإنَّ مِنْ أُصُول الاعتقاد في الإسلام، المَعْلومة مِنَ الدِّين بالضَّرُورة، والتي أَجْمَع عليها المسلمون: أنَّه لا يوجد على وَجْه الأرض، دِين حق سِوى دِين الإسلام، وأنَّه خاتمة الأَدْيان، وناسخٌ لجميع ما قَبْلَه مِنَ الأَدْيان والمِلَلْ والشرائع، فَلَمْ يَبْقَ على وجه الأرض دِين يُتَعبَّد الله به سِوى الإسلام ... والإسلام بعد بِعْثَة محمد ﷺ، هو ما جاء به دون ما سواه مِنَ الأديان "(١) .

٣ـ قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة ٣) .

ذُكِرت هذه الآية الكريمة في مَوْضِع سابق، مع ما تَحْمِله مِنْ مفاهيم وأحكام شرعية، تُؤكد ما نحن بِصَدد إثْباته في هذا المَوْضع .

وإضافةً على ذلك، فقد جاء في شَأْنِها أيضاً ما نَصُّه: " إنَّ هذا الدِّين _ أي دِين الإسلام _ التَّام المُكَمَّل، الذي أَبْلَغه الرسول ﷺ إلى الناس كافَّة، لا يَقْبَل زيادة على ما شُرِع فيه، مِنْ أُصُول المِلَّة وفروعها، ولا نَقْصاً مِنْها ولا تَغْييراً ولا تَبْديلاً، ولا يُقْبَل مِنْ أَحَد دِيناً سِوَاه "(٢) .

" فهو الدِّين الكامل الشامل، لِكُلِّ ما يحتاج إليه البشر، في دِينهم ودُنْياهُم، الصالح لِكُلِّ زمان ومكان، إلى أنْ يَرِث الله الأرض ومَنْ عليها، وبه أَتَمَّ الله النِّعْمة على عِباده، ورَضِيَه مِنْهم فلنْ يَسْخَطَه أبداً "(٣) .

لذلك، فإنَّه: " لا تُقْبَل لِأَحَد عِبادة لَمْ يتعبَّدها محمد ﷺ ولا أصحابه، ولا يُعْبَد الله ﷻ إلاَّ بِمَا شَرَع "(٤) .

و" لَمْ يَكُنْ نبيُّنا محمد ﷺ في نُبُوَّتِه مُحْتاجاً إلى غيره _ أي مِنَ الأنبياء عليهم السلام _، فَلَمْ تَحْتَج شريعته ﷺ إلى سابِق ولا إلى لاحِق، بِخِلاف المسيح عليه السلام، أَحَالَهُم في أكثر الشريعة على التوراة، وجاء المسيح عليه السلام فَكَمَّلها، ولهذا كان النَّصارى مُحْتاجين إلى

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة – أحمد الدويش – ١٤/٤١٥ .

(٢) معارج القبول – حافظ حكمي – ٣/١١١٤ .

(٣) كمال الدين الإسلامي – عبد الله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله – ط ١ – وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ١٤١٨هـ – ص ٢٩ .

(٤) معارج القبول – حافظ حكمي – ٣/١١١٤ .

النُّبُوَّات المُتَقدمة على المسيح عليه السلام، كالتوراة والزَّبُور... وكانت الأُمَم قَبْلنا مُحتاجين إلى مُحَدَّثين، بِخِلاف أُمَّة محمد ﷺ؛ فإنَّ الله أَغْناهم به، فَلَمْ يحتاجوا معه إلى نبي ولا إلى مُحَدَّث "[1] .

وشريعة نبيِّنا ﷺ هي الخاتِمة النَّاسِخة لِكُلِّ الشرائع والمِلَلْ، والكاملة الشاملة التي لا نَقْص فيها ولا غُمُوض، فهي قائمة بِذَاتها، كما بُعِث بها نَبِيُّنا محمد ﷺ، وَحْياً مِنَ الله ﷻ .

٤ـ قال رسول الله ﷺ: **(والذي نَفْس محمدٍ بِيَدِه، لا يَسْمع بي أَحَدٌ مِنْ هذه الأُمَّة، يَهُودي ولا نَصْراني، ثُمَّ يموت ولَمْ يؤمن بالذي أُرْسِلْت به، إلا كان مِنْ أصحاب النَّار)**[2] .

ومِصْداق ذلك في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ (هود ١٧)[3] .

٥ـ قال رسول الله ﷺ: **(لو كان موسى حياً، بين أَظْهُرِكم ما حَلَّ له إلاَّ أنْ يَتَّبِعني)**[4] .

ذُكِرت هذه الأحاديث الشريفة في مَوْضع سابق، مع ما تَحْمله مِنْ دُرُوس وأحكام شرعية، تُفِيد بِنَسخ وخَتْم شريعة محمد ﷺ لِكُلِّ الشرائع والمِلَلْ[5]، والأَدِلَّة على ذلك عديدة، ولكن هذا الحديث والذي قَبْله هُمَا الأكثر صراحةً في دلالتهما على هذه المسألة، التي جاء في شأنها أيضاً ما نَصُّه: " أعلن جميع الأنبياء عليهم السلام إسلامهم لله ﷻ، وأعلنوا براءتهم مِمَّنْ لا يُسْلِم .

فَمَنْ أراد مِنَ اليهود والنَّصارى النَّجاة والسعادة فليدخل في الإسلام، وليتَّبِع رسول الإسلام محمداً ﷺ، حتى يكون تابعاً حقًّا لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام؛ لأنَّ موسى وعيسى

---

(١) مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ٢٢٤/١١ بتصرف يسير، **وانظر:** الرسل والرسالات – د عمر الأشقر – ص ٢٥٥، ٢٥٦ .

(٢) صحيح مسلم ١٣٤/١ – كتاب الإيمان – ٧٠ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته – حديث رقم ١٥٣ .

(٣) للمزيد، راجع ص ٣٣،٣٤ من هذا البحث .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٣٣٨/٣ – أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني – مؤسسة قرطبة – مصر – من حديث جابر بن عبد الله برقم ١٤٦٧٢، وحَسَّنه الألباني رحمه الله في كتاب: مختصر العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها – الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي – اختصره وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني – ط ٢ – ١٤١٢ هـ – المكتب الإسلامي – بيروت – ٥٩/١ .

(٥) راجع ص ٣٤ من هذا البحث .

ومحمد وجميع رُسُل الله عليهم السلام مُسْلِمون، دَعُوا جميعاً إلى الإسلام؛ لأنَّه دِين الله الذي بَعَثَهُم به، ولا يَصِح لِأَحَد مِمَّنْ وُجِد بَعْد بِعْثة خاتم المُرْسلين محمد ﷺ إلى نهاية الدنيا، أَنْ يُسَــمي نَفْسَــه مُسْلماً لله، ولا يَقْبَل الله مِنْه هذا الادِّعاء، إلاَّ إذا آمن بمحمد ﷺ رسولاً مِنْ عِنْــد الله، واتَّبَعــه، وعَمِل بالقرآن الذي أَنْزله الله عليه "[1]، وهذا يَنْسَجِم تماماً مع ما وَرَد في الحَديثَيْن الشَّريفَيْن .

(١) دين الحق – عبد الرحمن بن حماد آل عمر – ط ٦ – وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية – ١٤٢٠هـ – ص ٣٣ .

المطلب الثاني

خَتْم القرآن الكريم ونَسْخ لِلْكُتُب السماوية السابقة

إنَّ رسول الله محمد ﷺ هو صاحب الرِّسالة السماوية العامة، الخاتمة الناسخة لِكُلِّ الرِّسالات السماوية السابقة، وهذا يعني ضرورةً أنَّ ما بُعِث به ﷺ هو خاتم وناسخ لِمَا بُعِث به الأنبياء السابقين عليهم السلام، فقد بُعث ﷺ بالقرآن الكريم وَحْياً مِنَ الله ﷻ، وهو المُعْجزة الخالدة، الخاتمة الناسخة لِلْكُتُب السماوية السابقة .

" فمِنْ أُصُول الاعتقاد في الإسلام: أنَّ كِتاب الله ﷻ: (القرآن الكريم) هو آخر كُتُب الله نُزولاً وعهداً بِرَبِّ العالمين، وأنَّه ناسخ لِكُلِّ كِتاب أُنْزل مِنْ قَبْل، مِنَ التَّوْراة والزَّبور والإنجيل وغيرها، ومُهَيْمن عليها، فلَمْ يَبْقَ كِتاب مُنْزل يُتَعبد الله به سِوى القرآن الكريم، ويَجِب الإيمان بأنَّ التَّوْراة والإنجيل قد نُسِخا بالقرآن الكريم، وأنَّه قد لحِقَهما التحريف والتبديل بالزيادة والنُّقْصان، كما جاء بيان ذلك في آياتٍ مِنْ كِتاب الله الكريم، مِنْها قول الله ﷻ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ (المائدة ١٣)، وقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة ٧٩) "[(١)] .

والأَدِلَّة على خَتْم ونَسْخ الكُتُب السماوية السابقة بالقرآن الكريم عديدة ومُتَنوعة، وذلك على النحو التالي:

١ـ قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ (المائدة ٤٨) .

تُعَد هذه الآية الكريمة الدليل الأبرز الذي يُثْبت خَتْم ونَسْخ الكُتُب السماوية السابقة بالقرآن الكريم؛ وذلك لِكَوْنه على رأس الأدِلَّة التي يَسْتدل بها أَهْل العِلْم لإثبات هذه المسألة .

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة – أحمد بن عبد الرزاق الدويش – ٤١٧،٤١٦/١٤ .

ففي مُرَاد الآية الكريمة قال سيد قطب ﷺ: " فهو _ أي القرآن الكريم _ الصُّورة الأخيرة لِدِين الله _ أي الإسلام _، وهو المَرْجع الأخير في هذا الشأن، والمَرْجع الأخير في منهج الحياة، وشرائع الناس، ونِظام حياتهم، بلا تعديل بعد ذلك ولا تبديل، ومِنْ ثَمَّ فَكُل اختلاف يجب أنْ يُرَد إلى هذا الكِتاب لِيَفصل فيه "(١) .

فقد " أَخْبر سبحانه أَنَّه أَنْزل القرآن مُصَدِّقاً لِمَا قَبْله مِنَ الكُتُب السماوية مُهَيْمناً عليها، يُثْبت مِنْها ما شاء الله إثباته، ويَنْسخ منها ما شاء سبحانه "(٢) .

ومعنى كَوْن القرآن الكريم مُهَيْمناً على الكُتُب السماوية السابقة كما في الآية، أي: " أَميناً على التوراة والإنجيل، يَحْكُم عليهما، ولا يَحْكُمان عليه "(٣) .

" وهو الكِتاب ... الذي عُرِضت عليه الكُتُب السابقة، فما شَهِد له بالصِّدْق فهو المَقْبول، وما شَهِد له بالرَّد فهو مَرْدود قد دَخَله التحريف والتبديل، وإلَّا فلو كان مِنْ عند الله لَمْ يُخالفه "(٤) .

وهذا يُوَضح العلاقة القائمة بين القرآن الكريم والكُتُب السماوية السابقة، " فإنَّ كُل كِتاب يُصَدقه القرآن، ويَشْهد بِصِدْقه فهو كِتاب الله، وما لا فلا "(٥) .

وقد دعا القرآن الكريم أَهْل الكِتاب كما دعتهم كُتُبهم الصحيحة إلى إتباع نبي الله محمد ﷺ، والإيمان بما جاء به مِنْ عند الله، وهذا يعني أنَّ القرآن الكريم ناسخٌ لشرائعهم وكُتُبهم التي دَخَل فيها التحريف والتبديل، والله ﷻ لا يُعْبد بِدِين مُحَرَّف، بل يُعْبد بِمَا شَرَع، و" إنَّ القرآن ناسخ مُهَيْمن على كُلِّ الكُتُب، وليس يأتي بَعْده ناسخ له "(٦) .

٢ـ قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر ٩) .

---

(١) في ظلال القرآن – سيد قطب – ط جديدة – ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م – دار الشروق – القاهرة / بيروت – ٢/٩٠٢ .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة – أحمد بن عبد الرزاق الدويش – ٥/٩٠ .

(٣) الدر المنثور – السيوطي – ٣/٩٥ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن – السعدي – ١/٢٣٤ .

(٥) تفسير القرآن – أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني – ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم – ط ١– دار الوطن – السعودية – الرياض – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م – ٢/٤٣ .

(٦) البرهان في علوم القرآن – محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله – ت: محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعرفة – بيروت – ١٣٩١ هـ – ٢/٤٣ .

إنَّ حِفْظ القرآن الكريم هو إرادة إلهية راسخة كما عَبَّـرت عـن ذلـك الآيـة الكريمـة، فقد " حَفِظ الله القرآن مِنَ الزيـادة والـنقص، والتحريـف والتبـديل، فبقـي كمـا أَنْزلـه الله إلى يوم القيامة، فهو كُلُّه حق مِنْ عند الله، ولمْ يُحْفظ غيره مِنَ الكُتُب، فَدَخَلت عليهـا الزيـادة والنقص، والتحريف والتبديل، ففيها حق، وفيها باطل "[1] .

إنَّ اختصاص القرآن الكريم بالحِفْظ الإلهي دون غيـره مِـنَ الكُتُـب السـماوية السـابقة، له حِكْمة جليلة، عبَّر عن ذلك ابن كثير ﵀ بقوله: " جَعَل الله هذا الكِتاب العظيم الذي أَنْزله آخر الكُتُب، وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملهـا، حيـث جَمَـع فيـه محاسـن مـا قَبْلـه، وزاده مِنَ الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كُلها، وتَكَفَّل تعالى بِحِفْظه بِنَفْسه الكريمة "[2] .

وهكذا يتضح لنا وَجْه الدلالة في الآية الكريمة التي تُثْبت خَـتْم ونَسْـخ الكُتُـب السـابقة بالقرآن الكريم .

والآيات الكريمة مِنْ هذا القَبِيل التي تَدُل على أنَّ القرآن مَحْفوظ مُصان بِحِفْظ الله ﷻ كثيرة في القرآن الكريم، وتَحْمل أيضاً في دلالاتها إثبات خَتْم ونَسْخ الكُتُب السابقة بـالقرآن الكـريم، وذلك كقولـه تعـالى: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت ٤٢)، والمعنى المُراد مِنَ الآيـة، أي: " لا يُبْطلـه كِتـاب قَبْلـه، ولا يـأتي بَعْـده كِتـاب فيُبْطلـه "[3]، فإنَّـه القـرآن الكـريم المُهَـيْمن علـى كُـلِّ الكُتُـب السـماوية، وهو آخرها وخاتِمها وناسخها .

وتَجْدر الإشارة إلى أنَّ كلمة ﴿ الذِّكْرَ ﴾ المذكورة فـي الآيـة الكريمـة مِـنْ سـورة الحجر، تَعُمُّ كلاًّ مِنَ القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة والدِّين الإسـلامي كَكُـل، " فمـا تَكَفَّـل الله بـه فهـو غيـر ضـائع أبـداً، والـوحي ذِكْـر، والـذِّكْر مَحْفـوظ بـالنَّص، فكلام رسول الله محمد ﷺ مَحْفوظ بِحِفْظ الله ﷻ "[4] .

وهـذا مـا أَكَّـده ابـن حـزم ﵀ بقولـه: " الـوَحْي ذِكْـر بإجمـاع الأُمَّـة كُلهـا، والذِّكْر مَحْفوظ بالنَّص، فكلامه ﷺ محفـوظ بِحِفْـظ الله ﷻ ضـرورةً، مَنْقـول كُلُّـه إلينـا،

---

(١) العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية – عبد الحميد بن باديس – ت: محمد الصالح رمضان – ط ١ – دار الفتح – الشارقة – الإمارات العربية – ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م – ٨٢،٨١/١ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦٦/٢ .

(٣) معاني القرآن الكريم – النحاس – ٢٧٦/٦ .

(٤) توجيه النظر إلى أصول الأثر – طاهر الجزائري الدمشقي – ت: عبد الفتـاح أبـو غـدة – ط ١ – مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب – ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م – ٥٣٩/١ بتصرف يسير .

لا بُدَّ مِنْ ذلك "[1] .

٣ـ قال رسول الله ﷺ: **(لو كان موسى حياً بيْن أَظْهُرِكم، ما حَلَّ له إلاَّ أنْ يَتَّبِعني)**[2] .

ذُكِر هذا الحديث الشريف في مواضع مُتَعددة فيما سَبَق؛ وذلك لِسِعَة دلالاته ومعانيه، وفي هذا المقام يتم الاستدلال به لإثبات خَتْم ونَسْخ الكُتُب السماوية السابقة بالقرآن الكريم، ويَظْهر وَجْه الدلالة على هذه المسألة في الحديث، مِنْ خِلال معرفة مناسبة ذِكْره، والتي جاء فيها: " أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ أتى النبي ﷺ بكِتاب أصابه مِنْ بعض أَهْل الكِتاب، فقرأه على النبي ﷺ فغضب، وقال: فَذَكَر الحديث "[3] .

وقيل أنَّ الصَّحِيفة التي كانت في يَدِ عمر ﷺ كان فيها شيء مِنَ التوراة[4]، لذلك فإنَّ النبي ﷺ ذَكَر موسى ﷺ في الحديث دون غيره مِنَ الأنبياء ﷺ، مع أنَّ الحُكْم يَعُمُّ جميع الأنبياء ﷺ، وذِكر موسى ﷺ في الحديث ليس على سبيل الحَصْر أو التخصيص، وإنما كان ذِكْره ﷺ بالتحديد لأنَّ طبيعة الحادثة استدعت ذلك .

٤ـ قال رسول الله ﷺ: **(والذي نَفْس محمدٍ بِيَدِه، لا يَسْمع بي أَحَدٌ مِنْ هذه الأُمَّة، يَهُودي ولا نَصْراني، ثُمَّ يموت ولمْ يؤمن بالذي أُرْسِلْت به، إلا كان مِنْ أصحاب النَّار)**[5] .

إنَّ هذا الحديث كالذي سَبَق في دلالته على خَتْم ونَسْخ الكُتُب السماوية السابقة بالقرآن الكريم، وتتضح دلالته أكثر، مِنْ خِلال معرفة سبب وُرُوده، الذي جاء فيه: " أنَّ رَجُلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله: رَأَيْتُ رَجُلاً مِنَ النَّصارى مُتَمَسِّكاً بالإنْجيل، ورَجُلاً مِنَ اليهود مُتَمسكاً بالتَّوْراة، يؤمن بالله ورسوله،

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام – علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد – ط ١ – دار الحديث – القاهرة – ١٤٠٤ هـ – ٢٠١/٢ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣٣٨/٣ – أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني – مؤسسة قرطبة – مصر – من حديث جابر بن عبد الله برقم ١٤٦٧٢، وحَسَّنه الألباني ﷺ في كتاب: مختصر العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها – الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي – اختصره وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني – ط ٢ – ١٤١٢ هـ – المكتب الإسلامي – بيروت – ٥٩/١ .

(٣) التخريج السابق .

(٤) **انظر:** فتاوى اللجنة الدائمة – أحمد بن عبد الرزاق الدويش – ٤١٨/١٤ .

(٥) صحيح مسلم ١٣٤/١ – كتاب الإيمان – ٧٠ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته – حديث رقم ١٥٣ . .

ثُـــمَّ لـــمْ يَتَّبِــعــك، فقال رسول الله ﷺ: فَذَكر الحديث "[1] .

إنَّ هذه العِبَارات تَشْرح نَفْسها، وهـــي فـــي غايـــة الوُضُـــوح، فقـــد قَطَـــع رســـول الله محمد ﷺ كُل أَمَل في النَّجاة مِنَ النار، إلَّا بالإيمـــان بِمَـــا أُرْسِـــل بـــه ﷺ، وعلـــى رأس ذلـــك القرآن الكريم، الناسخ الخـــاتم لِلْكُتُـــب الســـماوية الســـابقة، بِمَـــا فيهـــا التـــوراة والإنجيـــل، فهو الهِداية العامة لِلْبَشَرِيَّة كُلها، بل لِلْخَلْـــق أجمعـــين، وقـــد حَفِظَـــه الله ﷻ مِـــنَ التحريـــف والتبديل، وجعله منارة خالدة لِلْعِبَاد، فلا سبيل للهداية والنجاة إلَّا به .

(١) البيان والتعريف – إبراهيم الحسيني – ٢/٢٩٥ .

الفصل الثاني

هِداية أُمَّة محمد ﷺ لفضائل غَفَلت عنها الأُمَمْ السابقة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أُمَّة محمد ﷺ اهتدت لفضائل ضَلَّت عنها الأُمَمْ السابقة .

المبحث الثاني: تَمَيُّز أُمَّة محمد ﷺ في رِواياتها بالسَّنَد .

المبحث الأول

أُمَّة محمد ﷺ اهتدت لفضائل ضَلَّت عنها الأُمَمْ السابقة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المسجد الحرام قِبْلَة أُمَّة محمد ﷺ، ويوم الجمعة سيد أيامها .

المطلب الثاني: تفضيل أُمَّة محمد ﷺ على اليَهُود .

المطلب الثالث: قِيام أُمَّة محمد ﷺ للأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكر .

المطلب الأول

المسجد الحرام قِبْلة أمة محمد ﷺ، ويوم الجمعة سَيِّد أيامها

في هذا الموضوع وما يليه تتجلى لنا الفضائل الجمَّة التي هُدِيت لها أُمَّة محمد ﷺ، واختصَّت بها دون غيرها منَ الأمم السابقة، وذلك مِنَّةً مِنَ الله ﷻ؛ لأنَّه سبق في علمه تعالى أنَّها أُمَّة تستحق ذلك، وهي أهلٌ له، كيف لا ؟ وهي أمَّة خير خلق الله ﷻ _ محمد ﷺ _، وفضلها على الأُمَمْ كفضل نبيِّها على الأنبياء عليهم السلام .

وإنَّ مما اهتدت له أمة محمد ﷺ المسجد الحرام قِبْلةً لها، ويوم الجمعة خير أيامها عند الله ﷻ، وهذا ما ضلَّت عنه الأمم السابقة كما سيأتي بيان ذلك بإذنه تعالى .

ولِقِبْلة أُمَّة محمد ﷺ قصة وقعت في عهده ﷺ، جاء فيها: " أنَّ رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان يُعْجبه أنْ تكون قِبْلته قِبَل البيت _ أي المسجد الحرام _ وأنَّه صلى أو صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رَجُل ممن كان صلى معه، فَمَرَّ على أهل المسجد وهمْ راكعون، قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قِبَل مَكَّة فداروا كما همْ قِبَل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبْل أنْ تُحَوَّل قِبَل البيت رجال قُتِلوا لمْ نَدْرِ ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة ١٤٣) "[١] .

ولابد مِنْ نظرة شاملة على هذا الموضوع كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك على النحو التالي:

أوَّلاً: الدليل مِنَ القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة ١٤٢) .

في هذه الآية الكريمة العديد من الأحكام والدروس المستفادة، ولكن ما نحن بصدده في هذا المقام، هو التركيز على مسألة هداية أُمَّة محمد ﷺ للمسجد الحرام قِبْلةً لها، واختصاصها بذلك دون الأمم الأخرى، وهذا ما عبَّر عنه ابن كثير رحمه الله بقوله: " والله ﷻ

---

(١) صحيح البخاري ١٦٣١/٤ – كتاب التفسير – ٤ باب ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ ... ﴾ (البقرة١٤٢) – حديث رقم ٤٢١٦ .

له بعبده ورسوله محمد ﷺ وأمته عناية عظيمة، إذ هداهم إلى قِبْلة إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن، وجعل توجههم إلى الكعبة المَبْنيَّة على اسمه تعالى وحده لا شريك له أشرف بيوت الله في الأرض، إذ هي بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا قال: ﴿ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ "(1)، وهذا هو الشِّق الثاني منَ الآية الكريمة والشاهد فيها، ومراده: أنَّ المشيئة الإلهية اقتضت هداية أُمَّة محمد ﷺ إلى صراطٍ مستقيم، بمعنى: هداية هذه الأُمَّة إلى المسجد الحرام قِبْلةً لها، وهذا ما يُفْهم مِنْ سياق الآية الكريمة .

ثانياً: الدليل مِنَ السُّنَّة النَّبويَّة:

قال رسول الله ﷺ: **(إنَّهم لا يحسدوننا على شئٍ كما يحسدوننا على يوم الجمعة، التي هدانا الله لها وضَلُّوا عنها، وعلى القِبْلة التي هدانا الله لها وضَلُّوا عنها)**(2) .

يُخْبرنا الحديث الشريف عن عِدَّة فضائل لِأُمَّة محمد ﷺ يحسدهم اليهود عليها؛ لأنَّهم ضلُّوا عنها ولَمْ يهتدوا لها مِنْ قَبْل، بل إنَّهم يحسدون أُمَّة محمد ﷺ على فضائل أخرى لَمْ تُذكر في الحديث سيأتي بيانها لاحقاً بإذنه تعالى في أحاديث أخرى .

وقد اهتدت أُمَّة محمد ﷺ ليوم الجمعة، فهو سَيِّد أيامهم، ويُكْثِرون فيه منَ الطاعات والقُرُبات،؛ لِمَا له مِنْ منْزلة عظيمة عند الله ﷻ، وهو " اليوم الذي ادَّخره الله لهذه الأُمَّة وأَضلَّ عنه أَهْل الكِتاب قَبْلهم "(3)، وذلك مِصْداقاً لقوله ﷺ: **(ما طَلَعت الشمس ولا غربت على يوم خير مِنْ يوم الجمعة، هدانا الله له وضلَّ الناس عنه، فالناس لنا فيه تَبَع، هو لنا، ولليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد)**(4)، وقوله ﷺ: **(هذا يومهم الذي فُرِض عليهم فاختلفوا**

---

(1) تفسير القرآن العظيم – 1/191 .

(2) مسند الإمام أحمد 6/134 – من حديث عائشة برقم 25073 – وقال الألباني رحمه الله: إسناده جيد، رِجاله ثقات . (سلسلة الأحاديث الصحيحة – محمد ناصر الدين الألباني – ط 4 – 1405هـ – 1985م – المكتب الإسلامي – بيروت – 2/303) .

(3) اللمعة في خصائص الجمعة – جلال الدين عبد الرحمن السيوطي – ت: محمد السعيد بسيوني زغلول – ط 1 – دار الكتب العلمية – بيرت – 1405ه – 1985م – 1/150 .

(4) صحيح ابن خزيمة 3/114 – محمد بن اسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري – ت: د. محمد مصطفى الأعظمي – المكتب الإسلامي – بيروت – 1390هـ – 1970م – كتاب الجمعة – باب ذكر منُّ الله ﷻ على أُمَّة محمد ﷺ – حديث رقم 1726 – صححه الألباني رحمه الله في (صحيح الترغيب والترهيب 1/169 – محمد ناصر الدين الألباني – ط 5 – مكتبة المعارف – الرياض) .

فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبَع، اليهود غداً، والنَّصارى بعد غد)[1] .

وتعقيباً على قوله ﷺ: **(فُرِض عليهم)**، قال ابن بَطَّال رحمه الله: " ليس المُراد أنَّ يوم الجمعة فُرِض عليهم بِعَيْنه فتركوه؛ لأنَّه لا يجوز لِأَحد أنْ يَتْرك ما فَرَض الله عليه وهو مؤمن، وإنَّما يدل _ والله أعلم _ أنَّه فُرِض عليهم يوم مِنَ الجمعة _ أي الأسبوع _، وُكِل إلى اختيارهم لِيُقيموا فيه شريعتهم، فاختلفوا في أي الأيام هو، ولمْ يهتدوا ليوم الجمعة ... لو كان فُرِض عليهم بِعَينه لقيل: (فخالفوا) بدل (فاختلفوا)، وقال النووي رحمه الله: " يمكن أنْ يكونوا أُمِروا به صريحاً فاختلفوا هل يَلْزم تعيينه أَمْ يَسُوغ إبداله بيوم آخر؟ فاجتهدوا في ذلك فأخطأوا "[2]، وهذه التَّوْجيهات تَنْطبق أيضاً على مسألة اختلاف أَهْل الكِتاب في تحديد قِبْلتهم، " إنَّ الأُمَمْ قَبْلنا أُمِروا به _ أي يوم الجمعة _ فَضَلُّوا عنه، واختار اليهود يوم السبت الذي لمْ يَقَع فيه خَلْق آدم عليه السلام، واختار النَّصارى يوم الأحد الذي ابتدئ فيه الخَلْق، واختار الله لهذه الأُمَّة يوم الجمعة، الذي أَكْمل الله فيه الخَلِيقة "[3] .

قوله ﷺ: **(فهدانا الله)**، " يُحتمل أنْ يُراد بأنْ نَصَّ لنا عليه، وأنْ يُراد الهداية إليه بالإجتهاد "[4]، وكِلاهما لَهُما وَجْه مِنَ الدلالة .

والحِكَم في هِداية أُمَّة محمد ﷺ ليوم الجمعة بالتحديد مُتَعدِّدة، مِنْها[5]:

- وُقُوع خَلْق آدم عليه السلام فيه، والإنسان إنَّما خُلِق للعِبادة، فناسب أنْ يشتغل بالعِبادة فيه .
- أنَّ الله عز وجل أَكْمل فيه المَوْجودات، وأَوْجد فيه الإنسان الذي يَنْتفع بها، فناسب أنْ يَشْكر الله على ذلك بالعِبادة فيه .

ولا يَمْنع ذلك مِنْ وُجود حِكَم أُخرى مِنْ تقديس يوم الجمعة بالتحديد مِنْ بين باقي أيام الأسبوع عند أُمَّة محمد ﷺ .

" واختلفوا _ أي أهْل الكِتاب _ في القِبْلة، فاستقبلت النَّصارى المَشْرق، واليهود بيت المقدس، فهدى الله أُمَّة محمد ﷺ للقِبْلة _ المسجد الحرام _ "[6] .

---

(١) صحيح البخاري ٢٩٩/١ – كتاب الجمعة – باب فرض الجمعة – حديث رقم ٨٣٦، صحيح مسلم ٥٨٥/٢ – كتاب الجمعة – ٦ باب هِداية هذه الأُمَّة ليوم الجمعة – حديث رقم ٨٥٥ .

(٢) فتح الباري – ابن حجر – ٣٥٥/٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٣٦٦/٤ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المصدر السابق ٣٥٦/٢ .

(٦) المصدر السابق ٢٥١/١ .

المطلب الثاني

تفضيل أُمَّة محمد ﷺ على اليهود أمور

أولاً: تفضيل الله ﷻ أُمَّة محمد ﷺ على اليهود في ضوء القرآن الكريم .

نَسَب القرآن الكريم صِفَة الحسد لليهود في عِدَّة مَواضِع منها[(١)]:

١ـ قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ (البقرة ١٠٩)، " وهذا تنبيه على أعظم النِّعم التي حُسِد عليها المسلمون عامة، والرسول ﷺ خاصة، وهي نِعْمة الإسلام، ونعمة الوحي، وتحصيل الغنائم "[(٢)]، " مِنْ بعد ما تبيَّن أنَّ محمداً ﷺ رسول الله، يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، فكفروا به حسداً وبغياً، إذ كان مِنْ غيرهم "[(٣)] .

٢ـ مِنْها أيضاً قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ (النساء٥٤)، "يعني بذلك حسدهم النبيَّ ﷺ على ما رزقه الله مِنَ النُّبُوَّة العظيمة، ومَنَعهم مِنْ تصديقهم إيَّاه حَسَدِهم له؛ لِكَوْنه مِنَ العرب، وليس مِنْ بني إسرائيل "[(٤)] .

" وهذا مِنْ قبائح اليهود، وحسدهم للنبي ﷺ والمؤمنين؛ أنَّ أخلاقهم الرذيلة وطبعهم الخبيث حمَلَهم على ترك الإيمان بالله ورسوله، والتَّعَوُّض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حُكْم بغير شرع الله "[(٥)]، وفي ذلك تأكيد على أنَّ الحسد صِفَة مُلازمة لليهود، وظاهرة في أفكارهم وأقوالهم وأفعالهم، ولا يُسَلِّمون أبداً بِخَيْرِيَّة غيرهم عليهم مهما كانت الأسباب .

---

(١) **انظر:** مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ١٢٠/١٠، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس – ت: محمد حامد الفقي – ط ٢ – مطبعة السنة المحمدية – القاهرة – ١٣٦٩هـ – ٦/١ .

(٢) أضواء البيان – الشنقيطي – ١٦٣/٩ بتصرف يسير.

(٣) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ١٥٤/١ .

(٤) المصدر السابق – ٥١٤/١ .

(٥) تيسير الكريم الرحمن – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ١٨٢/١ .

ثانياً: بعض ما ميَّزَ الله ﷻ به أُمَّة محمد ﷺ في ضوء السُّنَّة النَّبويَّة .

وَرَد ذلك في السُّنة النبوية مُفَصَّلاً وقد تحدَّدت معالمه بوضــوح، والروايــات النبويــة في ذلك متعددة، مُتَقاربة في الألفاظ ومُتَّفِقة في المعنى، وذلك على النحو التالي:

١ـ قال رسول الله ﷺ: **(إنَّهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة، التي هدانا الله لها و ضلُّوا عنها، وعلى القِبْلَة التي هدانا الله لها، وضَلُّوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين[١])**[٢] .

٢ـ قــال رســول الله ﷺ: **(ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين)**[٣] .

٣ـ قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ اليهود قد سئموا دينهم، وهم قوم حسد، ولمْ يحسدوا المسلمين على أفضل مِنْ ثلاث: رَدُّ السلام، وإقامة الصفوف، وقولهم خلف إمامهم في المكتوبة: آمين)**[٤] .

هذه الأحاديث النبوية متقاربة إلى حدٍّ بعيد في ألفاظها كما ذكرتُ سابقاً، فالتعقيب عليهــا مُجْمَلاً، يُعطي الفائدة المَرْجوَّة، فهي دالَّةٌ على اختصاص أُمَّة محمد ﷺ بهذه الفضــائل الحميــدة دون غيرها مِنَ الأمم الأخرى[٥] .

أمَّا ما يتعلق في اختصاص أُمَّة محمد ﷺ بِهدايتها ليوم الجمعة والمسجد الحرام قِبْلَةً لها، فقد سبق بيانه، وقد اختصت أُمَّة محمد ﷺ بتحية السلام فيما بينها، وهي تحيــة أَهْـل الجنَّــة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ ﴾ (إبراهيم ٢٣)، ومعنى الســلام: الــدعاء بالســلامة مــنَ

---

(١) **آمين** بمعنى: اللهم استجب لي . (لسان العرب – ابن منظور – ٢٦/١٣) .

(٢) مسند الإمام أحمد ١٣٤/٦ – من حديث عائشة ﵁ برقم ٢٥٠٧٣، وقال الألباني ﵀: إسناده جيد، رجاله ثقات، **انظر:** (السلسلة الصحيحة ١٩٠/٢) .

(٣) سنن ابن ماجة ٢٧٨/١ – كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها – باب الجهر بآمين – حـديث رقــم ٨٥٦، صححه الألباني ﵀ في (صحيح الترغيب والترهيب – ١٢٤/١) .

(٤) المعجم الأوسط ١٤٦،١٤٧/٥ – أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني – ت: طارق بن عــوض الله بن محمد /عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني – دار الحرمين – القاهرة – ١٤١٥هــ – باب الطاء – من اسمه عمرو – حديث رقم ٤٩١٠، وقال الألبــاني / فــي (ضــعيف الترغيــب والترهيــب – محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – ١/٦٩) إسناده حسن .

(٥) **انظر:** الخصائص الكبرى – أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكــر الســيوطي – دار الكتــب العلمية – بيروت – ١٤٠٥هــ – ١٩٨٥م – ٣٥٣/٢، فتح الباري – ابن حجر – ٤/١١ .

الآفات[١]، والسلام اسمٌ مِنْ أسماء الله ﷻ[٢] .

واليهود قد حسدوا أُمَّة محمد ﷺ على مشروعية (رَدِّ السلام) أو (إفشاء السلام) فيما بينها، وهذا ما دفع اليهود _ كعادتهم _ إلى محاولة تشويه هذه التحية وتحريفها لفظاً ومَعْناً؛ وذلك لمقاصد خبيثة ودنيئة، وإيذاءاً للنبي محمد ﷺ، فقد " دخل عليه نفر مِنَ اليهود ذات مرَّة، فقالوا: السَّام[٣]عليك يا محمد، قال: **(وعليكم)**، فجلسوا فتحدثوا، وقد فَهِمَتْ عائشة رضي الله عنها تَحِيَّتهم التي حيُّوا بها النبي ﷺ، فاستجمعت غضباً وتصبَّرت، فلمْ تملك غَيْظها، فقالت: بل عليكم السام، وغضب الله ولعنته، بهذا تحيون نبي الله ﷺ ؟! ثُمَّ خرجوا، فهدَّأ النبي ﷺ منْ روْعها، وقال لها: " **إنَّ اليهود قد سئموا دينهم** ... الحديث "[٤] .

إنَّ هذه الحادثة تُظهِر لنا حقيقة حسد اليهود لأُمَّة محمد ﷺ على مشروعية إفشاء السلام فيما بينها، " والحاسد لا يشفيه إلاَّ زوال النِّعمة عنْ المَحْسود "[٥] .

كما حسدوا أُمَّة محمد ﷺ أيضاً على إقامة الصفوف في صلاة الجماعة، وهذا الحسد لمْ يأتِ مِنْ فراغ، فإنَّ إقامة الصفوف في صلاة الجماعة لدى أُمَّة محمد ﷺ يشبه صفوف الملائكة الكرام، والدليل على ذلك قوله ﷺ: **(أَقيموا الصفوف؛ فإنما تَصُفُون كصفوف الملائكة)**[٦]، وهذه خاصيَّة عظيمة لأُمَّة محمد ﷺ انفردت بها عنْ الأمم الأخرى .

والقول خلف الإمام: (آمين) في صلاة الجماعة، هو مما اختصت به أُمَّة محمد ﷺ وانفردت به عن الأمم الأخرى، لذا فإنَّ اليهود يحسدونها على هذه الخاصيَّة العظيمة، والقول خلف الإمام: (آمين) في صلاة الجماعة يكون بعد قراءة سورة الفاتحة، التي " أوَّلها حمد لله وثناء عليه، ثُمَّ خضوع له واستكانة، ثُمَّ دعاء لأُمَّة محمد ﷺ بالهداية إلى الصراط المستقيم،

---

(٦) **انظر:** أضواء البيان – الشنقيطي – ١٥٢،١٥١/٢ .

(١) **انظر:** ص ٤٥ من هذا البحث .

(٢) **السَّام:** بمعنى الموت . (لسان العرب – ابن منظور – ٣١٤/١٢) .

(٣) المعجم الأوسط ١٤٦،١٤٧/٥ – أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني – ت: طارق بن عوض الله بن محمد /عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني – دار الحرمين – القاهرة – ١٤١٥هـ – باب الطاء – من اسمه عمرو – حديث رقم ٤٩١٠، وقال الألباني / في (ضعيف الترغيب والترهيب – محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – ٦٩/١) إسناده حسن، **وانظر:** مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – علي بن أبي بكر الهيثمي – دار الريان للتراث / دار الكتاب العربي – القاهرة / بيروت – ١٤٠٧ هـ – ١١٣،١١٢/٢) .

(٤) أضواء البيان – الشنقيطي – ٢٤/٨ .

(٥) مسند الإمام أحمد ٩٧/٢ – حديث رقم ٥٧٢٤ من حديث عبد الله بن عمر بنحوه، وصححه الألباني ؒ في (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٦٨/٢) .

ثُمَّ الدعاء عليهم _ أي أَهْل الكِتاب _ مع القول: آمين "[1]، ولعلَّ ذلك منْ أشدِّ الدوافع لليهود على حسد أُمَّة محمد ﷺ على هذه الخاصيَّة العظيمة .

والتأمين خلف الإمام يَكْثر عادةً في الصلوات المكتوبة _ أي المفروضة _؛ وذلك لأنَّها تُؤَدى خمس مرات يومياً .

وإنَّ هذه الخاصية والتي قَبْلها، فيهما الكثير مِنْ معاني وِحْدة الصف والكلمة لدى أُمَّة محمد ﷺ، بعكس أهل الكتاب وخاصَّةً اليهود المُشَرْذمين، الذين تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، لذلك فهمْ يحسدون أُمَّة محمد ﷺ على العديد مِنَ الفضائل التي اهتدت لها، وضلَّ عنها اليهود والنصارى .

والحسد فيه " سوء الأدب مع الله ﷻ؛ فإنَّ حقيقة الحسد كراهيَّة إنعام الله على عَبْده، واعتراض على الله في فعله "[2]، وهو " أول معصية عُصِيَ الله بها في السماء والأرض، أمَّا في السماء فحسد إبليس لأدم ﵇، وأمَّا في الأرض فقتْل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد "[3] .

" إنَّ الذي جرى لإبليس كان بسبب حسده لآدم ﵇ على ما أكرمه الله به، فاحتقره وتَكَبَّر عليه، فَوَقع في العِصْيان، وكانت نتيجته الطرد واللعن .

وهكذا اليهود، إنَّ داءهم الدفين هو الحسد والعجب بالنَّفْس، فَجَرَّهم إلى الكُفْر وَوَقَعوا في الخِيَانة وكانت النتيجة القتل والطرد، فَسَلَّط الله عليهم رسوله ﷺ والمسلمين "[4]، ومنْ قبْلهم عباداً له أولي بأسٍ شديد، أذاقوا اليهود سوء العذاب، وهذا قَدَرهم عند الله إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ (الأعراف ١٦٧) .

" فَهُم أنْجس الناس قلوباً، وأخبثهم طويَّة، وأردؤهم سَجيَّة، وأولاهم بالعذاب الأليم ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة ٤١)، فهُم أُمَّة الخيانة لله ورسوله ودِينه وكتابه وعباده المؤمنين ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة ١٣) "[5] .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – ١٣١/١ بتصرف يسير .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل – محمد الغرناطي – ٢٢٦/٤ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) أضواء البيان – الشنقيطي – ٢٦/٨ بتصرف .

(٥) أحكام أهل الذمة – شمس الدين الدمشقي – ٤٨٦/١ .

المطلب الثالث

هداية أُمَّة محمد ﷺ للأمر بالمعروف والنهي عَنْ المُنْكَر

كثيرةٌ هي الفضائل التي اهتدت لها أُمَّة محمد ﷺ وضلَّت عنها الأمم السابقة، وهي الأُمَّة السَّبَّاقة دائماً إلى فعل الخيرات، بلْ إنَّها أُمَّة التوحيد، التي رضيت بالله ربَّاً، وبالإسلام دِيناً، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً، وإنَّ مِنْ أَجَلِّ مَنَاقبها التي نالتْ به الخيْريَّة على الأُمم الأخرى بعد الإيمان بالله ﷻ، أنَّها أقامت شَعِيرة الأمر بالمعروف والنهي عَنْ المُنْكَر كما يحب الله ويرضى، وذلك أنَّها أُمَّة تتواصى بالخير وتأمر به، وتُنْكر كل مُنْكرٍ وتَنْبُذه وتَنْهى عنه، وهذا ما قصَّرتْ به الأُممْ السابقة تقصيراً كبيراً، بلْ إنَّ منْها مَنْ ذَهَبت إلى أبعد مِنْ ذلك، فقلبت مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عَنْ المُنْكَر وعكسته تماماً، وسارت على نقيضه، فنهت عنْ المعروف وأمرت بالمُنْكر، وأخذت تعتزل وتُعادي أنبياء الله عليهم السلام، وكُلْ مَنْ سَلك طريق الفضيلة والهداية، كما فعل قوم لوط عليه السلام به، فقالوا: ﴿ أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ (النمل ٥٦) .

والحديث في هذا الموضوع مجاله واسع، وفي هذا المقام سيتم البحث في مسائله وأحكامه، وتحليل جزئياته كما جاءت في القرآن الكريم والسُّنة النبوية .

أوَّلاً: تلازم خَيْريَّة أُمَّة محمد ﷺ مع الأمر بالمعروف والنهي عَنْ المُنْكَر .

عَرَّف شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله كُلاًّ مِنَ: (المعروف) و(المنكر) الواردتان في الآية بقوله: " يَدْخل في المعروف كل خير، وفى المنكر كل شر "(١)، وقيل أيضاً: " المنكر اسم مشتق مِنَ النكرة، وهو في الشريعة عبارة عنْ: ارتكاب محظورات الشرع، وضده المعروف "(٢)، والخلاصة في ذلك:

- المعروف: هو اسم جامع لكل ما هو محمود شرعاً، مِنْ قولٍ أو فعلٍ أو اعتقاد .
- المنكر: هو اسم جامع لكل ما هو مذموم شرعاً، مِنْ قولٍ أو فعلٍ أو اعتقاد .

---

(١) مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ١٦٢/٧ .

(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر – جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي – ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي – ط ١ – مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م – ٥٤٤/١ .

يقول المولى ﷻ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران ١١٠)، وفي الآية الكريمة " تفضيلٌ مِنَ الله لهذه الأمة بهذه الأسباب، التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنَّهم خير الناس للناس، نُصْحاً ومحبةً للخير ودعوةً وتعليماً وإرشاداً وأمراً بالمعروف ونهياً عنْ المنكر، وجمْعاً بين تكميل الخَلْق والسعي في منافعهم بحسب الإمكان وبين تكميل النفس بالإيمان بالله والقيام بحقوق الإيمان "[١] .

والمراد بقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ أي: " وُجِدْتم خير أُمة، وقيل: كنتم في عِلْم الله خير أُمة، وقيل: كنتم في الأُمم قبْلكم مذكورين بأنَّكم خير أُمة مَوْصوفين به "[٢] .

واللافِت في الآية الكريمة أنَّ الله ﷻ " قَدَّم ذِكْر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على الإيمان في هذه الآية، مع أنَّ الإيمان هو الأصل الذي تَقُوم عليه أعمال البِرْ، والدَّوحة التي تتفرع عنها أَفْنان الخير، وذلك تشريفاً لتلك الفريضة _ أي الأمر بالمعروف والنهى عنْ المنكر _، وإعلاءاً لِمَنْزلتها بين الفرائض، بلْ تنبيهاً على أنَّها حِفَاظ الإيمان ومِلاك أَمْره "[٣] .

وقد فسَّر الصحابي الجليل أبو هريرة ﷺ قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ بقوله: " خير الناس للناس، تأتون بِهِم في السلاسل في أعناقهم حتى يَدْخلوا في الإسلام "[٤]، بمعنى: " أنَّهم _ أي الكفار _ أُسِروا وقُيِّدوا، فلمَّا عرفوا صِحَّة الإسلام دخلوه طَوْعاً، فدخلوا الجنة "[٥]، ومصداق ذلك قوله ﷺ: **(رأيت ناساً مِنْ أُمَّتي يُساقون إلى الجنة في السلاسل، ما أكرهها إليهم!** قلنا: مَنْ هُمْ؟ قال: **قَوْم مِنَ العجم يَسْبيهم المهاجرون فيُدْخلونهم في الإسلام)**[٦] .

وفي هذا إشارة إلى فريضة الجهاد في سبيل الله، " فإنَّه مِنَ الوسائل النافعة في الدعوة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ١٤٣/١ .

(٢) عمدة القاري – بدر الدين العيني – ١٤٨/١٨ .

(٣) رسالة التوحيد – إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي – ط ١ – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية – ١٤١٧هـ – ٩٣/١ .

(٤) صحيح البخاري ١٦٦٠/٤ – كتاب التفسير – ٦٥ باب ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ – حديث رقم ٤٢٨١ .

(٥) فتح الباري – ابن حجر – ١٤٥/٦ .

(٦) تاريخ أصبهان ٢٦٨/٢ – أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران المهراني الأصبهاني – ت: سيد كسروي حسن – ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٠ هـ –١٩٩٠م – باب الميم – من اسمه محمد – حديث رقم ١٦٦٣، وقد حسَّنه الألباني في (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٨٧٧/٦) .

إلى الله ودخول الناس في الإسلام؛ لأنَّ مِنَ البشر مَنْ لا ينفع فيهم إلا القوة "[1]، فالجهاد في سبيل الله مِنْ شأنه أنْ يُزيل كافة العوائق والعقبات التي تحول دون وصول الدعوة الإسلامية إلى الناس، ومِنْ ثَمَّ فإنَّهم يتعرفون عليه بكامل حُرِيَّتهم .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ النصوص الشرعية الدالة على خيرية أُمَّة محمد ﷺ على الأُمم السابقة، لا تعارُض بينها وبين النصوص التي ذكرت تفضيل بني إسرائيل، كقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة ٤٧)، ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (الجاثية ١٦)؛ " لأنَّ ذلك التفضيل الوارد في بني إسرائيل ذُكِر فيهم حال عدم وجود أُمَّة محمد ﷺ، والمعدوم في حال عدمه ليس بشيء حتى يُفَضَّل أو يُفَضَّل عليه، ولكن الله ﷻ بعد وجود أُمَّة محمد ﷺ صرَّح بأنَّها هي خير الأُممْ "[2] .

وإلى هذا ذهب الطبري ﵀ بقوله: " إنَّ عالَم كُل زمان غير عالَم الزمان الذي كان قَبْله، وعالَم الزمان الذي بَعْده "[3]، والمعنى: أنَّ تفضيل بني إسرائيل على العالمين في زمن مِنَ الأزمنة، لا يعني ذلك بالضرورة تفضيلهم على العالمين في الأزمنة التي قبلهم والأزمنة التي بعدهم، لا سِيَما وأنَّ الحظ الأوفر في الخيرية هو لأُمَّة محمد ﷺ، ولا تَفُوقها في الخيريَّة أُمَّة مِنَ الأُمم، فقد قال ﷺ: **(أنتم تُتِمُّون سبعين أُمَّةً، أنتم خيرها وأكرمها على الله ﷻ)**[4] .

وقد جاء هذا الحديث تفسيراً منه ﷺ لقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾، وكما هو ظاهر في الأدِلَّة الشرعية فإنَّ اتِّباع تعاليم الدِّين الإسلامي الحنيف _ الذي بُعِث به محمد ﷺ _ والالتزام بها هو ما جعل أُمَّة محمد ﷺ خير الأُمَمْ وأكرمها على الله ﷻ .

ثانياً: تفريط بني إسرائيل في شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عنْ المنكر، وتَخَلِّيهم عنْها .

يقول المولى ﷻ: ﴿ وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ

---

(١) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري – سعيد بن علي بن وهب القحطاني – ط ١ – الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – ١٤٢١هـ – ٤٠/٣ بتصرف .

(٢) أضواء البيان – الشنقيطي – ١٩٨/٧ .

(٣) جامع البيان – ٦٦/١ .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٩٤/٤ – كتاب معرفة الصحابة – ذِكر فضائل هذه الأمة على سائر الأمم – حديث رقم ٦٩٨٧ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن أ.هـ (الجامع الصحيح – ٢٢٦/٥) .

﴿ يَعْمَلُونَ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ (المائدة ٦٢،٦٣) .

تُخبرنا الآية الكريمة عنْ تسابق اليهود على المعاصي والظلم دون تَوَرُّع وحرصهم الشديد على ذلك، والأدهى والأمرْ هو سكوت علمائهم عنْ ذلك، وعدم قيامهم بواجبهم الشرعي، منْ توجيه الناس وإرشادهم إلى الهدى وتحذيرهم منْ الضلال والوقوع فيه وزجرهم عنْ ذلك .

وفي الآية دلالة على أنَّ ترك النهي عنْ المنكر كارتكابه، وذلك في حال توفر القُدْرة والاستطاعة على النهي عنْ المنكر والعلم اليقيني بحرمته[١] .

وقد فسر ابن عباس ﷺ الآية الكريمة بقوله: " ما في القرآن آية أَشَدُّ تَوْبيخاً مِنْ هذه الآية "[٢]، وذلك كقوله تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة ٧٨،٧٩)، " فقد سمّى الله ﷻ في هذه الآية الكريمة تركهم التناهي عنْ المنكر فعلاً، وأنشأ له الذمّ بلفظة (بئس)، التي هي فعل جامد لإنشاء الذمّ على تركهم التناهي عنْ كُل منكر فعلوه "[٣]، ومِنْ ثَمَّ نزلت عليهم اللعنة مِنَ الله ﷻ، وفي المقابل استحقت أُمَّة محمد ﷺ الخيرية على كافة الأممْ بتمسكها والتزامها بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عنْ المنكر، وذلك مِنَّةً مِنَ الله ﷻ .

وإنَّ الحديث عنْ بني إسرائيل يدفعنا إلى ذِكْر قصة أصحاب السبت، التي قال الله فيها: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف١٦٣،١٦٥،١٦٤)، والقرية المذكورة في الآية اسمها: أيلة[٤]، وقد حَرَّم الله على أهلها الحيتان _ أي صيد الأسماك _ يوم سَبْتهم، فكانت تأتيهم يوم سبتهم شُرَّعاً في ساحل البحر، فإذا مضى يوم السبت لمْ يقدروا

---

(١) **انظر:** الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – ٢٣٧/٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٧٥/٢ .

(٣) أضواء البيان – الشنقيطي – ٤٩/٦ .

(٤) **أيلة**: بالفتح، مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام _ أي على ساحل البحر الأحمر جنوب فلسطين _ . (معجم البلدان – ياقوت الحموي – ٢٩٢/١) .

عليها، فمكثوا كذلك ما شاء الله، ثُمَّ إنَّ طائفة مِنْهم أخذوا الحيتان يوم سَبْتهم، فَنَهَتهم طائفة، فلَمْ يزدادوا إلاَّ غياًّ، فقالت طائفة مِنَ النُّهاة: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً ﴾، أي: تعلمون أنَّ هؤلاء قَوْم قد حقَّ عليهم العذاب، وكانوا أشدَّ غضباً مِنَ الطائفة الأخرى، وكُلٌّ قد كانوا ينهون، فلمَّا وقع عليهم غضب الله، نجت الطائفتان اللتان قالتا: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً ﴾، والذين قالوا: ﴿ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾، وأهلك الله أَهْل معصيته، الذين أخذوا الحيتان، فجعلهم قردة[١] .

أمَّا الفرقة الساكتة، أي الذين قالوا: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً ﴾، فقد " اختلف المفسرون في نجاتهم وهلاكهم، والظاهر أنَّهم كانوا مِنَ النَّاجين؛ لأنَّ الله خَصَّ الهلاك بالظالمين، وهو لمْ يَذْكر أنَّهم ظالمون، فَدَلَّ على أنَّ العقوبة خاصة بالمُعْتدين في السبت "[٢] .

ورأي آخر يقول: " نصت الآية الكريمة على نجاة الناهين، وهلاك الظالمين، وسكت عنْ الساكتين؛ لأنَّ الجزاء مِنْ جنس العمل، فَهُمْ لا يستحقون مَدْحاً فَيُمدحوا ولا ارتكبوا عظيماً فَيُذموا "[٣]، وكِلا القولين له وجه مِنَ الدلالة .

وإنَّ المقصود الأعظم مِنْ إنكار المنكر هو الإعذار إلى الله ﷻ، وإقامة الحُجَّة على المأمور المَنْهي، ولعلَّ الله أنْ يهديه فيعمل بمقتضى ذلك الأمر والنهي[٤]، لذلك فقد قالت الفرقة النَّاهية عنْ المنكر للفرقة الساكتة: ﴿ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ .

---

(١) **انظر:** الدر النمثور – السيوطي – ٥٨٨/٣ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ٣٠٧/١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٢٥٨/٢ .

(٤) **انظر:** تيسير الكريم الرحمن – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ٣٠٧/١ .

المبحث الثاني

تَمَيُّز أُمَّة محمد ﷺ في رواياتها بالسَّنَدْ

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: منزلة السَّنَد في دِين أُمَّة محمد ﷺ .

المطلب الثاني: مكانة القرآن الكريم مِنْ حيث قواعد الإسناد الصحيحة وسلامته مِنَ التحريف .

المطلب الثالث: مكانة السُّنَّة النَّبَوِيَّة مِنْ حيث قواعد الإسناد الصحيحة وحِفْظها مِنَ الضياع .

المطلب الرابع: مصادر ورِجال اليهود والنصارى بين الإثبات والنفي .

المطلب الأول

مَنْزِلة السَّنَد[1] في دِين أُمَّة محمد ﷺ

يُعَد عِلْم الإسْناد والرِّواية تُراث عريق، ومَفْخرة لأُمَّة محمد ﷺ، تميَّزت به عن الأُمَـمْ الأخرى وانفردت به، فقد أسَّسَ علماء هذه الأُمَّة عِلْم الإسناد والرِّواية على درجة عالية مِنَ الدِّقَّة والشفافيَّة؛ وذلك للتَّثبُّت منْ مدى صِحَّة ما نُقِل للناس منْ رِوايات ونصوص شرعية نُسِبَت لنبينا محمد ﷺ وسلَف هذه الأُمَّة، وذلك على استناداً لِقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾(الحجرات ٦) .

أَوَّلاً: شهادة العُلَماء بِتَميُّز أُمَّة محمد ﷺ بالسَّنَد .

مِنْ خلال هذا العِلْم يستطيع الباحث الوصول إلى أُصول الرِّوايات والنصوص الشرعية، ومعرفة مصدرها بالتحديد وتَمْحيصها، وتَمْييز صحيحها مِنْ سَقيمها[2] .

وتَجْدر الإشارة إلى أنَّ كُتُب العلماء والباحثين المعاصرين تكاد تكون خالية مِـنْ ذِكـر اختصاص أُمَّة محمد ﷺ بهذا العِلْم وتميُّزها به عن الأُمم السابقة، بعكـس العلمـاء المُتَقـدِّمين منْ هذه الأُمَّة، الذين أكَّدوا على هذه النقطة؛ وذلك لِعِظَم قَدْر هذا العِلْم وشـرفه بـين العلـوم، فمِنْ ذلك قَوْل السيوطي ؒ: " الإسناد في أَصْلِه خِصِّيصة فاضِلة لهذه الأُمَّـة ليسـت لغيرهـا مِنَ الأُمَمْ "[3]، و قال ابن حزم ؒ: " نَقْـلُ الثِّقَـة عـن الثقـة يبلـغ بـه النبـي محمـد ﷺ مـع الاتصـال، خَـصَّ الله بـه المسـلمين دون سـائر المِلَـلْ "[4]،

---

(١) **السَّنَد:** هو سلسلة الرجال التي تنتهي إلى متن الحديث، والسَّنَد هو الإسناد . **انظر** (شرح نخبة الفكـر في مصطلحات أهل الأثر – نور الدين أبو الحسن على بـن سـلطان محمـد القـاري الهـروي – ت: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم – دار الأرقم – لبنان / بيروت – ١٥٧/١) .

(٢) **انظر:** المصدر السابق ١٨٥/١،١٨٦ .

(٣) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي – عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – ت: عبـد الوهـاب عبد اللطيف – مكتبة الرياض الحديثة – الرياض – ١٥٩/٢ .

(٤) المصدر السابق .

وقال أبو علي الجياني[1] رحمه الله: " خَصَّ الله ﷻ هذه الأُمَّة بثلاثة أشياء لَمْ يُعْطها مَنْ قَبْلها: الإسناد والأنساب والإعراب "[2] .

إذن فإنَّ أُمَّة محمد ﷺ هي أُمَّة وثائقية، فكُلُّ ما هو منسوب لشريعتها مُوَثَّق وله أصْلٌ في الدِّين، ومَصْدره واضح بَيِّن لا غُموض فيه؛ وذلك بِفَضْل الله ﷻ، الذي قَيَّضَ لهذه الأُمَّة علماء جهابذة، يُمَيِّزون الطَّيِّب مِنَ الخبيث، ويحرسون الدِّين منْ كل حاقد وخبيث، ويَذُبُّون عنه الكذب والدسائس، وكُلُّ ما يُشَوِّه جماله ونقاءه .

ثانياً: أهميَّة ومكانة الرِّواية بالسَّنَد المُتَّصل في حِفْظ الدِّين لدى أُمَّة محمد ﷺ .

قال رسول الله ﷺ: (**بَلِّغوا عنِّي ولو آية، وحَدِّثوا عنْ بني إسرائيل ولا حَرَج**)[3]، ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أهمية الرِّواية بالسَّنَد المُتَّصل عنه ﷺ، ووجه الدّلالة فيه: أنَّه يَحْتمل وجهين[4]:

١ـ اتصال السَّنَد بنقل الثِّقَة عن مثله إلى مُنْتهاه؛ لأنَّ التبليغ مِنَ البُلُوغ: وهو إنهاء الشيء إلى غايته .

٢ـ أداء اللَّفظ كما سمع، مِنْ غير تغيير .

والمطلوب في الحديث كِلا الوجهين؛ لوقوع (**بَلِّغوا**) مُقَابلاً لقوله ﷺ: " **حَدِّثوا عن بني إسرائيل** "، وهذا الفارق بين التعبيريْن يُقَرِّب المعنى للأَذْهان .

وقد فَهِمَ السَّلَف الصالح رضوان الله عليهم هذه الوصيَّة النَّبويَّة فَهْماً جيِّداً، وحرصوا على تطبيقها عملياً في كُلِّ ما يتعلق بأُمُور دِينهم، ولمْ تكُنْ عندهم الرواية عنه ﷺ كالرِّواية عنْ أي شخص آخر، بل كانوا يُمْحِّصون كلَّ ما يُنْقل لهُمْ عنه ﷺ ويَتَثَبَّتون منْه؛ احتياطاً لِدِينهم، وسداً لِكُلِّ باب قد يَدْخُل منه الكذب عليه ﷺ .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: " كُنْتُ في مَجْلس مِنْ مجالس الأنصار، إذ جاء

---

(١) أبو علي الجياني الحسين بن محمد الغساني الأندلسي المحدث، له كتاب: (تقييد المهمل) أجاد فيه وأحسن، وكان مِنْ أفراد الحُفَّاظ، مع معرفة الغريب والشعر والنسب وحُسن الحظ، وجيان بلدة كبيرة بالأندلس . (شذرات الذهب في أخبار من ذهب – عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي – ت: عبد القادر الأرنؤوط / محمود الأرناؤوط – ط ١ – دار بن كثير – دمشق – ١٤٠٦هـ – ٢٣١/٣) .

(٢) المصدر السابق ١٦٠/٢ .

(٣) صحيح البخاري ١٢٧٥/٣ – كتاب الأنبياء – باب ما ذُكِر عن بني إسرائيل – حديث رقم ٣٢٧٤ .

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – علي بن سلطان محمد القاري – ت: جمال عيتاني – ط ١ – دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م – ٤٠٨/١ .

أبو موسى الأشعري ﷺ كأنَّه مَذْعور فقال: استأذنتُ على عمر بن الخطاب ﷺ ثلاثاً فَلَمْ يُؤْذن لي فرجعت، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: ما منعك؟ قلْت: استأذنت ثلاثاً فلمْ يُؤْذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ: **(إذا استأذن أحدُكم ثلاثاً فلمْ يؤذن له، فليرجع)**، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: والله لَتُقيمنَّ عليه بيِّنَة، أَمِنْكُم أحد سَمِعه مِنَ النبي ﷺ؟ فقال أُبَيٌّ بن كعب ﷺ: والله لا يَقُوم معك _ أي مع أبي موسى الأشعري ﷺ _ إلَّا أصغر القوْم، فكنْتُ أصغر القوم، فَقُمْتُ معه، فأخبرت عمر ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال ذلك "[١] .

وقد علَّلَ عمر ﷺ فِعْلَه بقوله لأبي موسى الأشعري ﷺ: " أمَا إني لمْ أتَّهمك، ولكني خشيْت أنْ يَتَقوّل الناس على رسول الله ﷺ "[٢] .

والمُلاحظ في قصة عمر ﷺ أنَّه أراد أنْ يَتَلَقى حديث رسول الله ﷺ بطُرُقه وأسانيده المُتَعدِّدة، مع أنَّ طريقاً واحدة تكفي، وفي ذلك تقديس لحديث رسول الله ﷺ، وتَمْييزه عنْ أحاديث وأقوال الأشخاص الآخرين .

قال عبد الله بن المبارك ﷺ: " الإسناد مِنَ الدِّين، ولولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما شاء "[٣]، وقال محمد بن سيرين ﷺ: " إنَّ هذا العِلْم دِين، فانظروا عمَّنْ تأخذون دِينكم "[٤]، وذلك بأنْ لا يُؤخذ العِلْم إلَّا عنْ أهْله، وعنْ الرُّواة الثِّقات العُدُول، وقال بهز بن أسد ﷺ[٥]: " لو أنَّ لِرَجل على رجُل عشرة دراهم ثم جحده، لمْ يستطع أَخْذها مِنْه إلَّا بشَاهدين عَدْليْن، فدِين الله ﷻ أَحَقّ أنْ يُؤْخذ فيه بالعُدُول "[٦]، بمعنى: أنَّ الرِّوايات لا تُقْبل إلَّا إذا كانت أسانيدها مِنَ الرُّواة العُدُول الثِّقات، وقال سفيان بن عيينة ﷺ: " حَدَّث الزُّهْري يوماً بحديث، فقلتُ: هاته بِلا إسناد، فقال الزهري ﷺ: أَتَرْقى السَّطْح بِلا سُلَّمْ؟! "[٧]،

(١) صحيح البخاري ٥/٢٣٠٥ – كتاب الاستئذان – باب التسليم والاستئذان ثلاثاً – حديث رقم ٥٨٩١ .
(٢) فتح الباري – ابن حجر – ١١/٣٠ .
(٣) صحيح مسلم ١/١٥ – باب بيان أن الإسناد من الدين .
(٤) المصدر السابق ١/١٤ .
(٥) **بهز بن أسد:** بصري ثقة ثَبْت في الحديث، رجل صالح صاحب سُنَّة . (معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم – أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي – ت: عبد العليم عبد العظيم البستوي – ط ١ – مكتبة الدار – المدينة المنورة – السعودية – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م – ١/٢٥٥) .
(٦) الجرح والتعديل – عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي – ط ١ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٢٧١ هـ – ١٩٥٢ م – ٢/١٦ .
(٧) تدريب الراوي – السيوطي – ٢/١٦٠ .

وقـــال ســـفيان الثـــوري ﷺ: " الإســـناد ســـلاح المـــؤمن، فـــإذا لـــمْ يَكُـــنْ معـــه ســـلاح فبأي شيء يقاتل؟! "(١) .

هذه أقوال أَهْـل العِلْـم التـي توضِّـح مـدى أهميـة الرِّوايـة بالسَّـنَد المُتَّصـل عنْ نبينا محمد ﷺ، والحرص الشديد على التَّلقي فقـط عـنْ الثِّقـات العُـدُول مِـنَ الـرُّواة، وهذا كُله منْ تعاليم دِين أُمَّـة محمـد ﷺ، ولـمْ يَكُـنْ ذلـك دارِجـاً فـي الأُمـمْ الغـابرة، " فالمسلمون لَهُمْ الأسانيد المُتَّصِلة بِنَقْل العُدُول الثِّقات لِدَقِيق الدِّين، كمـا نَقَـل العامَّـة جَلِيلـه، وليس هذا لأهْل الكِتاب "(٢) ولا لغيرهم .

---

(١) فتح المغيث شرح ألفية الحديث – شمس الـدين محمـد بـن عبـد الـرحمن السـخاوي – ط ١ – دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤٠٣هـ – ٤/٣ .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – أحمـد عبـد الحلـيم بـن عبـد السـلام ابـن تيميـة – علي سيد صبح المدني – مطبعة المدني – مصر – ١٤/٣ .

المطلب الثاني

مكانة القرآن الكريم[1]مِنْ حيث قواعد الإسناد الصحيحة، وسلامته مِنَ التحريف

للقرآن الكريم مكانة عَظِيمة مِنْ حيث قوة تماسكه وثبوته في ظِل كثـــرة المُتَغيِّـــرات والمُسْتجدات التي تَطْرأ في كُلِّ حين، فقد حَكَمتْ قواعد الإسناد لدى أهْل العِلْم منْ أُمَّة محمد ﷺ بِقَطْعيَّة ثُبُوته على مَرِّ القُرون، وهو على ذلك إلى قيام السَّاعة .

" إنَّ القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد مِنْ بين الكُتُب الإلهيَّة الذي تَكَفَّل الله بِحِفْظ لَفْظــه ومعناه مِنْ أنْ يَتَطرَّق إليه التَّحْريف اللَّفْظي أو المَعْنوي "[2] .

وهذه واحدة مِنَ المزايا العديدة التي يتميَّز بها القرآن الكريم عنْ الكُتُب السَّماوية السابقة، ومنْ ثمرات حِفْظ القرآن الكريم مِنَ التَّحريف ومِنْ أيْدي العابِثِين، احتفاظ اللُّغَة العربيَّة بفَصاحتها وبلاغتها ورَوْنقها وقوة تعبيرها وتأثيرها؛ وذلك أنَّ القرآن الكريم نَزَل بِلِســانٍ عربــيٍّ مُبِــين، وبما أنَّه المُعْجِزة الخالدة، فإنَّ العربيَّة هي اللُّغة الخالدة[3]، وثمــرات حِفْــظ القــرآن الكــريم كثيرةٌ جمَّة[4] .

---

(١) **القرآن الكريم:** هو الكلام المعجز المُنْزَل على النبي محمد ﷺ، المكتوب فــي المصــاحف، المَنْقــول بالتَّواتُر، المُتَعبَّد بتِلاوتِه . (مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبد العظيم الزرقاني – ط ١ – دار الفكر – لبنان – ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م – ١٥/١) .

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة – نُخْبَة من العلمــاء – ط ١ – وزارة الشــؤون الإســلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ١٤٢١هـ – ص ١٨٩ .

(٣) **انظر:** إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل – محمد بن إبراهيم بن سعد الله بــن جماعــة – ت: وهبي سليمان غاوجي الألباني – ط ١ – دار السلام للطباعــة والنشــر – مصــر – ١٤١٠هـــ – ١٩٩٠م – ٧/١ .

(٤) **منْها:**

- إنَّ الحفظ الإلهي للقرآن الكريم له دور رئيسي لاعتناق الدِّين الإسلامي مِنْ قِبَل العديد مِنَ الناس بِشَكل مستمر ومُتواصل إلى قيام الساعة، وذلك بفضل وُجُوه الإعجاز العديدة لدى القرآن الكريم .
- إنَّ الحفظ الإلهي للقرآن الكريم له دور رئيسي في مواجهة وإفشــال الغــزو الفِكْــري والإستشــراقي على أُمَّة محمد ﷺ .
- إنَّ الحفظ الإلهي للقرآن الكريم يجعله المَرْجعيَّة الأولى للبَشَرية في شتى نواحي الحياة، على اعتبار أنَّه مُعْجِزة إلهية مَعْصومة عن أي خطأ أو نقص أو خلل .

- **القــرآن الكــريــم وقَطْعيَّــة ثُبُوتــه .**

أكَّد أهْل العِلْم والمُخْتَصِّين في عِلْم الرِّواية والإسناد أنَّ القرآن الكريم يَتَبوَّأ أعلى درجات الثُّبُوت القَطْعي، " فهو مَنْقول بالتَّواتُر[١]محفوظ في الصُّدور، ولو عُدِمَت المَصَاحِفْ لَــمْ يَكُــنْ للمسلمين بها حاجة؛ فانَّ المسلمين لَيْسوا كأهْل الكِتاب، الذين يعتمدون على الكُتُب، التــي تَقْبــل التَّغْييــر، والله أنْــزل القــرآن علــى محمــد ﷺ، فَتَلَقَّــاه تَلَقِّيــاً، وحَفِظَــه فــي قَلْبــه، لمْ يُنْزِله مَكْتوباً كالتَّوراة "[٢] .

" فالمسلمون عندهم نَقْل مُتَواتر عنْ نبيِّهم بألفاظ القرآن ومعانيه المُتَّفق عليها، يَحْفظون القرآن في صدورهم حِفْظاً يستغنون به عنْ المصاحف، ولو غُسِل بالماء مِنَ المصاحف لمْ يُغْسل مِنَ القلوب، أمَّا الكُتُب المُتَقدِّمة فإنَّه لو عُدِمت نُسَخها لمْ يوجد مَنْ ينقلها نَقْلاً مُتواتراً مَحْفوظــة في الصُّدور، والقرآن ما زال محفوظاً في الصدور نَقْلاً مُتواتراً، حتى لو أراد مُرِيــد أنْ يُغَيِّــر شيئاً مِنَ المصاحف، وعُرِض ذلك على صِبْيان المسلمين، لعرفوا أنَّه قد غُيِّر فــي المصــحف وأنْكروه؛ وذلك لِحِفْظهم للقرآن مِنْ غير أنْ يُقَابلوه بمصحف، وأهْل الكِتاب يَقْدر الإنسان مــنْهم على أنْ يَكْتب نُسَخاً كثيرة مِنَ التَّوْراة والإنْجيل، ويُغَيِّــر بعضــها، ويعْرضــها علــى كثيــر مِنْ علمائهم ولا يعرفون ما غُيِّر مِنْها إنْ لمْ يعْرضوه على النُّسَخ التي عندهم "[٣] .

قــــال تعــــالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجــــر ٩)، " ومِــــــنْ حِفْظـــــه: تَيْســــير الصَّــــحابة ﷺ لِجَمْعـــــه، واتِّفــــاقهم على تَقْييده وضبطه "[٤] .

" وأجمع العلماء على أنَّ ما في مصحف عثمان بن عفان ﷺ وهو الذي بأيدي المسلمين اليوم في أقطار الأرض حيث كانوا، هــو الــقــرآن الــمَحْـفــوظ الذي لا يــجــوز لأَحَــد

---

(١) **المُتَواتر:** هو المفيد للعِلْم اليقيني بشروطه، وهي: عدد كثير _ منَ الرُّواة _ أحالت العــادة تواطــؤهم على الكذاب، رَوَوْا ذلك عنْ مِثْلهم، منَ الابتداء إلى الانتهاء، وكان مُسْتند انتهائم الحُسْــن، وانْضــاف إلى ذلك: أنْ يَصْحب خبرهم إفادة العِلم لسامعه . (نُخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر– أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – دار إحياء التراث العرب – بيروت – ١/١) .

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير – ١٢/١٠٠ .

(٣) الجواب الصحيح – ابن تيمية – ٣/١٣،١٤ .

(٤) أحكام القرآن – أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي – ت: محمد عبد القادر عطــا – دار الفكــر للطباعة والنشر – لبنان – ٢/٦١١ .

أنَّ يتـــجـــاوزه "[1] .

" إنَّ الصحابة ﷺ بالغوا في نَقْله وتَجْريده عمَّا سواه، حتى كَرِهوا التَّعاشير[2]والنَّقْط[3]؛ كيْلا يختلط بغيره، فَنَعلم أنَّ المَكْتوب في المصحف هو القرآن، وما خَرَج عنْـــه فلـــيس مِنْـــه، إذْ يستحيل في العُرْف والعادة مع توفُّر الدَّواعي على حِفْظ القرآن، أنْ يُهْمَل بعضه فـــلا يُنْقـــل أو يُخْلَط به ما ليس مِنْه "[4] .

ويرى أهْل العِلْم أنَّ مُقْتضى (الحِفْظ) المذكور في الآية الكريمـــة هـــو اشـــتراط نَقْـــل الآيات القرآنية بالتواتر، أمَّا خِلاف ذلك فلا يُقْبل قرآنـــاً؛ لأنَّـــه يُخـــالف مفهـــوم (الحِفْـــظ) المراد في الآية[5] .

" إنَّ الصحابة ﷺ كانوا أَحْرص الناس على الاحتياط للقرآن، وكـــانوا أَيْقـــظ الخَلْـــق في حِراسة القرآن، ولهذا لمْ يعتبروا مِنَ القرآن إلَّا ما ثَبَت بالتَّواتر، وردُّوا كُلَّ مـــا لـــمْ يَثْبُـــت تَوَاتُره؛ لأنَّه غير قَطْعي، ويأبى عليهم دِينهم وعقلهم أنْ يقولوا بقرآنية مـــا لـــيس بِقَطْعـــي "[6]، وقد نَقَل النووي ﷺ الإجماع على ذلك[7] .

" والقرآن تَلَقَّته الأُمَّة مِنْ نبيِّها محمد ﷺ حِفْظاً في حياته، وحَفِظَ القرآن جميعه في حياته غير واحد مِنْ أصحابه، وما مِنَ الصحابة إلَّا مَنْ حَفِظ بعضه، وكان يَحْفظ بعضهم ما لا يَحْفظه الآخر، فهو جميعه مَنْقول سَمَاعاً مِنْه ﷺ بالنَّقْل المُتواتر، وهو ﷺ يقول إنَّه مُبَلِّغ لـــه عـــنْ الله، وهو كلام الله لا كلامه "[8] .

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري – ت: مصطفى بن أحمد العلوي/محمد عبد الكبير البكري – وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإســـلامية – المغرب – ١٣٨٧ هـــ – ٢٧٨/٤ .

(٢) **التَّعاشير:** هو كتابة علامة عشر عند مُنْتهى عَشْر آيات، مُفْردها: تعشير . **انظر:** البحر الرائق شـــرح كنز الدقائق – زين الدين ابن نجيم الحنفي – ط ٢ – دار المعرفة – بيروت – ٢٣١/٨) .

(٣) **النَّقْط:** هو الإعجام . **انظر:** مناهل العرفان في علوم القرآن – محمـــد عبـــد العظـــيم الزرقـــاني – ٢٨١/١ .

(٤) روضة الناظر وجنة المناظر – عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد – ت: د. عبد العزيـــز عبد الرحمن السعيد – ط ٢ – جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض – ١٣٩٩ هـــ – ٦٣،٦٢/١ .

(٥) **انظر:** البرهان في علوم القرآن – محمـــد بـــن بهـــادر بـــن عبـــد الله الزركشـــي أبـــو عبـــد الله – ت: محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعرفة – بيروت – ١٣٩١ هـــ – ١٢٥/٢ .

(٦) مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبد العظيم الزرقاني – ١٨٨/١ .

(٧) **انظر:** صحيح مسلم بشرح النووي ١٣١/٥ .

(٨) الجواب الصحيح – ابن تيمية – ٢١/٣ .

ومما سبق فإنَّه تَجْدر الإشارة إلى أنَّ الإعجاز والكتابة في المصاحف والنَّقْل بـالتَّواتر والتَّعَبُّد بالتِّلاوة، هي مِنَ الخصائص العُظْمى التي امتاز بها القرآن الكريم عنْ الكُتُب السماوية السابقة[1] .

(١) **انظر:** مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبد العظيم الزرقاني – ١٥/١ .

المطلب الثالث

مكانة السُّنَّة النَّبوِيَّة مِنْ حيث قواعد الإسناد الصحيحة، وحِفْظها مِنَ الضَّياع

تُعَدُّ السُّنَّة النَّبوِيَّة المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، ولا يمكن تجاوزها في الشريعة الإسلامية بأي حالٍ منَ الأحوال ولو قيد أُنْمُلة، فهي مُفَسِّرة للقرآن الكريم، ومُقَيِّدة لِمَا أطْلَقَه، ومُفَصِّلة لِمَا أجْمَلَه، فالتَّخلِّي عنها هو تخلِّي عن الدِّين، وهي وَحْيٌ مِنَ الله ﷻ لا يأتيه الباطل مِنْ بين يديه ولا مِنْ خَلْفه .

قال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (النجم ٤)، " فما قاله نبيُّنا محمد ﷺ هو الحق، وما أَخبر به فهو الصدق، وهو الإمام المُحَكَّمْ، الذي إذا تنازع الناس في شيء وَجَب رَدُّ نِزَاعهم إليه، فما وافق أقواله وأفعاله فهو الحق، وما خالفها فهو مَرْدود على قائله وفاعله، كائناً مَنْ كان "[(١)] .

وبما أنَّ السُّنَّة النَّبوِيَّة هي وَحْيٌ مِنَ الله ﷻ، فإنَّها مَشْمولة بالحِفْظ الإلهي المذكور في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر ٩)، " فما تَكَفَّل الله به فهو غير ضائع أبداً، والوحي ذِكْر، والذِّكْر محفوظ بالنص، فكلام نبينا محمد ﷺ محفوظ بِحِفْظ الله ﷻ "[(٢)] .

وهذا ما أكده ابن حزم ﵀ بقوله: " الوحي ذِكْر بإجماع الأُمَّة كلها، والذِّكْر محفوظ بالنص، فكلامه ﷺ محفوظ بحفظ الله ﷻ ضرورةً، مَنْقول كله إلينا لا بد مِنْ ذلك "[(٣)] .

وقد تحقَّقَ الحِفْظ الإلهي للسُّنَّة النَّبوِيَّة " بالعلماء المُسْتَنْبطين الرَّاسخين، والفُضَلاء المُحَقِّقين الشَّامخين، الذين نَزَّهوا كلام سَيِّد المُرْسلين، مُمَيِّزين له عنْ زَيْف المُخَلِّطين المُدَلِّسين، ورفعوا مَنَاره بِنَصْب العلائم، وأَسْندوا عَمَده بأقوى الدَّعائم، حتى صار مرفوعاً بالبِنَاء العالي المَشِيد، وبالأحكام المُوَثَّقة المُدْمجة المؤَكَّدة، مُسَلْسلةً بِسِلْسلة الحِفْظ والإسْناد، غير مُنْقطع ولا وَاهٍ إلى يوم التَّنَاد، ولا مَوْقوف على غيره مِنَ المَبَاني، ولا مُعْضَل ما فيه مِنَ المعاني "[(٤)] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٣٢٤/٣ .
(٢) توجيه النظر إلى أصول الأثر – طاهر الجزائري الدمشقي – ٥٣٩/١ بتصرف يسير .
(٣) الإحكام في أصول الأحكام – ابن حزم الأندلسي – ٢٠١/٢ .
(٤) عمدة القاري – بدر الدين العيني – ٢/١ بتصرف يسير .

وقد ضَرَبَ الصَّحابة ﷺ أَرْوع الأمثلة في العناية بحديث نبيهم محمد ﷺ وتقديسه عن غيره، وذلك كما حدث على سبيل المثال في قصة عمر بن الخطاب ﷺ مع أبو موسى الأشعري ﷺ[(١)] .

أَوَّلاً: التَّرْهيب مِنَ التَّهاون في رِوَاية أحاديث رسول الله محمد ﷺ .

جاء التَّحْذير في الشريعة الإسلامية مِنْ عدم مُراعاة قواعد الإسناد الصحيحة في رِواية الأحاديث النبوية، أو الرِّواية دون تَثَبُّت وتَمْحيص الصالح منَ الفاسد، وقد جاء التَّصريح بذلك في السُّنَّة النَّبويَّة تحديداً، وذلك على النحو التالي:

١ـ قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ حَدَّث عَنِّي بحديث يُرَى أنَّه كَذِب فهو أَحَد الكاذبين)**[(٢)] .

في الحديث الشريف دلالة صريحة على وجوب تَحَرِّي الدِّقَّة في رِواية الأحاديث النَّبويَّة، وفي ذلك قال الإمام مسلم ﷺ: " إنَّ خَبَر الفاسق ساقط غير مقبول، وإنَّ شهادة غير العَدْل مَرْدودة، والخبر وإنْ فارق معناه معنى الشهادة في بعض الوجوه، فقد يجتمعان في أعظم معانيهما، إذ كان خبر الفاسق غير مقبول عند أهْل العِلْم، كما أنَّ شهادته مردودة عند جميعهم "[(٣)]، وقال بدر الدِّين العيني ﷺ: " مَنْ روى حديثاً وعَلِم أو ظنَّ أنَّه مَوْضوع[(٤)]، فهو داخِل في هذا الوعيد إذا لمْ يُبَيِّن حال رُوَاته وضعفهم "[(٥)] .

" وكفي بهذا الحديث وعيداً شديداً في حقِّ مَنْ رَوَى الحديث فيظن أنَّه كَذِب فَضْلاً عنْ أنْ يتحقق ذلك ولا يُبَينه؛ لأنَّه ﷺ جعل المُحَدِّث بذلك مُشارِكاً لِكاذِبه في وَضْعه "[(٦)]، " فكيف بِمَنْ عمل به؟! ولا فرق في العمل بالحديث في الأحكام أو في الفضائل،

---

(١) **انظر:** ص ٨٨،٨٩ من هذا البحث .

(٢) مقدمة صحيح مسلم ٨/١ – باب وجوب الرواية عن الثقات .

(٣) المصدر السابق .

(٤) **الموضوع:** هو الكذب المُخْتلق المصنوع، أي: كذب الراوي في الحديث النبوي، بأنْ يروى عنه ما لم يقلْه مُتعمداً لذلك . (قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث – محمد جمال الدين القاسمي – ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – ١٥٠/١) .

(٥) عمدة القاري – ١٤٩/٢ .

(٦) النكت على مقدمة ابن الصلاح – بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر – ت: زين العابدين بن محمد بلا فريج – ط ١ – أضواء السلف – الرياض – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م – ٨٣٩/٢ بتصرف يسير .

إذ الكُل شَرْع "[1]، لذلك فقد " اتفقوا _ أي أهل العِلْم _ على أنَّه تَحْرم رِوايتــه _ أي الحــديث الموضوع _ مع العِلْم بِوَضْعه سواء كان فــي الأحكــام أو القصــص والترغيــب ونحوهــا، إلَّا مُبَيِّناً وَضْعه "[2] .

وأمَّا قوله ﷺ: (**فهو أَحَد الكاذبين**) فقد جاء " بصيغة الجَمْع باعتبــار كثــرة النَّقَلــة، وبالتَّثْنية باعتبار المُفْتري والنَّاقل عنه "[3]، و " سَمَّاه كاذباً؛ لأنَّه يُعين المُفْتري ويشاركه بســبب إشاعته، فهو كَمَنْ أعان ظالماً على ظُلْمه "[4] .

وخُلاصة القول: " أنَّ الواجب على كُلِّ أحد عَرَف التَّمْييز بين صحيح الرِّوايات وسقيمها، وثِقات النَّاقلين لها مِنَ المُتَّهمين، أنْ لا يروي إلَّا ما عرف صِحَّة مخارجه، والسِّتارة في ناقليه، وأنْ يَتَّقي مِنْها ما كان عنْ أهْل التُّهَم والمُعاندين مِنْ أهْل البِدَعْ "[5] .

" وأمَّا مَنْ طَلَب الحديث دون تَمْييز لِصَحيحه مِنْ سقيمه، ولا حِفْظٌ لِمُتُونه ولُغَته وعلومه، إلَّا لمُجرَّد الرِّواية، دون ضَبْط ولا حِفْظ ولا دِرَاية، مُقْتَصِراً على لِقَاء العَــسْ[6]وهــو فُــلان، فَكُلٌّ ذو وُسِواس وهَــذَيــان "[7] .

٢ـ قال رسول الله ﷺ: (**مَنْ كَذَبَ عليَّ مُتَعَمِّداً، فَلْيَتبوَّأْ[8]مَقْعده مِنَ النَّار**)[9] .

---

(١) السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصــلوات – محمــد عبــد الســلام خضــر الشــقيري – ت: محمد خليل هراس – دار الفكر – ١٤١/١ .

(٢) قواعد التحديث – محمد القاسمي – ١٥٠/١ .

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير – زين الدين المناوي – ٤١٣/٢ .

(٤) مرقاة المفاتيح – علي القاري – ٤٠٩/١ .

(٥) النكت على مقدمة ابن الصلاح – بدر الدين بن بهادر – ٨٣٩/٢ .

(٦) **العس:** تقَدُّم السِّن، وضعف البصر . **انظر:** (النهاية في غريب الحــديث والأثــر – أبــو الســعادات المبارك بن محمد الجزري – ت: طاهر أحمد الزاوى / محمود محمد الطناحي – المكتبة العلميــة – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م – ٢٣٨/٣) .

(٧) الباعث على إنكار البدع والحوادث – عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة – ت: عثمان أحمد عنبر – ط ١ – دار الهدى – القاهرة – ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م – ٧٦/١ .

(٨) **فَلْيَتبوَّأ:** فليتخذ أو فلينزل، وقيل هو دعاء بلفظ الأمر أي بوأه الله ذلك . **انظــر:** (فــيض القــدير – عبد الرؤوف المناوي – ٢١٤/٦، الآداب الشرعية والمنح المرعية – الإمام أبــي عبــد الله محمــد بن مفلح المقدسي – ت: شعيب الأرنؤوط / عمر القيام – ط ٢ – مؤسســة الرســالة – بيــروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م – ٥٣/١) .

(٩) صحيح البخاري ٤٣٤/١ – كتاب الجنائز – باب ما يكره من النياحة على الميــت – حــديث رقــم ١٢٢٩، صحيح مسلم ١٠/١ – باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ – حديث رقم ٣ .

جاء التهديد والوعيد في هذا الحديث المتواتر[1]عنه ﷺ، لِمَنْ يَتَعمَّد الكذب عليه ﷺ؛ وذلك لأنَّ الكذب عليه ﷺ هو كَذِب وافتراء على الشريعة الإسلامية، ومِنْ هنا يتبيَّن الفارق الكبير بين الكذب عليه ﷺ، وبين الكذب على أي شخصٍ آخر، فإنَّ الكذب عليه ﷺ جريمة أعظم، وفساد كبير .

وفي الحديث " إشارة إلى معنى القَصْد في الذَّنْب، وجزائه: كما أنَّه قَصَد بالكذب التَّعْمية، فليقصد في جزائه البَوَار، وهذا وعيد شديد، يفيد أنَّ ذلك مِنَ أَكْبر الكبائر، سِيَما في الدِّين، وعليه الإجماع "[2] .

وفيه أيْضاً: دلالة على وجوب الاحتياط التَّام في الرِّواية عنه ﷺ، وأنْ لا يُحَدِّث عنه ﷺ إلَّا بِمَا يَصِحْ بِنَقْل الإسناد؛ لأنَّ الكذب إذا دخل على أحاديث رسول الله محمد ﷺ، فإنَّ في ذلك فساد الدِّين والدنيا[3]، وهذا مُحال؛ فإنَّ الدِّين محفوظ بِحِفْظ الله ﷻ .

ثانياً: صُوَر وأشكال العِناية بالسُّنَّة النَّبوِيَّة لدى السَّلف الصالح .

استجابةً لِتعاليم الشريعة الإسلامية، ضَرَب السَّلف الصَّالح مِنْ أُمَّة محمد ﷺ أرْوع الأمثلة في عِنايتهم بالسُّنَّة النَّبوِيَّة، حتى باتتْ تتميَّز بأسانيد مَتِينة جعلتها تَحْتل مكانة عظيمة في ميزان قواعد الإسناد الصحيحة، لذلك فإنَّه سُرْعان ما تَنْكشف أي عِلَّة تَسَلَّلتْ مِنْ هنا أو هناك على حديث نبيِّنا محمد ﷺ .

وقد عبَّر السَّلف الصالح ﷺ عنْ هذه العِناية قولاً وفعلاً، وبَرزَتْ في أشكال مُتَعدِّدة ومُتَنوِّعة، منها على سبيل المثال:

١ ـ الحِيطَة الشديدة في قبول الرُّواة ومَرْوِيَّاتهم .

اعتقد السَّلف الصَّالح اعتقاداً جازماً أنَّ السُّنَّة النَّبوِيَّة جزء هام مِنَ الشريعة الإسلامية، وأي تهاون في حقها هو تهاون في الدِّين، لذلك فإنَّهم قد شعروا بِعِظَم الأمانة والمسؤلية، فاتخذوا مِنَ التَّثبُّت والتمحيص لهم منهجاً، في الرُّواة ومَرْوِيَّاتهم، لِيُميِّزوا الطَّيِّب مِنَ الخبيث، وقد عَبَّر عن ذلك محمد بن سيرين رحمه الله بقوله: " إنَّ هذا العِلْم دِين، فانظروا عمَّنْ تأخذون دِينكم "[4] .

---

(١) **انظر:** تدريب الراوي – السيوطي – ١٧٧/٢ .

(٢) فيض القدير – عبد الرؤوف المناوي – ٢١٤/٦ .

(٣) **انظر:** حجة الله البالغة – الإمام أحمد المعروف بشاه ولي الله ابن عبد الرحيم الدهلوي – ت: سيد سابق – دار الكتب الحديثة – مكتبة المثنى – القاهرة – بغداد – ٣٦١/١، مرقاة المفاتيح – علي القاري – ٤٠٨/١ .

(٤) صحيح مسلم ١٤/١ – باب بيان أن الإسناد من الدين .

وهذا يُشير إلى ضرورة الاهتمام بالأسانيد التي تَضمُّ سِلْسلة الرُّواة، وذلك مِنْ حيث التأكد مِنْ ضَبْطهم وعدالتهم، واتصال الأسانيد مِنْ أولها إلى مُنْتهاها، فهي سِلْسلة الرُّواة التي تنتهي إلى الرِّوايات .

فقد قال عبد الله بن المبارك ﷺ: " الإسناد مِنَ الدِّين، ولولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما شاء "[١]، وقال عبد الرحمن بن مهدي[٢] ﷺ: " خِصْلتان لا يستقيم فيهما حُسْن الظَّنْ: الحُكْم والحديث "[٣]، بمعنى أنَّه " لا يُسْتعمل حُسْن الظَّن في قبول الرِّواية عَمَّنْ ليس بِمَرْضي "[٤] .

وهذا يَكْشف لنا عنْ مدى شفافية علماء الحديث في الحكم على الرُّواة ومَرْوِيَّاتهم، فإنَّ ذلك يخضع لقواعد مُحْكمة في عِلْم الإسناد والرِّواية وليس لشيءٍ آخر، فالرُّواة الثِّقات الذين توفرت فيهم الشُّروط التي تؤهلهم للرِّواية تُقْبل رِواياتهم، وما سِوى ذلك فلا قيمة له[٥] .

قال محمد بن سيرين ﷺ: " لمْ يكونوا يسألون عنْ الإسناد، فلمَّا وَقَعت الفِتْنة قالوا: سَمُّوا لنا رجالكم، فَيُنْظر إلى أهْل السُّنة فَيُؤْخذ حديثهم، ويُنْظر إلى أهْل البِدَع فلا يُؤخذ حديثهم "[٦]، هذا مُجْمل مِنْهاج السَّلف الصالح في تَمْحيص الرُّواة ومَرْوِياتهم، احتياطاً لِسُنَّة نبيهم محمد ﷺ على أتَمّ وجْه، والأُمَّة مِنْ بعدهم على مِنْهاجهم سائرون إلى يوم الدِّين .

٢ـ طلب العُلُوْ في الإسناد .

كان الرُّواة مِنَ السَّلف الصالح يتنافسون في هذا المجال، ويحرصون على تحقيق العُلُوْ في الإسناد أشد الحرص، و" هو قِلَّة الوسائط في السَّنَد، أو قِدَم سَماع الرَّاوي أو وفاته "[٧] .

---

(١) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري، ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث، قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه، مات سنة ثمان وتسعين، وهو بن ثلاث وسبعين سنة . **انظر:** (تقريب التهذيب – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – ت: محمد عوامة – ط ١ – دار الرشيد – سوريا – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م – ١/٣٥١) .

(٢) التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح – سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد الباجي – ت: أبو لبابة حسين – ط ١ – دار اللواء للنشر والتوزيع – الرياض – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م – ١/٢٩١ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) **انظر:** المصدر السابق .

(٦) فتح المغيث – شمس الدين السخاوي – ٣/٤ .

(٧) المصدر السابق .

قال الإمام أحمد ﷺ: " طَلَب الإسناد العالي سُنَّة عن مَنْ سَلَف "[١]، والدَّليل على ذلك: جاء رَجُل مِنْ أهْل البادية، فقال: يا محمد أتانا رَسُولك فَزَعم لنا أنَّك تَزْعم أنَّ الله أرسلك، قال: (**صَدَقَ** ... الحديث)[٢] .

وفي الحديث دليل على أنَّ: " كلمة (زَعَم) ليست مَخْصوصة بالكَذِب والقَوْل المَشْكوك فيه، بل يكون أَيْضاً في القَوْل المُحَقَّقْ والصِّدْق الذي لاشك فيه، وقد جاء مِنْ هذا كثير في الأحاديث "[٣] .

" ولو كان طلب العلو في الإسناد غير مُسْتحب لأَنْكر النبي ﷺ على الأعرابي سؤاله، ولأمره بالاقتصار على ما أخبره الرسول عنه "[٤] .

" وقد رَحَل في طلب الإسناد غير واحد مِنَ الصحابة "[٥]، كما في قصة سَفَر أبي أيوب الأنصاري ﷺ إلى عُقْبة بن عامر ﷺ، يسأله عنْ حديث سمعه مِنْ رسول الله ﷺ ولمْ يَبْق أَحَد سَمِعَه مِنْ رسول الله ﷺ إلَّا هو وعقبة بن عامر ﷺ[٦]، " فهذا أبو أيوب الأنصاري ﷺ على تَقَدُّم صُحْبته وكثرة سَمَاعه مِنْ رسول الله ﷺ، رَحَل إلى صحابي مِنْ أَقْرانه في حديث واحد، لو اقتصر على سَمَاعه مِنْ بعض أصحابه لأَمْكنه "[٧] .

وقيل ليحيى بن معين ﷺ في مرضه الذي مات فيه ما تشتهي؟ قال: " بَيْتٌ خالي، وإسنادٌ عالي "[٨] .

وذلك بسبب أنَّ " العُلُو يُبْعد الإسناد مِنَ الخَلَلْ؛ لأنَّ كُلْ رَجُل مِنْ رِجاله يحتمل أنْ يَقَع الخلل مِنْ جهته سَهْواً أو عَمداً، ففي قِلَّتهم قِلَّة جهات الخلل، وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل، وهذا جَلِيٌّ واضح "[٩]، وهذه هي العِلَّة في الاهتمام البالغ بالإسناد العالي .

---

(١) الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح – إبراهيم بن موسى بن أيوب البرهان الأبناسي – ت: صلاح فتحي هلل – ط ١ – مكتبة الرشد – الرياض – السعودية – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م – ٤١٩/٢ .

(٢) صحيح مسلم ٤١/١– كتاب الإيمان – باب السؤال عن أركان الإسلام – حديث رقم ١٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي – النووي – ١٧٠/١ بتصرف يسير .

(٤) تدريب الراوي – السيوطي – ١٦٠/٢ بتصرف يسير .

(٥) المصدر السابق .

(٦) انظر القصة كاملة في (معرفة علوم الحديث – أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري – ت: السيد معظم حسين – ط ٢ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م – ٨،٧/١) .

(٧) المصدر السابق ٨/١ .

(٨) الشذا الفياح – إبراهيم بن موسى بن أيوب البرهان الأبناسي – ٤١٩/٢ .

(٩) المصدر السابق .

المطلب الرابع

التَّوراة والإنجيل بين الصِّحَّة والتَّحْريف

بعد الاستعراض الواسع لِتَميُّز أُمَّة محمد ﷺ في ثبات شريعتها ومصادرها التي دخلت في الحفظ الإلهي مِنَ العبث والضَّياع، يأتي دَوْر استعراض مصادر ورِجال اليهود والنَّصارى، مِنْ حيث كثرة التَّحْريف والتَّبْديل والغُمُوض والضَّبابيَّة، التي أَدْخلها البَشَر في شريعة أهْل الكِتاب، وهذا مَذْكور بكثرة في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة ٧٩)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (البقرة ١٥٩)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة١٧٤) .

إنَّ انعدام منهج التوثيق والتَّمْحيص والضَّبْط لدى أهْل الكِتاب، سَهَّل تحريف وتبديل شريعتهم وكُتُبهم المُقدَّسة مِنْ قِبَل الفاسدين والعابثين .

ومما سَهَّل ذلك أيضاً: " أنَّ كُتُبهم مكتوبة باثنين وسبعين لِساناً، وهذا أقرب إلى التَّغْيير مِنَ الكِتاب الواحد باللُّغة الواحدة، فإنَّ هذا _ أي الكِتاب الواحد _ مِمَّا يَحْفظه الخَلْق الكثير فلا يَقْدر أحد أنْ يُغيره، وأمَّا الكُتُب المَكْتوبة باثنين وسبعين لِساناً، فإذا قُدِّر أنَّ بعض النُّسخ الموجودة ببعض الألسنة غُيِّر بعض ما فيها، لمْ يعلم ذلك سائر أهْل الألسن الباقية، بل ولمْ يعلم بذلك سائر أهْل النُّسخ الأخرى، فالتَّغْيير فيها ممكن، كما يُمْكن في نظائر ذلك "[1] .

" ولكن لمَّا كان الأنبياء عليهم السلام فيهم موجودين، كانوا هُمْ المَرْجع للناس فيما يعتمدون عليه إذا غَير بعض الناس شيئاً مِنَ الكُتب، فلمَّا انقطعت النُّبُوَّة فيهم، أسرع فيهم التَّغيير "[2] .

(١) الجواب الصحيح – ابن تيمية – ١٤/٣ بتصرف يسير .

(٢) المصدر السابق ١٥/٣ .

أَوَّلاً: العَهْد القديم والجديد، غُمُوضٌ فيه، وتَغَيُّرٌ في مَلامحه .

والحديث هنا عن اليهودية والنَّصْرانية، فالثانية مُجَدِّدة ومُتَمِّمة للأولى[1]، وكِلاهما مَشْكوك في صِحَّة نِسْبة مصادرهما لِأنبياء بني إسرائيل، فضْلاً عنْ الغُموض والإبهام الذي يُعيق تحديد شخصية تلامذة أنبياء بني إسرائيل وحواريهم وأصحاب الكُتُب المُقدَّسة لديهم، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

ـ أولاً: اندثار المصادر الشرعية لِبَنِي إسرائيل .

لا نستطيع القَوْل أبداً بأنَّ الله ﷻ قد أَنْزَلَ هذه الكُتُب المُقَدَّسة لدى أهْل الكِتاب الموجودة معهم اليوم، ولا أنْ نُسَلِّمْ بصِحَّة نِسْبة الأقوال والتَّعاليم والمواعظ لِأنْبياء بني إسرائيل؛ لأنَّ " النَّقل بالطريق المُشْتملة على كذاب أو مجهول العين كثير في نَقْل اليهود والنصارى، فلا يمكن لليهود أنْ يبلغوا إلى صاحب نبي أصلاً ولا إلى تابع له، ولا يمكن للنصارى أنْ يَصِلوا إلى أعلى مِنْ شمعون وبولص "[2]، فالنَّقْل بالأسانيد السقيمة لدى اليهود مثلاً لا يصلون فيها إلى موسى عليه السلام، بل يكون انقطاع بَيْنه عليه السلام وبين أعلى راوي في السَّنَد أكثر مِنْ ثلاثين عصراً[3]، وهذا شئ قليل مِنْ أسباب اندثار المصادر الشرعية لبني إسرائيل .

فالأَدِلَّة مُتَضافرة على أنَّ التوراة الصحيحة لمْ يَعُد لها وُجود، وأنَّه أصابها مِنَ التَّغيير والتبديل ما جعلها في خَبَر كان، ومِنْ تلك الأَدِلَّة[4]:

١ـ أنَّ نُسَخ التَّوْراة التي بأيديهم تحكي عن الله وعن أنبيائه وملائكته أُمُوراً يُنْكرها العقل، ويَمُجُّها الطَّبْع، ويتأذى بها السمع، مِمَّا يَسْتحيل معه أنْ يكون هذا الكِتاب صادراً عن نَفْس بشريَّة مؤمنة طاهرة، فَضْلاً عن أنْ يُنْسب إلى وليْ، فَضْلاً عن أنْ يُنْسب إلى نبي، فضلاً عن أنْ يُنسب إلى الله رب العالمين .

٢ـ ما ثبت بالتَّواتر عند المؤرخين بل عند اليهود أَنْفسهم، مِنْ أنَّ بني إسرائيل وهُمْ حَمَلَة التوراة وحُفَّاظها قد ارتدُّوا عنْ الدِّين مرات كثيرة، وعَبَدوا الأصنام، وقتلوا أنبياءهم شَرَّ تَقْتيل، ولا رَيْب أنَّ هذه مَطاعن شنيعة جارحة لا تُبْقى لأي واحد مِنْهم أي نصيب مِنْ عدالة أو ثِقَة، ولا تَحَمُّل لهذه النُّسخ، التي زعموا أنَّها التوراة، أَقَلَّ شيء مِنَ القيمة أو الصحة، ما داموا هُمْ رُواتها وحُفَّاظها، وما دامت هي لمْ تُعْرف إلَّا عنْ طريقهم وبِرِوايتهم .

---

(١) **انظر:** الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامي – ط ٢ – مطبعة سفير – الرياض – ص ٤٩٩ .

(٢) تدريب الراوي – السيوطي – ١٥٩/٢،١٦٠ .

(٣) **انظر:** المصدر السابق .

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبد العظيم الزرقاني – ١٤٦/٢ .

٣ـ اختلافات وتناقضات كبيرة جداً وقعت بين أسفار التوراة[١] .

٤ـ قال الدكتور سكندر كيدس الذي هو مِنْ علماء النصارى المُعْتمدين: ثَبَت بالأَدِلَّة ثلاثة أمور جَزْماً، هي[٢]:

أ- أنَّ التوراة الحالية ليست مِنْ تصنيف موسى عليه السلام .

ب- أنَّ التوراة الحالية مكتوبة في فلسطين، وليست مكتوبة في عهد موسى عليه السلام عندما كان بنو إسرائيل في التِّيه في صحراء سيناء .

ج- أنَّ التوراة الحالية إمَّا أنْ تكون أُلِّفت في زمان سليمان عليه السلام، أي في القرن العاشر قبْل الميلاد، أو بعده إلى القرن الثامن قبْل الميلاد، فالحاصل أنَّ بين تأليف هذه التوراة الحالية وبين وفاة موسى عليه السلام أكثر مِنْ خمسمائة عام .

هذه أمثلة بسيطة منَ الأَدِلَّة العديدة على تحريف التوراة الحالية .

أمَّا كِتاب يوشع بن نون " الذي هو في المَنْزلة الثانية بعد التوراة، فإنَّ علماء أهْل الكِتاب لمْ يَظْهر لهم إلى الآن بطريق اليقين اسم مُصنَفه، ولا زمان تصنيفه "[٣] .

أمَّا الأناجيل وكُتُب العهد الجديد فقد لحقها التحريف أيضاً ولمْ تسلم منه، والأَدِلَّة على ذلك هي نفس الأدلَّة الدَّالَّة على تحريف كُتُب العهد القديم في المُجْمل، خاصَّةً إذا تَقَرَّرَ لدينا أنَّ المؤسس الفعلي للمسيحية اليوم هو بولس الطَّرْسوسي وليس عيسى عليه السلام كما توهمنا بذلك الكنيسة الرسمية وتاريخها وأناجيلها التي حَرَّفتها وزيَّفتها مِراراً وتكراراً لإخفاء الحقيقة، وعيسى عليه السلام وحوارييه براء مِنْ كُلْ هذه المسيحية التي اخترعها بولس الطَّرْسوسي، ولَفَّق عقائدها مِنْ وثنيَّات العالم القديم وخُرافاته وأساطيره، فهو لمْ يَرَ عيسى عليه السلام ولمْ يعرفه، ولمْ يسمع مِنْه أو مِنْ حوارِيِّيه[٤] .

" وإنَّ تلامذة الشيطان أَدْخلوا فيها _ أي الأناجيل _ نجاسة، بإخراج بعض الأشياء، وزيادة بعضها مِنْ جانبهم، وإنَّ الكُتُب المُقَدسة ما بقيت مَحْفوظة، وزالت عنها صفة الإلهام، ومِمَّا يدل على أنَّ التحريف في الكُتُب المُقَدسة صار عادة مُعْتادة لأهْل ذلك الزمان أنَّ المُصَنفين

---

(١) مختصر إظهار الحق – رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي – ت: محمد أحمد عبد القادر ملكاوي – ط ١ – وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ١٤١٥هـ – ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٥ .

(٤) **انظر:** بولس وتحريف المسيحية – هيم ماكبي – ترجمة: سميرة عزمي الزين – منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية – ص ٧ .

صاروا يكتبون في آخر كُتُبهم اللَّعن والأَيْمان الغليظة لِئلا يُحَرِّف أحد كلامهم "[١] .

بِغَضِّ النَّظر عنْ تحريف الأناجيل التي في أيدي النصارى، فإنَّ أصحابها وكاتبيها لمْ يذكروا فيها بأنَّها كلام الله ﷻ، ولا أنَّ المسيح بَلَّغها عن الله ﷻ، ولمْ يذكروا ما يوحي بذلك[٢]، وإذا كانت هذه حال الأناجيل، فإنَّ بقية رسائل العهد الجديد ليست بأحسن حالاً مِنْها[٣] .

وقد بَدَّل النصارى العديد منَ الأحكام والتشريعات في دِينهم، مثل: " استحلال لحم الخنزير وغيره مِمَّا حَرَّمه الله ولمْ يُبِحْه المسيح، وإسقاط الخِتان، والصلاة إلى المَشْرق، وزيادة الصَّوْم، ونَقْله مِنْ زمان إلى زمان، واتخاذ الصُّوَر في الكنائس، وتعظيم الصليب، واتباع الرهبانية، فإنَّ هذه كُلها شرائع لمْ يشرعها نبي مِنَ الأنبياء عليهم السلام، لا المسيح ولا غيره، خالفوا بها شَرْع الله، الذي بَعَث به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مِنْ غير أنْ يَشْرعها على لِسان نبي "[٤] .

ثانياً: انقطاع السَّنَد عند النَّصارى .

بعد استعراضنا لأحوال مصادر أهْل الكِتاب في العهدين القديم والجديد، ينبغي أنْ نُسَلِّط الضوء على حاملي هذه المصادر، والذين تَبَنُّوها ونَشَروها بين الناس، ونتساءل: هل كانت شخصياتهم حقيقية أمْ وهْمِيَّة؟ وإذا كانت حقيقية أهي معروفة ومُحدَّدة أمْ مَجْهولة ومُبْهمة؟ هذا ما سيتَّضح لنا مِنْ خلال معرفة ما ذكره أهْل العِلْم والمُخْتصين بذلك .

ففي هذا المجال يرى العالِم فاستس _ رئيس فرقة ماني كيز _ أنَّ العهد الجديد ما صَنَّفَه المسيح عليه السلام ولا الحواريون، بل صنفه رَجُل مجهول الاسم[٥] .

ويرى عدد مِنَ المُحَقِّقين النصارى: أنَّ إنجيل يوحنَّا الذي صُنِّف في أوائل القرن الثاني الميلادي ورسائله الثلاث ليست مِنْ تصنيفه، ولا تُعْرف هوية المُصَنِّف الحقيقي[٦] .

وكذلك إنجيل متَّى، فالموجود منه الآن ما هو إلَّا ترجمة لمْ يُعْرف اسم مُتَرْجمها، ولا بَقِيَّة أحواله على وَجْه التَّحْقيق[٧] .

---

(١) مختصر إظهار الحق – رحمة الله الهندي – ص ٣٨،٣٧ .

(٢) **انظر:** الجواب الصحيح – ابن تيمية – ٢٢/٣ .

(٣) **انظر:** مختصر إظهار الحق – رحمة الله الهندي – ص ٣٤ .

(٤) الجواب الصحيح – ابن تيمية – ١٨/٣ بتصرف يسير .

(٥) **انظر:** مختصر إظهار الحق – رحمة الله الهندي – ص ٣٣ .

(٦) **انظر:** المرجع السابق .

(٧) **انظر:** المرجع السابق ص ٢٩ .

وكذلك إنجيل لوقا، فقد وَقَع الخِلاف في مِهْنَــة صــاحبه، أكــان طَبيبــاً أمْ مُصَــوِّراً[1]؟ ويُحْتمل أنْ تكون هاتين المِهْنتــين لِشَخصــين اثنــين، أحــدهما طَبيــب، والآخــر مُصَــوِّر، وليس هناك ما يُشير أو يؤكد نِسْبَة هذا الإنجيل لِأحدهما .

أمَّا بولس الطرسوسي _ مؤسس النصرانية الوثنيَّة _ فهو الذي زَوَّر سيرة حياته ولَفَّقَهــا هذه المَرَّة، بتواطؤ منَ الكنيسة نَفْسها، حتى إنَّ الرسائل التي صُنِّفت لتحكي عن سيرته الشخصية هي متضاربة فيما بينها، وبالتالي فإنَّه بات مِنَ الصعب تحديد شخصــية بــولس الطرسوســي بوضوح، وقد كان بولس مَعْنياً بإعطاء معلومات كاذبة عن سيرته؛ حتى يتسنى له نشر أفكــاره الوثنيــة باســم الــدِّين النصــراني[2]، وحتــى تنتشــر أفكــاره المَسْــمومة بســرعة، جَرَى تَعْتيم كبير مِنْ قِبَــل الكنيســة البولســية علــى شَخْصــيَّات حــوارييِّ المســيح ﷺ، وجعلتهم شخصيات غامضة باهتة[3] .

ومِنْ جانب آخر فإنَّ " النَّقْل بالطريق _ أي بالسَّنَد _ المُشْتملة علــى كَــذَّاب أو مَجْهــول العَيْن، كثير عند اليهود والنصارى "[4] .

---

(١) **انظر:** الموسوعة الميسرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامي – ص ٥٠١ .

(٢) **انظر:** : بولس وتحريف المسيحية – هيم ماكبي – ص ١٦،١٧ .

(٣) **انظر:** المرجع السابق ص ١٥ .

(٤) تدريب الراوي – السيوطي – ٢/١٥٩ بتصرف يسير .

الفصل الثالث

صِفات تَمَيَّزت بها أُمَّة محمد ﷺ في الدُّنيا

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أُمَّة محمد ﷺ أُمَّة مَعْصومة .

المبحث الثاني: أُمَّة محمد ﷺ أُمَّة مَرْحومة .

المبحث الثالث: أُمَّة محمد ﷺ أُمَّة ناصِرَة مَنْصورة .

المبحث الأول

أُمَّة محمد ﷺ أُمَّة مَعْصومة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عِصْمة أُمَّة محمد ﷺ مِنَ الإجماع على ضلالة .

المطلب الثاني: عِصْمة أُمَّة محمد ﷺ مِنْ سِنَة عامَّة تأخذها، أو إبادة على يد أعدائها .

المطلب الأول

عِصْمة أُمَّة محمد ﷺ مِنَ الإجماع[1]على ضلالة

على اعتبار أنَّ إجماع أُمَّة محمد ﷺ هو المصدر الثالث مِنْ مصادر التشريع الإسلامي[2]، فإنَّ الإجماع مِنْ أُمَّة محمد ﷺ لا يَكون على ضلالة أبداً، وإنما يَكون على هُدى وعلى ما هو حسن[3]، وهذا مِنْ خصائص أُمَّة محمد ﷺ، وممَّا انفردت به دون باقي الأُمَم[4] .

وعِلَّة هذه العِصْمة أنَّ نبيَّنا " محمد ﷺ خاتم الأنبياء عليهم السلام لا نبي بعده، فَعَصم الله أُمَّته مِنْ أنْ تجتمع على ضلالة، وجعل فيها مَنْ تقوم به الحُجَّة إلى يوم القيامة "[5]

" والمقصود هنا أنَّ ما اجتمعت عليه الأُمَّة إجماعاً ظاهراً تَعْرِفه العامَّة والخاصَّة، فهو مَنْقول عن نَبِيِّهم محمد ﷺ، ونحن لا نَشْهد بالعِصْمة إلَّا لِمَجموع الأُمَّة "[6]، والأُمَّة التي لا تُجْمِع على ضلالة، يَبْقى الخير فيها إلى يوم القيامة .

ونحن بِصَدد التَّعرُّف على هذا الموضوع في سِياق أدِلَّته الشرعية، وذلك على النحو التالي:

١ـ قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ (النساء ١١٥) .

وُصِفَت هذه الآية الكريمة بأنَّها " مِنْ أقوى الأدِلَّة القرآنية على حُجِّيَّة الإجماع،

---

(١) **الإجماع:** هو اتفاق مُجْتهدي أُمَّة محمد ﷺ، بعد وفاته، في عصر مِنَ العصور، على أمرٍ مِنَ الأمور . **انظر:** (التوقيف على مهمات التعاريف – محمد عبد الرؤوف المناوي – ت: د. محمد رضوان – ط ١ – دار الفكر المعاصر – دار الفكر – بيروت / دمشق – ١٤١٠هـ – ٣٧/١)، (مَنْهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السُّنَّة والجماعة – عثمان بن علي حسن – ط ٣ – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م – مكتبة الرُّشد – الرياض – ١٣٤/١) .

(٢) **انظر:** فتاوى اللجنة الدائمة – أحمد بن عبد الرزاق الدويش – ١١/ ٤٨ .

(٣) **انظر:** محبة الرسول بين الاتباع والإبتداع – عبد الرءوف محمد عثمان – ط ١ – رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة – الرياض – ١٤١٤هـ – ٢٩١/١ .

(٤) **انظر:** فيض القدير – عبد الرؤوف المناوي – ٢٠٠/٢ .

(٥) فتاوى ابن تيمية ٣٦٨/٣ .

(٦) الجواب الصحيح – ابن تيمية – ٣٦٢/١ .

فقد جَمَع الله ﷻ بين مُشاقَّة رسوله محمد ﷺ وبين مُخالفة سبيل المؤمنين في الوعيد، فلو كـــان اتِّباع غير سبيل المؤمنين مُباحاً لَمَا جَمَع بينه وبين المحظور، ومُتابعة غير سبيلهم تقع بِمُخالفة أقوالهم وأفعالهم "(1)، وإذا ثَبَتتْ حُجِّيَّة إجماع أُمَّة محمد ﷺ، فإنَّه تَثْبتُ معهـا أيْضـاً عِصْـمة انْعِقادها على ضلالة، " فقد اسْتُدِلَّ بهذه الآية الكريمة علـى أنَّ إجمـاع هـذه الأُمَّـة حُجَّـة، وأنَّها مَعْصومة مِنَ الخطأ "(2)، وهذا ما لمْ يتحقق في الأُممْ الأخرى .

٢ـ قـال تعـالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران ١١٠) .

إنَّ هذه الآية الكريمة هي مِنْ جُمْلة مـا اسـتَدلَّ بـه العُلمـاء علـى حُجِّيَّـة إجمـاع أُمَّة محمد ﷺ وعِصْمته مِنَ الانعقاد على ضلالة، " فثبت بذلك أنَّ ما أنكرته الأُمَّة فهـو مُنْكـر، وما أَمَرت به فهو مَعْروف، وهو حُكْم الله ﷻ، وفي ذلك ما يمنع وُقوع إجماعهم على ضـلال، ويُوْجِب أنَّ ما يَحْصل عليه إجماعهم هو حُكْم الله ﷻ "(3) .

وبهـذه الآيـة اسـتدلَّ شـيخ الإسـلام بـن تيميـة رحمه الله علـى ذلـك، بقولـه: " وأمَّـا إجمـاع الأُمَّـة فهـو حـق، لا تجتمـع الأُمَّـة _ ولله الحمـد _ علـى ضـلالة كما وصفها الله بذلك "(4) .

وفي الآية تأكيد على خَيْريَّة أُمَّـة محمـد ﷺ علـى بـاقي الأُمـمْ، " وهـذه الخَيْريـة تُوْجِب الحقيقة لِمَا أجمعوا عليـه، وإلَّـا كـان ضـلالاً، فمـاذا بعـد الحـق إلَّـا الضَّـلال، وأيضاً لو أَجْمعوا على الخطأ لكانوا آمرين بالمُنْكر، وناهين عـنْ المعـروف، وهـو خِـلاف المَنْصـوص، والتَّخْصـيص بالصـحابة رضي الله عنهم لا يُنَاسـب وُرُوده فـي مقابلـة أُمَـمْ سائر الأنبياء عليهم السلام "(5) .

وهذا قَوْلٌ وجيه؛ فإنَّ سِياق الآية الكريمـة يُفيـد إثبـات الخَيْريـة لِأُمَّـة محمـد ﷺ بِمَجْموعها الكُلِّي منْ أوَّلِها إلـى آخـرهـا .

---

(1) مَنْهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد – عثمان بن علي حسن – ١٣٧/١ بتصرف يسير .

(2) تيسير الكريم الرحمن – السعدي – ٢٠٣/١ .

(3) أحكام القرآن – أحمد بن علي الرازي الجصاص أبـو بكـر – ت: محمـد الصـادق قمحـاوي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٠٥هـ – ٣٢١/٢ .

(4) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ١٧٦/١٩ .

(5) إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول – محمد بن علي بن محمد الشوكاني – محمد سـعيد البـدري أبو مصعب – ط ١ – دار الفكر – بيروت – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م – ١٤١/١ .

٣ـقال رسول الله ﷺ: (**إنَّ الله قد أَجَار أُمَّتِي مِنْ أنْ تجتمع على ضلالة**)[١] .

قال أهْل العِلْم في تعليقهم على هذا الدليل الشرعي: " هذا الحديث متواتر في معناه؛ فإنَّه ورَد مِنْ طُرُق كثيرة عنْ كثير مِنَ الصحابة ﷺ بألفاظ مختلفة، تَرْجع إلى معنى هذا اللفظ "[٢] .

ولمْ يزل الصحابة والتَّابعون ﷺ ومَنْ بعدهم يَسْتدلُّون بهذا الحديث في إثبات حُجِّيَّة إجماع أُمَّة محمد ﷺ وعِصْمته مِنَ الانعقاد على ضلالة[٣]، والضلالة هي: " الخطأ الذي يُؤاخذ عليه صاحبه "[٤] .

وفي ضوء الحديث الشريف أَوْصى عبد الله بن مسعود ﷺ بقوله: " عَلَيْك بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ اللَّه لَمْ يَكُنْ لِيَجْمَعَ أُمَّة مُحَمَّد عَلَى ضَلَالَة "[٥]، فإنَّها " مَعْصومة مِنَ الاجتماع على باطل، ولا يمكن أَنْ تُجْمِع على تَرْك الحق "[٦]، " ولا يَظْهر أَهْل باطلها على أَهْل حَقِّها، فلا يكون الحق مَهْجوراً غير مَعْمول به في جميع الأَمْصار والأَعْصار "[٧]، " ولا يَزَال فيها ـ بحمد الله ـ ـ طائفة ظاهِرة على الحق، حتى تقوم الساعة، مِنْ أَهْل العِلْم والقرآن، والهدى والبيان، تَنْفي عنْ دِين الله تحريف الغالين، وانتحال المُبْطلين، وتأويل الجاهلين "[٨] .

إنَّ ما يحمله هذا الحديث مِنْ معاني وأحكام شرعية هي مَفْهومة مِنْ ظاهره، فإنَّه مِنْ أَوْضح وأَصْرح الأَدِلَّة الشرعية التي تُثْبت عِصْمة أُمَّة محمد ﷺ مِنَ الإجماع على ضلالة .

---

(١) الأحاديث المختارة ١٢٩/٧ – أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي – ت: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش – ط ١ – مكتبة لنهضة الحديثة – امكة المكرمة – ١٤١٠هـ – الجزء السادس والعشرون – رِواية قتادة عن أنس – حديث رقم ٢٥٥٩، وقال الألباني ﷺ في السلسلة الصحيحة ٣١٩/٣: حسن بمجموع طرقه .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة – أحمد بن عبد الرزاق الدويش – ٣٨٦/٨ .

(٣) **انظر:** مَنْهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد – عثمان بن علي حسن – ١٣٩/١ .

(٤) توجيه النظر إلى أصول الأثر – طاهر الجزائري الدمشقي – ٣١١/١ .

(٥) فتح الباري – ابن حجر – ٨٩/٢٠ .

(٦) الوجيز في عقيدة السلف الصالح – عبد الله بن عبد الحميد الأثري – مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – ط ١ – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ١٤٢٢هـ – ١٢٦/١ .

(٧) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم – زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي – ت: شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس – ط ٧ – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م – ٦٩/١ .

(٨) الإبطال – بكر بن عبد الله أبو زيد – ٤٣/١ .

٤ـ عن أنس بن مالك ﷺ قال: مَرُّوا بِجَنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: (**وَجَبَت**)، ثُمَّ مَرَّوا بأخرى فأثنوا عليها شَرَّاً، فقال: (**وَجَبَت**)، فقال عمر بن الخطاب ﷺ: ما وَجَبَت؟ قال: (**هذا أَثْنَيْتم عليه خيراً، فَوَجبت له الجَنَّة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النَّار، أنتم شُهداء الله في الأرض**)[1] .

هذا الحديث هو مِصْداق لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (البقرة ١٤٣)، " فإذا كان الرَّب قد جعلهم شُهداء لمْ يشهدوا بباطل، فإذا شهدوا أنَّ الله أَمَر بشيء، فقد أَمَر به، وإذا شهدوا أنَّ الله نهى عنْ شيء فقد نهى عنه، ولو كانوا يشهدون بباطل أو خطأ لمْ يكونوا شهداء الله في الأرض، بلْ زَكَّاهُم الله في شهادتهم، كما زَكَّى الأنبياء عليهم السلام فيما يُبَلِّغون عنه، أَنَّهم لا يقولون عليه إلَّا الحق، وكذلك الأُمَّة الإسلامية لا تشهد على الله إلَّا بحق "[2] .

والمُسْتفاد منَ الحديث الشريف، إضافةً لِمَا سَبَق، ما يلي[3]:

أ- فضيلة أُمَّة محمد ﷺ .

ب-الحُكْم على الناس يكون بالظاهر .

ت-مَنْ أَثْنى الناس عليه خيراً رَأَوْه مِنْه، كان ذلك علامة كَوْنه مِنْ أَهْل الجَنَّة، وبالعكس .

ث-قوله ﷺ: (**أنتم شُهداء الله في الأرض**) فيه إضافة تَشْريف لِأُمَّة محمد ﷺ؛ لأنَّها بِمَنْزِلة عالية عند الله ﷻ، فهو كالتَّزْكية لها بعد أداء شهادتها، فينبغي أنْ يكون لها أَثَر .

---

(١) صحيح البخاري ٤٦٠/١ – كتاب الجنائز – باب ثناء الناس على الميت – حديث رقم ١٣٠١، صحيح مسلم ٦٥٥/٢ – كتاب الجنائز – باب فيمن يثني عليه خير أو شر من الموتي – حديث رقم ٩٤٩ .

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ١٧٧/١٩،١٧٨ .

(٣) **انظر:** فتح الباري – ابن حجر – ٢٣١/٣ .

المطلب الثاني

عِصْمة أُمَّة محمد ﷺ مِنْ سِنَة[1] عامَّة تأخذها أو إبادة على يد أعدائها

إنَّ مِنْ لُطْف الله وكَرَمه بأُمَّة محمد ﷺ، تشريفاً وتَكْريماً لـه ﷺ، وفيه أيضاً التَّعرف على مدى التَّسامح في الدِّين الإسلامي حتى مع المُعاندين والمُخالفين، فإنَّه دِين دعوة وهِداية وشَفَقة على العِباد، وليس دِين لعنة وغِواية .

هذا ما تضمنته الأَدِلَّة الشرعية مِنَ القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية بأساليب واضحة وقوية في التعبير، وذلك على النحو التالي:

١ـ قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الأنفال ٣٣) .

نَزَلت هذه الآية الكريمة رَداً على طلب أبي جهل بقوله: " اللهُمَّ إن كان هذا هو الحق مِنْ عندك، فأمطر علينا حجارة مِنَ السماء، أو ائتنا بعذاب أليم "[2]، وقد نزلت هذه الآية والنبي ﷺ بمكة، فعندما خرج مِنْها، أَنْزل الله ﷻ ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾، والمَقْصود: أولئك البَقِيَّة مِنَ المسلمين، الذين بَقُوا في مكة مُسْتَضعفين، وكانوا يستغفرون الله ﷻ، فلما خرجوا أنزل الله ﷻ ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال ٣٤)،

(١) **سِنَة:** الجَدْب العام الذي يكون به الهلاك العام، ويسمى الجدب والقَحْط سِنَة . **انظر:** (تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم – محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي – ت: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز – ط ١ – مكتبة السنة – القاهرة – مصر – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م – ٤٨٤/١)، (تيسير العزيز الحميد – سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب – ٣٠٤/١) .

(٢) صحيح البخاري ١٧٠٥/٤– كتاب التفسير – باب ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ – حديث رقم ٤٣٧٢ .

فَأَذِن الله في فتح مكة، وهو العذاب الذي وَعَده الله لِمُشْركي مكة(١) .

قال ابن عباس ﷺ: " إنَّ الله جعل في هذه الأُمَّة أَمَانيْن، فلا تزال معصومة مِنْ قَوارع العذاب ما دام الأمانيْن فيها، أمَّا الأمَان الأول فقد قَبَضه الله تعالى إليه، وهو محمد ﷺ، وأمَّا الأمَان الثاني فهو باقٍ في هذه الأُمَّة، ألَا وهو الاستغفار، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ "(٢) .

" وهذه كرامة لرسول الله محمد ﷺ، ورَفْعٌ لدرجته، حيث لا يُعَذب أُمَّته وهو فيهم، ولا يُعَذبهم أيضاً وهُمْ يستغفرون بعد ذهابه ﷺ "(٣) .

وفي الآية الكريمة إخبارٌ مِنَ الله ﷻ " أنَّه لا يُعَذِّب مُسْتغفراً؛ لأنَّ الاستغفار يَمْحو الذَّنْب الذي هو سبب العذاب، فيندفع العذاب "(٤) .

وما أجمل ما ذكره ابن القيم ﷺ في ذلك: إذا كان وجود بدنه ﷺ وذاته بين مشركي مكة هو ما دَفَع عنهم العذاب وهُمْ أعداؤه، فكيف وجود سِرِّه والإيمان به ومَحَبته، ووجود ما جاء به إذا كان في قَوْم، أو كان في شخص؟! أَفَلَيْس دَفْعه العذاب عنهم بطريق الأَوْلى والأَحْرى؟! "(٥) .

٢ـ قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء ١٠٧) .

هذا دليل مِنَ الأَدِلَّة الشرعية الدَّالة على عِصْمة أُمَّة محمد ﷺ مِنَ الهلاك العام والعاجل في الحياة الدنيا، الذي أصاب الأُمَمْ الغابرة، وقد أكَّدَت الآية الكريمة عُمُوم الرحمة للناس كافة ببِعْثة نبينا محمد ﷺ، بمَنْ فيهم الكفار، وذلك منْ وجهين(٦):

- الأول: أنَّ الكفار كانوا مُعَرَّضين للرحمة بمحمد ﷺ لو آمنوا به، فَهُمْ الذين تركوا الرحمة بعد تَعْريضها لهم .
- الثاني: أَنَّهم رُحِموا بمحمد ﷺ لِكَونهم لَمْ يُعاقبوا بمِثْل ما عُوقب به الكفار المُتَقَدمون مِنَ الطوفان والصَّيْحة وشبه ذلك .

فالرحمة الإلهية قد أَدْركت حتى المُعْرضين عن دعوة نبينا محمد ﷺ بتأخير العذاب عنهم، ففي ذات مَرَّة قيل: يا رسول الله: ادْعُ على المشركين، فقال: **(إنِّي لَمْ أُبْعث لَعَّاناً،**

---

(١) **انظر:** تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٣٠٧/٢، الدر المنثور – السيوطي – ٥٦/٤ .

(٢) **انظر:** الدر المنثور – السيوطي – ٥٧/٤ .

(٣) عمدة القاري – بدر الدين العيني – ١٢٣/١٥ .

(٤) مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ١٦٣/٨ .

(٥) إعلام الموقعين ٢٢٦/١ بتصرف يسير .

(٦) **انظر:** التسهيل لعلوم التنزيل – محمد الغرناطي – ٣٤/٣ .

وإنّما بُعِثت رحمة)[1] .

" فانظر ما في هذا القول مِنْ جِمَاع الفضل، ودرجات الإحسان، وحُسْن الخُلُق، وكرم النَّفْس، وغاية الصبر والحُلْم "[2] .

" وإنَّ دِيناً هذه حقيقته، وهذا مَقْصده لا يَسَعُه إلَّا أنْ يكون سَمْحاً سهلاً مع الخَلْق أجمعين، مَنْ كان مِنْهم مِنْ أتباعه، ومَنْ لَمْ يَكُنْ، حتى الأحوال التي تقتضي الشِّدَّة والحَزْم، فإنَّها تَنْطوي على جوانب مِنَ السَّمَاحة واليُسْر لا يوجد لها نظير في غيره "[3] .

فالرحمة الإلهية بعد بِعْثة نبينا محمد ﷺ قد شَمِلَت الناس كافة، ولكن للمؤمن رَحْمتان، وللكافر رحمة واحدة .

قال ابن عباس ﷺ: " مَنْ آمن تَمَّت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومَنْ لَمْ يؤمن عُوفي مِمَّا كان يُصيب الأُمَمْ في عاجل الدنيا مِنَ العذاب "[4]، " كالغرق لقوم نوح وفرعون، والهلاك بالرِّيح لِقوم عاد، والخَسْف لقوم لوط وقارون، والصَّيْحة لثمود وأصحاب مَدْيَن، والرَّجْم لِأصحاب الفيل، وغير ذلك مِمَّا عُذِّبت به الأُمَمْ عُمُوماً "[5] .

٣ـ قال رسول الله ﷺ: **(إني سألت ربي لأمتي أنْ لا يُهْلكها بِسِنَة عامَّة، وأنْ لا يُسَلط عليهم عدواً مِنْ سِوَى أنفسهم، فَيَسْتبيح بَيْضتهم**[6]**، وإنَّ ربي قال: يا محمد: إني إذا قَضَيْت قضاء، فإنَّه لا يُرَد، وإني أعطيتك لِأُمَّتك أنْ لا أُهْلكهم بِسِنَة عامَّة، وأنْ لا أُسَلِّط عليهم عَدُواً مِنْ سِوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم مَنْ بِأَقْطارها)**[7] .

يَجْمع لنا هذا الحديث الشريف الموضوع الذي نحن بِصَدده مِنْ كافة جوانبه وأطرافه، ومعانيه بارزة واضحه مِنْ ظاهره، بأسلوب سهل ومُيَسَّر، يؤكِّد لنا ما أكَّدته الأَدِلة السابقة

---

(١) صحيح مسلم ٤/٢٠٠٦ – كتاب البر والصلة والآداب – باب النهي عن لعن الدواب وغيرها – حديث رقم ٢٥٩٩ .

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام – محمد القرطبي – ١/٢٩٩ .

(٣) بحوث ندوة أثر القرآن الكريم – مجموعة من العلماء – ١/١٢٩ .

(٤) الدر المنثور – السيوطي – ٥/٦٨٧ .

(٥) فتح الباري – ابن حجر – ٨/٢٩٣ بتصرف يسير .

(٦) **بيضتهم:** أي جماعتهم وأصلهم . (غريب الحديث – أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي – ت: عبد المعطي أمين القلعجي – ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م – ١/٩٧) .

(٧) صحيح مسلم ٤/٢٢١٥ – كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض – حديث رقم ٢٨٨٩ .

مِنَ الآيات القرآنية، التي تُثْبت عِصْمة أُمَّة محمد ﷺ مِنَ الهلاك العام والعاجل في الحياة الـــدنيا، ومِنَ الاستئصال مِنْ قِبَل مَنْ سِواها مِنْ أعدائها .

قوله: **(إني إذا قَضَيْتُ قضاء، فإنَّه لا يُرَد)**، بمعنى: " إذا حَكَمْت حُكْماً مُبْرماً، فإنَّه نافــذ لا يُرَد بشيء، ولا يَقْــدر أَحَــد علـــى رَدِّه، بـــل جميـــع الخَلْـــق تَمْضـــي علـــيهم الأَقْــدار طَوْعاً وكَــرْهــاً "[١] .

ويُستَنْبط مِنَ الحديث الشريف ما معناه: " أنَّ الله ﷻ لا يُسَلِط العدو على كافة المســـلمين حتـــى يســـتبيح جميـــع مـــا حـــازوه مِـــنَ الـــبلاد والأرض، ولـــو اجتمـــع علـــيهم كُلُ مَنْ بين أقطار الأرض "[٢] .

وإذا تَسلَّط الكفار على بعــض المــؤمنين مِــنْ أُمَّــة محمــد ﷺ، فــإنَّ ذلــك لا يَقَــع على عامَّة الأُمَّة[٣]، و" لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً، يمحو به دولـــة المـــؤمنين، ويُذْهب آثارهم، ويستبيح بيضتهم "[٤] .

ومنْ أهم ما يُسْتفاد مِنَ الحديث الشريف، ما يلي:

- عِصْمة أُمَّة محمد ﷺ مِنْ سِنَة عامَّة تأخذها أو إبادة على يد أعدائها .
- أنَّ الله ﷻ خَصَّ أُمَّـــة محمـــد ﷺ بخصـــائص ومزايـــا عديـــدة، تكريمـــاً وتشـــريفاً لنبيها محمد ﷺ .
- شدة حِرْص نبينا محمد ﷺ على أُمَّته، ورِفْقِه ورأفته بها .
- عُلو قَدْر أُمَّة محمد ﷺ، وظُهورها على باقي أَهْل المِلَلْ الأُخْرى .

---

(١) تيسير العزيز الحميد – سليمان بن عبد الوهاب – ٣٠٤/١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) **انظر:** فتح الباري – ابن حجر – ٢٩٣/٨ .

(٤) أحكام القرآن – ابن العربي – ٦٤٠/١ .

المبحث الثاني

أُمَّة محمد ﷺ أُمَّة مَرْحومة

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: رَفْع الخطأ والنِّسْيان عنْ أُمَّة محمد ﷺ .

المطلب الثاني: رَفْع الحَرَج عنْ أُمَّة محمد ﷺ فيما يَتَعلق بالإكراه، وحديث النفس .

المطلب الثالث: حِماية أُمَّة محمد ﷺ منْ خطر الكُهَّان .

المطلب الأول

رَفْع الخطأ[1] والنِّسْيان[2] عنْ أُمَّة محمد ﷺ

نتناول في هذا الموضوع الرحمة الواسعة التي حَظِيَتْ بها أُمَّــة محمــد ﷺ مــنَ الله ﷻ، ومِنْ صُوَر هذه الرحمة الواسعة، أنَّ الله ﷻ قد رَفَع الإثم عنْ أُمَّة محمد ﷺ فيما صَــدَر عنهــا مِنْ خطأ بغير عَمَد أو نِسْيان.

ومِنْ سِياق الأَدِلَّة الشرعية التي ذكرت هذا الموضوع، يتبين لنا أنَّ هذه الفضيلة ما كانــت في الأُمَمْ السابقة، وإنَّما هي مِنْ خصائص أُمَّة محمد ﷺ دون ما سِواها، بل إنَّ التيســير ورَفْــع الحَرَج والمَشَقَّة عن العباد هي مِنَ مَقاصِد الشريعة الإسلامية وأهدافها، وقــد دلَّ علــى ذلــك نصوص القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة:-

أوَّلاً: الدَّليل مِنَ القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (البقرة ٢٨٦) .

أَوْحى الله ﷻ إلى نبيه محمد ﷺ قَبْل هذه الآية الكريمة، قوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة ٢٨٤)، فَشَقَّ ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم، وشَعَروا بأنَّهم مُحاسبون على مالا يُطِيقونه، ولكن النبي ﷺ وَعَظَهم، وأرشدهم إلى الخضوع لِأمر الله ﷻ، فسرعان ما انقادوا وسلموا بأمره ﷻ، فأثابهم الله ﷻ، ونسخ هذه الآية، بقولــه تعــالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾، فقال ﷻ: (نعم)[3]، أي أنَّه استجاب للدُّعاء الوارد في الآية الكريمة .

---

(١) **الخطأ:** ضد الصواب . (مختار الصحاح - محمد الرازي - ٧٥/١)، والمُخْطِئ مَنْ أراد الصــواب فصار إلى غيره _ بغير عمد _ . (فيض القدير - عبد الرؤوف المناوي - ٤٤٧/٦) .

(٢) **النِّسْيان:** زوال عن الحافِظة والمدْركة . (عمدة القاري - بدر الدين العيني - ١٨٣/٢) .

(٣) **انظر:** صحيح مسلم ١١٥/١ - كتاب الإيمان - باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطــاق - حديث رقم ١٢٥ .

هكذا علَّم الله ﷻ عِباده المؤمنين أنْ يدعوه بهذا الدُّعاء[1]، ومعناه: " قولــوا ربَّنــا لا تؤاخــذنا إنْ نَسِينا شيئاً فَرَضْت علينا عمله فلَمْ نعمله، أو أخطأنا في فِعْل شيء نَهَيْتنا عن فِعلــه ففعلنــاه، على غير قَصْد مِنَّا إلى معصيتك، ولكن على جَهَالة مِنَّا به وخطأ "[2] .

" إنَّ العِباد مُكَلفون مِنَ الله ﷻ بعُهود ووصايا وأوامر تَجِب مُرَاعاتها والمُحافظــة عليهــا، دون إخْلال بشيءٍ منها، ولكن غَلَبات الطِّباع البَشَرية تأبى إلَّــا النِّســيان والخطــأ والضــعف والتقصير، فأرشد الله عِباده إلى أنْ يسألوه مُسَامحته إيَّاهم في ذلك كُلِّه، ورَفْع مُوْجِبــه عــنهم، بقولهم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ "[3]، وقد تَكَفَّل الله لهم بالاستجابة[4] .

فالآية الكريمة أثبتت أنَّ الله ﷻ قد عفا عن أُمَّة محمد ﷺ ما صَدَر منها منْ إســاءة بســبب خطأ أو نسيان، والعِلَّة في ذلك: " أنَّ النِّسيان لا يَقْدر أَحَد على الخَلاص منه، ولا يُتَوَهَّم التَّحَفُّظ منه، ولا يمكن لأحد دَفْعه عن نَفْسه، لــذلك فــإنَّ الله ﷻ أمرنــا بالــدعاء لِلنَّجــاة منــه "[5]، وما صَدَر بِطَريق الخطأ داخلٌ في نَفْس الحُكْم _ بطبيعة الحال _ .

ثانياً: الدَّليل مِنَ السُّنَّة النَّبويَّة المُطهَّرة:

قال رسول الله ﷺ: **(تَجاوز الله عن أُمَّتِي الخطأ والنِّسْيان وما اسْتُكْرِهوا عليه)**[6] .

عَبَّر الحافظ ابن حجر رحمه الله عن قيمــة هــذا الحــديث بقولــه: " وهــو حــديث جليــل، قال بعض العلماء: ينبغي أنْ يُعَد نِصْف الإسلام؛ لأنَّ الفعل إمَّــا عــن قَصْــد واختيــار أولاً، والثاني: ما يَقَع عن خطأ أو نِسْيان أو إكْراه، فهذا القِسْم مَعْفو عنه باتفاق "[7] .

" وإذا ثَبَت بالكِتاب المُفَسر بالسُّــنَّة أنَّ الله قــد غَفَــر لهــذه الأُمَّــة الخطــأ والنِّســيان، فهذا عــام عُمُومــاً مَحْفوظــاً، ولــيس فــي الدلالــة الشــرعية مــا يُوْجِــب أنَّ الله يُعَــذِّب

(١) **انظر:** جامع البيان – الطبري – ٣/١٥٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) مجموع الفتاوى – ابن تيمية – ١٤/١٣٩ بتصرف .

(٤) **انظر:** تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ١/٣٤٣ .

(٥) الفصل في الملل – ابن حزم – ٣/٧٨ .

(٦) المستدرك على الصــحيحين ٢/٢١٦ – الحــاكم النيســابوري – كتــاب الطــلاق – حــديث رقــم ٢٨٠١ وقــال الحــاكم: هــذا حــديث صــحيح علــى شــرط الشــيخين ولــم يخرجــاه، وصححه الألباني رحمه الله/ في: مشكاة المصابيح – محمــد بــن عبــد الله الخطيــب التبريــزي – ت: محمد ناصر الدين الألبــاني – ط ٣ – ١٤٠٥هــ – ١٩٨٥م – المكتــب الإســلامي – بيــروت – ٣/٣٧٢ .

(٧) فتح الباري ٥/١٦١ .

مِنْ هذه الأُمَّة مُخْطئاً على خَطَئِه، وإنْ عَذَّب المُخْطئ مِنْ غير هذه الأُمَّة "[1] .

وهذا صريح وواضح في أنَّ رَفْع الحَرَج عن أُمَّة محمد ﷺ فيما صَدَر عنها مِنْ إساءة بسبب خطأ أو نسيان، هو مِنْ خصائصها وفضائلها التي تَمَيَّزت به عن الأُمَمْ السابقة .

إنَّ الخطأ والنِّسيان في حقِّ العبد لهما نَفْس الحكم، وهو " مرفوع فيما بين العبد وبين الله ﷻ في استحقاق العقاب، والتكليف في مِثْله ساقط عنه، والمُؤاخذة به في الآخرة غير جائزة "[2] .

ولكن رَفْع الإثم مِمَّا كان بسبب الخطأ أو النِّسيان لا يعني أنَّه لا تترتب أحكام أُخْرى عليه، فعلى سبيل المثال: مَنْ نَسِيَ الوُضوء، وصلَّى ظاناً أنَّه مُتَطَهِّر، فلا إثم عليه بذلك، ثم إنْ تَبَيَّن له أنَّه كان قد صلَّى مُحْدِثاً، فإنَّ عليه الإعادة[3] .

أمَّا قوله ﷺ: (**تَجاوز الله عن أُمَّتي الخطأ والنِّسْيان**)، أي: أنَّ التَّجاوز عن الخطأ والنِّسيان مِنْ جهة " حُكْمهما في حق الله، لا في حقوق العِباد؛ لأنَّ في حَقِّه ﷻ عُذْراً صالحاً لسقوطه، حتى قيل: إنَّ الخاطئ لا يأثم، فلا يُؤاخذ بحَد ولا قِصَاص، وأمَّا في حقوق العِباد، فَلَمْ يجعل عُذراً، حتى وَجَب ضمان العدوان على الخاطئ؛ لأنَّه ضمان مال لا جزاء فِعْل، ووَجَبت به الدِّية "[4]، بمعنى: " أنَّ النَّاسي والمُخطئ إنَّما عُفِيَ عنهما، بمعنى: رفع الإثم عنهما، لأنَّ الأمر مُتَرَتِّب على المَقاصد والنِّيات، والنَّاسي والمُخطئ لا قَصْد لهما فلا إثم عليهما، وأمَّا رَفْع الأحكام عنهما فليس مُرَاداً مِنْ هذه النُّصوص "[5]، إذ إنَّ رَفْع الإثم عن المُخْطئ أو النَّاسي، النَّاسي، لا يعني رَفْع الضَّمان عنهما، بل هو مُلازِم لهما، وواجب عليهما، أمَّا مَنْ تعاطى أسباب الخطأ أو النِّسيان حتى وَقَع في المَحْظور، فإنَّه يأثم[6] .

إنَّ المُخْطئ أو النَّاسي مَعْذور شَرْعاً، ولكنه غير مَعْذور كَوْناً، فالنتائج الكَوْنيَّة سَلْباً أَمْ إيجاباً، تأتي على حسب ما تَقْتَضيه القوانين الكَوْنية التي وَضَعها الله ﷻ، بِغَضِّ النَّظر عن الاعتبارات الأخرى .

فعلى سبيل المثال: لَمْ ينتصر جيش المسلمين في غزوة أُحُد، نتيجة اجتهاد خاطئ

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ١٢/٤٩٠ .
(٢) أحكام القرآن – الجصاص – ٢/٢٧٨ .
(٣) **انظر:** جامع العلوم والحكم – ابن رجب الحنبلي – ١/٣٧٤ .
(٤) عمدة القاري – بدر الدين العيني – ١٣/٨٨ .
(٥) جامع العلوم والحكم – ابن رجب الحنبلي – ١/٣٧٥ .
(٦) **انظر:** فيض القدير – عبد الرؤوف المناوي – ٤/٣٤ .

مِنَ الرُّماة الذين نَزَلوا مِنَ الجَبَل فخالفوا أَمْر النبي ﷺ، فَحَدَث ما حَدَث، وكذلك مَنْ تناول سُمًّا، فإنَّ خطأه أو نسيانه لا يَشْفعان له بالحِسَابات الكَوْنية .

المطلب الثاني

رَفْع الحَرَج عنْ أُمَّة محمد ﷺ فيما يَتَعلق بالإكراه[1]، وحديث النَّفْس

رَفْع الحَرَج مِنْ صور رحمة الله الواسعة بأُمَّة محمد ﷺ، تَكْريماً وتشريفاً له ﷺ، فإنَّ رَفْع الحَرَج عنْ أُمَّة محمد ﷺ فيما يَتَعلق بالإكراه وحديث النفس، هو مِنْ خصائصها ومِمَّا انفردت به، وأمَّا الأُمَمْ المُتَقدِّمة فقد كانت تُؤاخذ به، كما دَلَّتْ على ذلك الأَدِلَّة الشرعية[2] .

ولا غرابة في ذلك، فقد مَرَّ سابقاً، أنَّ التَّيْسير على العِباد، ورَفْع الحَرَج عنهم، هو مِنَ المقاصِد العامَّة للشريعة الإسلامية، فقد بُعِث نَبِيُّنا محمد ﷺ بالدِّين الإسلامي رحمة للعالمين، رحمة للمُتَّبع والمُخالف .

وللتوضيح أكثر، فإنَّه سيتم استنباط تفاصيل هذا الموضوع مِنْ أَدِلَّته الشرعية، الواردة في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، وذلك على النحو التالي:

أَوَّلاً: رَفْع الحَرَج عنْ أُمَّة محمد ﷺ فيما يَتَعلق بالإكراه .

١ـ قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النحل ١٠٦) .

تُعَدَّ هذه الآية الكريمة مِنْ أقوى الأَدِلة القرآنية الدَّالة على رَفْع الإثم عن المُكْره مِنْ أُمَّة محمد ﷺ، فقد بَنَى عليها العلماء العديد مِنَ الأحكام الشرعية، وقد نَزَلت في عَمَّار بن ياسر ﷺ، عندما أخذه المُشْركون مع أبويْه، وبقيَّة مِنَ المؤمنين المُسْتضعفين، فأذاقوهم أَشَدَّ العذاب، حتى تُوُفيَ والديْ عَمَّار ﷺ، أمَّا هو فقد أَعْطى المُشْركين بعض ما يريدون مُكْرهاً، فَشَكا ذلك إلى رسول الله محمد ﷺ، فَرَخَّص له بذلك، ما دام قَلْبُه مُطْمئنٌ بالإيمان[3] .

---

(١) **الإكراه:** بكسر الهمزة، هو إلزام الغير بما لا يريده . (عمدة القاري – بدر الدين العيني – ٩٥/٢٤) .

(٢) **انظر:** أضواء البيان – الشنقيطي – ٢٥١/٣، عمدة القاري – بدر الدين العيني – ٢٥٥/٢٠ .

(٣) **انظر:** الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – ١٨٠/١٠ .

والإكراه المَرْفوع عنه الإثم له أربعة شروط، هي[1]:

أ- أنْ يكون فاعله قادراً على إيقاع ما يُهدد به، والمأمور عاجزاً عن الدَّفع ولو بالفِرَار .

ب-أنْ يَغْلب على ظَنِّ المُكْرَه أنَّه إذا امتنع أَوْقَعَ به الأذى .

ت-أنْ يكون تهديد المُكْرِه فَوْرياً، فلو قال للمُكْـرَه: إنْ لَـمْ تفعـل كـذا ضَـرَبْتك غَـداً، لا يُعَدُّ مُكْرَهاً، ويُسْتَثْنى ما إذا ذَكَر زمناً قريباً جداً، أو جَرَتْ العادة بأنَّه لا يُخْلف .

ث-أنْ لا يَظْهر مِنَ المأمور ما يَدُل على اختياره .

وقد " أَجْمَع أَهْل العِلْم على أنَّ مَنْ أُكْرِه على الكفر حتى خَشِـيَ علـى نفسـه القَتْـل، أنَّه لا إثم عليه إن كفر وقَلْبُه مُطْمئن بالإيمـان، ولا تَبِـين مِنْـه زوجتـه، ولا يُحْكـم عليـه بِحُكْم الكفر "[2]، والعِلَّة فـي ذلـك: " أنَّ الإكـراه لا يُجَـامع الاختيـار، الـذي بـه يُعْتبـر التَّصَرُّف الشرعي "[3] .

٢ـ قال رسول الله ﷺ: **(تَجاوز الله عن أُمَّتي الخطأَ والنِّسْيان وما اسْتُكْرِهوا عليه)**[4]

سَبَقَت الإشارة إلى هذا الحديث الشريف بنُوع مِنَ التفصيل مـع بيـان مـدى أهميتـه، وذِكْر الأحكام المُتَعلِّقة بالخطأ والنِّسْيان في حَقِّ أُمَّة محمد ﷺ كما وَرَدتْ في الحديث .

وفي هذا المَوْضع يتم التركيز على مسألة الإكراه الوارِدَة في الحديث مع بيان أحكامهـا الشرعية، " فالمُكْرَه الذي لا قُدْرة له على التَّخَلُّص إلَّا بِفِعْل ما أُكْرِه عليـه مِـنَ المَحْظـورات، فلا إثم عليه في فعل ما أُكْرِه عليه، ما دام قَلْبه مُطْمئناً بالإيمان، مُسْـتنكراً لِمَـا أُكْـره عليـه مِنَ المُحَرَّمات غير مُسْتَحِلٌّ له، إلَّا الإكراه بالقَتْل على القَتْل، فيأثم بِقَتل مَنْ أُكْـره علـى قَتْلـه؛ لِمَا في ذلك مِنْ جَعْل قتله لغيره فِدَاء لِنَفْسه "[5] .

وهذا هو مذهب ابن حجر ؒ، فقد عبَّر عن ذلك بقوله: " ويُسْتثنى مِنَ الفعل ما هو مُحَرَّم على التأبيد، كقتل النَّفس بغير حق "[6] .

---

(١) **انظر:** فتح الباري – ابن حجر – ٣١١/١٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – ١٨٢/١٠ .

(٣) شرح فتح القدير – كمال الدين السيواسي – ٤٨٨/٣ .

(٤) المستدرك على الصحيحين ٢١٦/٢ – الحاكم النيسابوري – كتاب الطـلاق – حـديث رقـم ٢٨٠١ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشـيخين ولـم يخرجـاه، وصـححه الألبـاني / فـي: مشكاة المصابيح – محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي – ت: محمد ناصر الدين الألبـاني – ط ٣ – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م – المكتب الإسلامي – بيروت – ٣٧٢/٣ .

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة – أحمد الدويش – ٣٠٠/٦ .

(٦) فتح الباري – ابن حجر – ٣١١/١٢ .

" أمَّا الإكراه على تَرْك واجب فلا إثم عليه في تركه، لكن عليه أنْ يؤديه بعد زوال المانع، حسب ما تقتضيه الأَدِلَّة "[1]، هذا في باب الأعمال الظاهرة .

أمَّا في باب الأقوال، فـ" مَنْ أُكْرِه على قول مُحَرَّم إكراهاً مُعْتبراً له أنْ يفتدي نَفْسه به، ولا إثم عليه ... فإذا أُكْره بغير حق على قول مِنَ الأقوال، لَمْ يترتب عليه حُكْم مِنَ الأحكام، وكان لَغْواً؛ فإنَّ كلام المُكْرَه صَدَر مِنْه وهو غير راضٍ به، فلذلك عُفِيَ عنه ولَمْ يُؤاخذ به في أحكام الدنيا والآخرة "[2] .

وذلك مِنَ الرُّخَص الشرعية للعِبَاد، ومَنْ أراد أنْ يأخذ بالعزائم فيَصْبِر على الأذى والإكراه الواقع عليه، دون أنْ يَصْدُر مِنْه شئ مِنَ المَحْظورات فَلَهُ ذلك، وإنْ قُتِلَ على ذلك فَلَهُ أَجْرٌ عظيم، فهذا بلال الحبشي ﷺ أَخَذَ بالعزيمة في تَحَمُّله لأذى المُشْركين، الذين تَسَلَّطوا عليه تعذيباً وتَنْكيلاً ليَثْنوه عن دِينه، حتى وَضَعُوا الصَّخْرة العظيمة على صَدْره في شِدَّة الحَرْ، ويأمرونه بالشِّرْك بالله فيأبى عليهم وهو يقول: أَحَدٌ أَحَد، ويقول: والله لو أَعْلَم كلمة هي أَغْيَظ لَكُمْ مِنْها لَقُلْتُها[3] .

وعلى فَرَض لو أنَّ ظالماً أَكْره رَجُلاً على ارتكاب معصية، وإلَّا قَتَل أَحَد أرحامه، فَوَقع الرَّجُل في المعصية مُكْرهاً، لمْ يأثم عند جمهور العُلَماء[4]، وهذا شَكْل مِنْ أَشْكال الإكراه .

.

ثانياً: رَفْع الحَرَج عنْ أُمَّة محمد ﷺ فيما يَتَعلق بحديث النَّفْس .

١ـ قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة ٢٨٦) .

اكْتفى أَهْل العِلْم بالاستدلال بهذه الآية الكريمة مِنَ القرآن الكريم بتفسيرات مُوْجزة لإثبات رَفْع الحَرَج عنْ أُمَّة محمد ﷺ فيما يَتَعلق بحديث النَّفْس، والشاهد في الآية قوله تعالى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾، والمعنى: لها ما كَسَبت مِنْ خير قَوْلاً كان أَمْ فِعْلاً، وعليها ما اكتسبت مِنْ شر قَوْلاً كان أَمْ فِعْلاً، ورَفَع الله ﷻ الإثم المُتَعلِّق بحديث النَّفْس

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة – أحمد الدويش – ٦/٣٠٠ .

(٢) جامع العلوم والحكم – ابن رجب الحنبلي – ١/٣٧٧ .

(٣) **انظر:** تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٢/٥٨٩،معالم التنزيل – البغوي – ١/٢٩٢ .

(٤) **انظر:** فتح الباري – ابن حجر – ١٢/٣٢٤ .

لدى أُمَّة محمد ﷺ، وهذا مِنْ فضائلها وخصائصها الحميدة[1] .

٢ـ قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ الله تجاوز لأمتي ما حَدَّثت به أَنْفُسَها ما لَمْ يتكلموا أو يعملوا به)**[2] .

هذا حديث صريح في دلالته على رَفْع الإثم المُتَعلِّق بحديث النَّفْس لدى أُمَّة محمد ﷺ، وهذا مِنْ خصائصها، أمَّا الأُمَمْ المُتَقدِّمة فقد كانت تُؤاخذ به[3] .

والمعنى المُراد مِنَ الحديث إجمالاً، هو: " نفي الحَرَج عَمَّا يَقَع في النَّفْس، حتى يقع العمل بالجوارح، أو القول باللِّسان على وِفْق ذلك "[4] .

وفي الحديث العديد مِنَ الفوائد والأحكام الشرعية، منها:

- الوجود الذِّهْني لا أَثَر له، وإنَّما الاعتبار بالوجود القَوْلي في القَوْليَّات، والعملي في العمليات[5] .
- إنَّ كُلْ شيء في الصَّدْر لا يُؤاخذ به العَبْد، سواء تَوَطَّن به أَمْ لَمْ يَتوطَّن[6]، مع الأخذ بالاعتبار وُجُوب سلامة المُعْتقد .
- إنَّ ما هَمَّ به العَبْد مِنَ الأمور التي يَقْدر عليها مِنَ الكلام والعمل ولَمْ يتكلم بها ولَمْ يعملها، لَمْ تَكُنْ إرادته لها جازمة، فَتِلْك مِمَّا لَمْ يكتبها الله عليه[7] .
- إنَّ العفو عن الإثم المُتَعلِّق بحديث النَّفْس لدى أُمَّة محمد ﷺ، هو تَكْريم وتشريف له ﷺ[8] .
- إنَّ حديث النَّفْس لا يُعَدُّ كلاماً[9] .

---

(٥) **انظر:** تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٣٣٩/١، الدر المنثور – السيوطي – ١٢٩/٢، فتح الباري – ابن حجر – ٣٩٤/٩ .

(١) صحيح البخاري ٢٠٢٠/٥ – كتاب الطلاق – باب إذا قال لامرأته وهو مُكْره هذه أختي – حديث رقم ٤٩٦٨، صحيح مسلم ١١٦/١ – كتاب الإيمان – باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر– حديث رقم ١٢٧ واللفظ له .

(٢) **انظر:** عمدة القاري – بدر الدين العيني – ٢٥٥/٢٠ بتصرف .

(٣) فتح الباري – ابن حجر – ١٦١/٥ .

(٤) المصدر السابق ٥٥٢/١١ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية ٧٣٨/١٠ .

(٧) غمز عيون البصائر – زين الدين الحنفي – ١٧٣/١ بتصرف .

(٨) المصدر السابق – بتصرف .

المطلب الثالث

حِماية أُمَّة محمد ﷺ مِنْ خطر الكُهَّان

إنَّ الحِماية الإلهية لِأُمَّة محمد ﷺ مِنْ خطر الكُهَّان، هي لِكَوْنها أُمَّة مرحومة، فـلا يَطْـرأ على دِينها دسائس وتحريف الكُهَّان والعَرَّافين والدَّجَّالين، بأساليبهم القبيحة والفاسدة، التي قَطَعها الله ﷻ بسيف الحق المُبين .

فقد قال تعالى حِكايةً عن الجِن: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ (الجن ٨)، ففي الآية بيان أنَّ حِراسة السماء هي لحفظها عن استراق السَّمْع، كما في تعـالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾ (الصـافات ٦،٧)، وقوله أيضـاً: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ ﴾ (الملـك ٥)، قوله تعالى ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ (الجن ١٠)، وفي ذلك نَصٌّ على أنَّ الجِن لا تَعْلم الغيـب، فـلا مجـال للكُهَّـان للإطِّـلاع علـى الغيـب مِنْ طريق الجن[١] .

" وذلك لِيَنْحسم أَمْر الشـياطين وتخلـيطهم، ولتكـون الآيـة أَبْـيَن والحُجَّـة أَقْطَـع "[٢]، " وهذا مِنْ رحمة الله بِعِباده، وحِفْظه لِشَرعه، وتأييده لِكِتابه ولرسوله ﷺ "[٣] .

---

(١) **انظر:** أضواء البيان – الشنقيطي – ٣١٨/٨ .

(٢) آكام المرجان – بدر الدين الحنفي – ١٧٨/١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٣٥٠/٣ .

المبحث الثالث

أُمَّة محمد ﷺ أُمَّة ناصِرة مَنْصورة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أُمَّة محمد ﷺ ناصِرة لِنَبيِّها .

المطلب الثاني: انتصار أُمَّة محمد ﷺ غير مَنُوط بالعدد والعُدَّة .

المطلب الأول

أُمَّة محمد ﷺ ناصِرة لِنَبيِّها

إنَّ النَّاظر إلى سِيَر الرُّسل والأنبياء عليهم السلام وأحوالهم عَبْــر مراحـــل التـــاريخ المُتَعاقبـــة، وما لاقوه مِنْ تَمَرُّد واضطِّهاد وقَتْل مِنْ قِبَل أَقْوامهم وأُمَمِهِمْ، يَجِدْ أنَّ أُمَّة محمد ﷺ كأُمَّة مُجْتمعة على عكس ذلك تماماً، بل إنَّها الأُمَّة المُطِيعة لِنَبِيِّها، والخاضـــعة لِدَعوتـــه ﷺ بانقيـــادٍ كامـــل، فانتصرت له ﷺ؛ لأنَّه بُعِثَ بالدِّين الحق والوسط .

إنَّ وُصول دعوة نَبِيِّنا محمد ﷺ إلى مشارق الأرض ومغاربها، لَهُوَ دليلٌ قوي على نُصْرة أُمَّة محمد ﷺ لِنَبِيِّها، في حياته وبعد مَمَاته ﷺ، ولا تزال دعوته ﷺ في انتشار مُتَزايد ومُسْـتمر يوماً بعد يوم، وهذا دليلٌ آخر على أنَّ الأُمَّة مُصَمِّمة علـــى هـــذه النُّصـــرة، وماضـــية فيهـــا إلى يوم الدِّين، ولولا أنَّها على الحق، لَمَا تبوَّأت هذا العُلُوْ والشرف الرَّفيع .

أَوَّلاً: أَدِلَّة نُصْــرة أُمَّـــة محمـــد ﷺ لِنَبِيِّـــها .

١ ـ قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحشر ٨) .

الشاهد في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿ وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾، " ففي هذه الآية الكريمة، وَصْفٌ شامل للمُهاجرين في دوافع الهِجْرة، أنَّهم: ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً ﴾، وغايتهم هي: ﴿ وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾، والحُكْم لهم بأنَّهم:﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ .
ومَنْطُوق هذه الأوصاف يَدُل بِمَفْهومه أنَّه خاص بالمُهاجرين، مع أنَّه جاءت نُصوص أُخرى تَدُل على مُشاركة الأنصار لهم فيه، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾ (الأنفال٧٢)، وقوله تعالى بعدها: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً ﴾ (الأنفال ٧٤)، فَذَكر المهاجرين بالجهاد بالمال والنَّفْس، وذَكَر معهم الأنصار بالإيواء

والنَّصْر، وَوَصَف الفريقين معاً بوِلاية بعضهم لبعض، وأَثْبَت لهم معاً حقيقة الإيمان ﴿ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾، أي الصَّادقون في إيمانهم، فاستوى الأنصار مع المهاجرين في عامل النُّصْرة وفي صدْق الإيمان "[1] .

" فهؤلاء المُهاجرون والأنصار ومَنْ جاء بعدهم إلى يوم القيامة "[2]، فالخَلَف يسيرون على هَدْي السَّلَف، والأُمَّة ماضيةٌ على هذا الدَّرْب مِنْ أَوَّلها إلى آخرها، ففي آية الحشر ما يُشير إلى أنَّ المُسلمين هُمْ بالفعل أنصار الله[3] .

وقد أعطى شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ مفهوم أوسع للمُهاجرين، وذلك بقوله: " المُهاجرين هُمْ الذين هَجَروا السَّيِّئات، وجاهدوا أعداء الله باطِناً وظاهِراً "[4]، مُسْتَدِلاً على ذلك بقوله ﷺ: **(المُهاجر مَنْ هَجَر ما نَهَى الله عنه)**[5]،وهذا منْ باب تفسير القرآن الكريم بالسُّنَّة النَّبويَّة .

والمُلاحظ أنَّ القرآن الكريم يُطْلِق صدْق الإيمان على مَنْ تَجَمَّعتْ فيه صفَة الإيمان والنُّصْرة بالجهاد في سبيل الله، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَـٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحجرات ١٥)[6]، وهذا شبيه بمَا جاء في آية الحشر المذكورة آنفاً، " فأخبر الله ﷻ أنَّ الصَّادقين في دَعْوى الإيمان هُمْ المؤمنون الذين لَمْ يَتَعقَّب إيمانهم رِيبَة، وجاهدوا في سبيله بأموالهم وأَنْفسهم، وذلك هو العَهْد المأخوذ على الأولين والآخرين، كما قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (آل عمران ٨١) .

قال ابن عباس ﷺ: ما بَعَث الله نبياً إلَّا أَخَذ عليه الميثاق، لَئِن بُعِث محمد ﷺ وهو حَي ليؤمنن به ولينصرنه، وأَمَره أنْ يأخذ الميثاق على أُمَّته لئن بُعِث محمد ﷺ وهُمْ أحياء ليؤمنن به ولينصرنه "[7] .

---

(١) أضواء البيان – الشنقيطي – ٤٢/٨ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٦٤/٢٨ .

(٣) **انظر:** أضواء البيان – الشنقيطي – ١١٤/٨ .

(٤) المصدر السابق ١٩٧/١١ بتصرف يسير .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٠٥/٢ – من حديث عبد الله بن عمرو برقم ٦٩١٢، وصححه الألباني ﷺ في: صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ص ١٥٧ – المكتب الإسلامي .

(٦) **انظر:** تفسير البغوي ٣١٨/٤ .

(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/١٠ .

فالأمر لا يُسْتهان به، وإنَّما هو عَهْدٌ وميثاق، قَطَعه الله على عِباده، فَهُمْ مُلْزمون بالوفاء به .

٢ـ قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح ٢٩) .

في الآية الكريمة إشارة صريحة إلى مَظْهر مِنْ مَظاهِر نُصْرة أُمَّة محمد ﷺ لِنَبيِّها، والأُمَّة تقتدي بِسَلفها الصالح الذين ضربوا أروع الأمثلة في نُصْرة نبيِّهم ﷺ كما بَيَّنت ذلك الآية الكريمة، ومُرادها: " محمد رسول الله، وأتباعه مِنْ أصحابه الذين هُمْ معه على دِينه، أَشِدَّاء على الكفار، غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بِهِمْ رحمتهم، رُحماء بينهم، رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لَيِّنَة أَنْفُسهم لَهُم هَيِّنَة عليهم لهم "[١]، وهذا " ثناء على المؤمنين مِنَ الأُمَّة أَوَّلها وآخرها، على المُتَّقين والمُحْسنين والمُقْسطين والصَّالحين "[٢]، ولمْ تُذْكر هذه الصفات الحميدة في القرآن فحسب، بل هي مذكورة في الكُتُب السابقة أيضاً[٣] .

ومَنْ ينْظر في السيرة النبوية يَجِدْ العديد مِنَ المشاهد والمواقف التي تؤكد نُصْرة السلف الصالح منْ هذه الأُمَّة لِنَبيِّهم ﷺ، فهُم الذين عاصروه وأيَّدوه بكُلِّ ما يملكون، ففي ذات مَرَّة قال له قائلهم يوم بدر: والله لا نقول لك كما قال قوم موسى ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (المائدة ٢٤)، لكن نُقَاتل أمامك ووراءك وعن يمينك وعن يسارك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فَخُضْته لَخُضْناه معك، ولو سِرْت بنا إلى برك الغِماد[٤]لَسِرْنا معك[٥] .

وكذلك يوم الأحزاب، فقد ضَرَب السلف الصالح مِنْ هذه الأُمَّة أَرْوَع الأمثلة في نُصْرة نَبيِّهم ﷺ في هذه الغزوة، وكانوا مُصَمِّمين على الأخذ بِعَزائم الأمور دون الرُّخَص في هذا المجال، عندما كان رسول الله محمد ﷺ مُرَابِطاً وأقام المُشْركون يُحَاصرونه بِضْعاً وعشرين ليلة قريباً مِنْ شهر، ولَمْ يَكُنْ بينهم حَرْب إلَّا الرَّمي بالنبل، فلمَّا اشتد على الناس البلاء،

---

(١) جامع البيان – الطبري – ١٠٩/٢٦ .

(٢) منهاج السنة النبوية – ابن تيمية – ٢١٩/٨ .

(٣) **انظر:** التنصير – عبد الرحمن بن عبد الله الصالح – ط ١ – دار الكتاب والسنة – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م – ١١٣/١ .

(٤) **برك الغِماد:** هو موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل: هي بَلَد باليمن . (معجم البلدان – ياقوت الحموي – ٣٩٩/١) .

(٥) **انظر:** الجواب الصحيح – ابن تيمية – ٨٢/٥، تاريخ الإسلام – شمس الدين الذهبي – ٥٢/٢ .

بَعَث رسول الله محمد ﷺ إلى عُيينة بن حصن والحارث بن عوف المري، وهُمَا قائدا غَطَفان، وأعطاهما ثُلث ثِمَار المدينة على أنْ يَرْجعا بِمَنْ معهما عنه ﷺ وعن أصحابه ﭫ، فَجَرى بَيْنه وبينهم الصُّلْح، حتى كَتَبوا الكِتَاب، ولَمْ تَقَع الشهادة، ولا عزيمة الصُّلح، إلَّا المُرَاوضة، فلمَّا أراد رسول الله محمد ﷺ أنْ يفعل ذلك، بَعَث إلى كِبَار الأنصار، فَذَكر لَهُمْ ذلك واستشارهم فيه، فقالوا: يا رسول الله: أَمْراً تُحِبه فَنَصْنعه؟ أَمْ شيئاً أَمَرك الله به ولا بُدَّ لنا مِنَ العمل به؟ أَمْ شيئاً تَصْنعه لنا؟ فقال: بل شيء أَصْنَعه لَكُمْ، والله ما أَصْنع ذلك إلَّا لأني رأيت العرب رَمَتْكم عن قَوْس واحدة، وكالَبُوكم مِنْ كُلِّ جانب، فأردت أَنْ أَكْسر عنكم مِنْ شَوْكتهم إلى أَمْر ما، فقال له سعد بن معاذ ﭬ: يا رسول الله: قد كُنَّا وهؤلاء على الشِّرْك بالله وعِبادة الأوثان، لا نَعْبد الله ولا نَعْرفه، وهُمْ لا يَطْمعون أنْ يأكلوا منها ثمرة واحدة، إلَّا قرى أو بَيْعاً، أَفَحِين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأَعَزَّنا بك وبه، نُعْطيهم أموالنا؟! ما لنا بهذا مِنْ حاجة، والله لا نُعْطيهم إلَّا السيف، حتى يَحْكم الله بيننا وبينهم، فقال النبي ﷺ: أنت وذاك، فتناول سعد بن معاذ ﭬ الصحيفة، فَمَحا ما فيها مِنَ الكِتابة[1] .

" ثُمَّ إنَّ الله ﷻ وله الحمد صنع أمراً مِنْ عنده خَذَل به العدو، وهزم جموعهم، وفل حدهم "[2] .

إنَّ هذه المَواقف هي أَمْثلة قليلة مِنْ ضِمْن العديد مِنَ الأمثلة التي تُؤكد نُصْرة هذه الأُمَّة لِنَبيها ﷺ .

ولا تزال الأُمَّة على هذا الدَّرب إلى يومنا هذا، وحتى قِيام الساعة، وهذا مُشَاهد مَحْسوس، لِمَنْ كان له قلب أو أَلْقَى السَّمْع وهو شهيد .

" فالحمد لله الذي وَفَّق هذه الأُمَّة للتَّمسك بِدِينها، وغَرَس في قلوب أبنائها مُنَافرة أعدائها، فمهما ضعفت الأُمَّة ومهما افتقرت ومهما تناحرت فيما بينها، إلَّا أنَّها تبقى وَفِيَّة لِدِينها، كافرة بِمَنْ كفر بِرَبِّها "[3] .

---

(١) **انظر:** البداية والنهاية – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء – مكتبة المعارف – بيروت – ١٠٤/٤،١٠٥ .

(٢) زاد المعاد – محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله – ٢٧٣/٣ .

(٣) التنصير – عبد الرحمن بن عبد الله الصالح – ١١٣/١ .

المطلب الثاني

انتصار أُمَّة محمد ﷺ غير مَنُوط بالعَدَدْ والعُدَّة

إنَّ مصدر النَّصْر هو مِنْ عند الله ﷻ، يَهَبُه لمن يشاء ويَصْرفه عمَّن يشاء، وقد جاء التأكيد على ذلك في كثير مِنَ المَواضع القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (الأنفال ١٠)، وقوله: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (آل عمران ١٦٠) .

" إنَّ النَّصر يكون مِنَ الله، ويكون مِنَ العِباد مِنْ باب الأخذ بالأسباب، كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾ (التوبة ٤٠) "[١]، ولا نَصْر مِنْ دون الأخذ بالأسباب المعنوية والمادِيَّة .

إنَّ النَّصر بِيَد الله ﷻ يكتبه لِمَنْ يشاء، وإذا كان الأمر كذلك، فإنَّ الله ﷻ قد حَدَّد شروطاً لِنَيْل النَّصر، وما على العِباد إلَّا إذا أرادوا النُّصْرة مِنَ الله ﷻ، مِنْ ذلك:

- **تَوَقُّف انتصار أُمَّة محمد ﷺ على التَّأييد الإلهي .**

هذا ما يُفَسِّر لنا انتصار أُمَّة محمد ﷺ في العديد مِنَ المَواطن رغم قِلَّة العدد والعُدَّة، ويُفَسِّر لنا أيضاً هزيمة الأُمَّة في بعض المَواطن رغم كثرة العدد والعُدَّة عندما نُزِع منها التأييد الإلهي في لحظة مِنَ اللحظات .

وفي القرآن الكريم ما يَدُلُّنا على السبيل الوحيد لكي تَنَال أُمَّة محمد ﷺ النُّصْرة مِنَ الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد ٧)، " هذا أَمْر مِنْه تعالى للمؤمنين أنْ ينصروا الله بالقيام بِدِينه والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، وأنْ يَقْصدوا بذلك وَجْه الله، فإنَّهم إذا فعلوا ذلك نَصَرَهم وثَبَّت أقدامهم، أي: يَرْبط على قلوبهم بالصَّبر والطُّمأنينة والثَّبات، ويُصَبِّر أجسادهم على ذلك، ويُعِينهم على أعدائهم، فهذا وَعْدٌ

---

(١) أضواء البيان – الشنقيطي – ٢٢١/٨ .

مِـنَ كـريم صـادق الوَعْـد، أنَّ الـذي يَنْصـره بـالأقوال والأفعـال، سَيَنْصـره مَـوْلاه، ويُيَسِّـر لـه أسـباب النَّصـر مِـنَ الثَّبـات وغيـره "[1]،" فـإنَّ الجـزاء مِنْ جِنْس العمل "[2]، قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج ٤٠) .

ولا يمكن أن يكون الجهاد قويا إلا بإعداد قوتين عظيمتين[3]:

- قوة الإيمان والعمل الصالح، ... فالقيام بجميع الواجبات والابتعاد عن جميع المُحَرَّمات مِنْ أعظم أسباب النَّصر والتَّمْكين .
- قوة الحديد وما استطاعه المسلمون مِنْ قوة مادية، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال ٦٠)، والإعداد يكون على حسب الظروف والأحوال ويتناول كل وسيلة يستطيعها المسلمون،... فيجب إعداد القُوَّات البرية، والجوية، والبحرية إذا استطاع المسلمون ذلك، ويجب عليهم أن يأخـذوا حذرهم، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ (النساء ٧١)، وهذا يَدُل على وُجـوب العِناية بالأسباب، والحذر مِنْ مكائد الأعداء، ويدخل في ذلك جميع أنواع الإعداد المُتَعلقة بالأسلحة والأبدان، وتدريب المجاهدين على أنواع الأسلحة، وكيفية استعمالها وتوجيههم إلى ما يُعِينهم على جهاد عدوهم والسلامة مِنْ مكائده، والله ﷻ أطلق الأمـر بالإعـداد وأَخْذ الحذر، ولَمْ يَذْكر نوعاً دون نوع ولا حالاً دون حال؛ وما ذلك إلَّـا لأنَّ الأوقـات تختلف، والأسلحة تتنوَّع، والعدو يَقِلْ ويَكْثر، ويَضْعف ويَقْوى، فلهذا ينبغي على قـادة المسلمين وأعيانهم ومُفَكِّريهم إعداد ما يستطيعون مِنْ قوة لقتال أعـدائهم ومـا يَرَوْنـه مِنَ المكيدة في ذلك، وقد قال نبينا محمد ﷺ: **(الحرب خدعة)**[4]، والمعنى: أنَّ الخَصْـم قد يُدْرِك مِنْ خَصْمِه بالمَكْر والخديعة فـي الحـرب مـا لا يُدْرِكـه بـالقوة والعـدد، وذلك مُجَرَّب ومعروف .

إنَّ النُّصرة مِنَ الله ﷻ لا تُنال إلَّا بشروطها، ومَنْ ظنَّ أنَّ كثرة العدد والعُدَّة تكفي لوحـدها

---

(٢) تيسير الكريم الرحمن – عبد الرحمن السعدي – ٧٨٥/١ .

(١) تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ١٧٥/٤ .

(٢) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى – سعيد بن علي بن وهـف القحطـاني – ط ١ – وزارة الشـؤون الإسـلامية والأوقـاف والـدعوة والإرشـاد – المملكـة العربيـة السـعودية – ١٤٢٣هـ – ١٦٣/٢،١٦٤،١٦٥ .

(٣) صحيح البخاري ٢٥٣٩/٦ – كتاب استتابة المرتدين والمعانـدين وقتـالهم – بـاب قتـل الخـوارج والملحدين بعد اقامة الحجة عليهم – حديث رقم ٦٥٣١، صحيح مسـلم ٧٤٦/٢ – كتـاب الزكـاة – باب التحريض على قتل الخوارج – حديث رقم ١٠٦٦ .

فهو مُخْطئ، هذا ما أراد الله ﷻ أنْ يُعلمه للمسلمين عندما أيْقن بعضهم أنَّهم مَنْصورون على عَدُوِّهم اعتماداً على كثرة العدد والعُدَّة لديهم، وقد نَسُوا أنَّهم مُحْتاجون إلى جانب ذلك للتأييد الإلهي، فَأُصيبوا بشئ مِنَ الانْتِكاسة في المعركة، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ (التوبة ٢٥) .

ففي الآية إخبارٌ عمَّا حَصَل للمسلمين في غزْوة حُنَيْن، فقد " كانوا يومئذ اثنا عشر ألفاً، فقال بعضهم: لن نُغْلب اليوم مِنْ قِلَّة، فأراد الله إظهار عَجْزهم، فَفَرَّ الناس عن رسول الله محمد ﷺ، حتى بَقِيَ على بَغْلته في نفر قليل، ثُمَّ استنصر بالله، وأَخَذ قَبْضة مِنْ تُراب فَرَمى بها وُجُوه الكفار، وقال: (**شاهت الوجوه**)[١]، ونادى بأصحابه فَرَجعوا إليه، وهَزَم الله الكُفار "[٢] .

" هذه أول آية نَزَلت مِنْ سورة براءة يَذْكر الله فيها للمؤمنين فضله عليهم في نصره إياهم في مَواطن كثيرة، وأنَّ ذلك مِنْ عنده لا بعددهم ولا عُدَدِهم، ونَبَّههم على أنَّ النَّصر مِنْ عنده، سواء قَلَّ الجَمْع أو كَثُر، فإنَّ يوم حُنَين أعجبتهم كثرتهم، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئاً "[٣] .

(١) صحيح مسلم ١٤٠٢/٣ – كتاب الجهاد والسير – باب في غزوة حنين – حديث رقم ١٧٧٧ .
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل – محمد الغرناطي – ٧٣/٢ .
(٣) عمدة القاري – بدر الدين العيني – ٢٩٤/١٧ .

الفصل الرابع

خصائص أُمَّة محمد ﷺ فيما يَتَعلَّق باليوم الآخر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: وَسَطِيَّة أُمَّة محمد ﷺ ، وشهادته على الأُمَمْ، وما لها مِنَ الشَّفاعة .

المبحث الثاني: خصائص أُمَّة محمد ﷺ عَبْر مراحل اليوم الآخر.

المبحث الأول

وَسَطِيَّة أُمَّة محمد ﷺ ، وشهادته على الأُمَمْ، وما لها مِنَ الشَّفاعة .

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وَسَطِيَّة أُمَّة محمد ﷺ .

المطلب الثاني: أُمَّة محمد ﷺ شاهدة على الأُمَمْ الأخرى .

المطلب الثالث: الشَّفاعة مِمَّا تَمَيَّـزت بـه أُمَّـة محمـد ﷺ في اليوم الآخر .

المطلب الأول

وَسَطِيَّة أُمَّة محمد ﷺ

سَنَتعرَّف في هذا الموضوع على معنى وَسَطِيَّة أُمَّة محمد ﷺ وما تَحْمله هذه الجُمْلة مِنْ مَدْلولات عِدَّة تَدُلُّ على فَضْل أُمَّة محمد ﷺ على باقي الأُمَمْ .

" إنَّما حازت هذه الأُمَّة قَصْب السَّبْق إلى الخَيْرات بنبيها محمد ﷺ؛ فإنَّه أشرف خَلْق الله، وأكرم الرُّسُل على الله، وبَعَثَه الله بِشَرعٍ كامل عظيم، لَمْ يُعْطِه نبي قَبْله ولا رسول مِنَ الرُّسُل، فالعمل على مِنْهاجه وسبيلِه يَقُوم القليل مِنْه ما لا يَقُوم العمل الكثير مِنْ أعمال غيرهم مَقَامه "[1] .

وفي ذلك إشارة إلى الدِّين الإسلامي، فإنَّه أصْل وَسَطِيَّة أُمَّة محمد ﷺ؛ فهو دِينها وشرعها .

" ووسطية الإسلام مِنْ أبرز السِّمَات التي يَلُوح فضلها في سائر تشريعاته الحكيمة، فقد كَرَّم الله أُمَّة محمد ﷺ أَنَّهم وَسَط في المِلَلْ والنِّحَل، جعل الله دِينهم وسطاً بين الإفراط والتَّفْريط، أو بين الغُلُوْ والتقصير "[2]، والأُمَّة تدور مع وَسَطِيَّة دِينها في كُلِّ تعاليمه السَّمْحاء .

- **وَسَطِيَّة أُمَّة محمد ﷺ في القرآن الكريم .**

يقول المولى ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة ١٤٣)، هذه الآية هي مِحْوَر مَوْضوعنا، فهي صريحة في دلالتها، قوية في معانيها الواضحة مِنْ ظاهرها .

وكلمة ﴿ وَسَطًا ﴾ فسَّرها نبينا محمد ﷺ بقوله: (**عَدْلاً**)[3]، " فأخبر الله ﷻ _ في الآية الكريمة _ أنَّ أُمَّة محمد ﷺ جعلها الله ﴿ وَسَطًا ﴾، أي: عَدْلاً خياراً؛ ليكونوا

---

(١) تحفة الأحوذي – محمد المباركفوري – ٨/٢٨١ .

(٢) أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية – مجموعة من العلماء – ١/٣٩٧ .

(٣) صحيح البخاري ٦/٢٦٧٥ – كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – باب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ – حديث رقم ٦٩١٧ .

شهداء على الناس في كُلِّ شيء، فإذا شهدوا على حُكْم بأنَّ الله أَمَر به أو نَهى عنـــه أو أباحـــه، فإنَّ شهادتهم مَعْصومة؛ لِكَوْنهم عالمين بما شهدوا به عادلين في شهادتهم، فلو كان الأمر بِخِلاف ذلك لَمْ يكونوا عادلين في شهادتهم، ولا عالمين بها، ومِثْل ذلك قوله تعـــالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ (النساء ٥٩)، يُفْهم مِنْها أنَّ ما لَمْ يتنازعوا فيه بل اتَّفقوا عليه أنَّهم غير مأمورين بِرَدِّه إلى الكِتاب والسُّنَّة، وذلـــك لا يكـــون إلَّـــا مُوَافقـــاً للكِتـــاب والسُّـــنَّة، فلا يكون مُخَالفاً "(١) .

وفي الآية خِطَاب عام لأُمَّة محمد ﷺ ، وقد عبَّر ابن كثير ﷺ عن معنى هذا الخِطَـــاب بقوله: " إنَّما حَوَّلْناكم إلى قِبْلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم؛ لنجعلكم خيار الأُمَمْ، لتكونـــوا يوم القيامة شهداء على الأُمَمْ؛ لأنَّ الجميع مُعْترفون لكم بالفضل، والوَسَـــط هـــا هنـــا الخيـــار والأَجْوَد، كما يُقال: قريش أَوْسط العرب نَسَباً وداراً، أي: خَيْرها، وكان نبينا محمد ﷺ وَسَـــطاً في قومه، أي أشرفهم نَسَباً، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات، ولمَّـــا جعـــل الله هذه الأُمَّة وَسَطاً، خَصَّها بأكمل الشرائع، وأَقْوَم المناهج، وأوضح المذاهب "(٢) .

وقد عبَّر ابن جرير الطبري ﷺ عن معنى هـــذا الخِطَـــاب بقولـــه: " كمـــا هـــديناكم أَيُّها المؤمنون بمحمد ﷺ وبما جاءكم به مِنْ عند الله، خَصَّصْناكم بالتوفيق لِقِبْلـــة إبـــراهيم ﷺ ومِلَّته، وفضلناكم بذلك على مَنْ سواكم مِنْ أَهْل المِلَلْ، كذلك خَصَّصْناكم ففضلناكم على غيـــركم مِنْ أَهْل الأَدْيان، بأنْ جعلناكم أُمَّة وَسَطاً "(٣)، " كما أنَّ الكَعْبة وَسَط الأرض، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾، أي: جعلناكم دون الأنبياء ﷺ وفوق الأُمَمْ "(٤) .

" وأَرَى أنَّ الله ﷻ إنَّما وَصَفهم بأنَّهم وَسَط؛ لِتَوَسُّطهم في الدِّين، فلا هُمْ أَهْل غُلُوْ فيه غُلُو النَّصارى الذين غَلُوا بالتَّرَهُّب، وقولهم في عيسى ﷺ ما قالوا فيه، ولا هُمْ أَهْل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بَدَّلوا كِتاب الله، وقتلوا أنبيـــاءهم، وكَـــذَبوا علـــى ربهـــم وكفـــروا بـــه، ولكنهم أَهْل تَوَسُّط واعتدال فيه، فَوَصفهم الله بذلك، إذ كان أَحَبُّ الأمور إلى الله أَوْسَطها "(٥) .

وعلى خِلاف أَهْل الكِتاب، تظهر وَسَطِيَّة أُمَّة محمد ﷺ في العديد منَ الجوانب، أَهَمُّهـــا: " أنَّ شـــريعة التَّـــوْراة تَغْلـــب عليهـــا الشِّـــدَّة، وشـــريعة الإنجيـــل يَغْلـــب عليهـــا اللِّـــين،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ٢٠٣/١ .
(٢) تفسير القرآن العظيم ١٩١/١ .
(٣) جامع البيان ٦/٢ .
(٤) الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – ١٥٣/٢ .
(٥) المصدر السابق .

وشريعة القرآن مُعْتدلة، جامعة بين هذا وهذا "[1] .

" قيل: المُرَاد بالآية هو شهادتهم _ أي أُمَّة محمد ﷺ _ في الآخرة على الأُمَم بأنَّ الأنبياء عليهم السلام بلَّغت إليهم الرِّسالة، وهذا يقتضي أنْ يكونوا عُدُولاً في الآخرة لا في الدنيا .

والجواب: أنَّ هذا لو كان هو المُراد، لقال: نجعلكم أُمَّة وَسَطاً، فلمَّا قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، دلَّ أنَّ هذا الوَصْف مُتَحقِّقْ فيهم في الحال، وعلى أنَّ الآية عامَّة في الدنيا والآخرة "[2]، وأنَّها " خِطَاب لجميع الأُمَّة أَوَّلها وآخرها، مَنْ كان مِنْهم موجوداً في وقت نُزول الآية، ومَنْ جاء بَعْدهم إلى قيام الساعة "[3]، وهذا ما يَنْسجم مع السِّياق العام للأَدِلَّة الشرعية .

---

(٦) الجواب الصحيح – ابن تيمية – ٥/٧٩ .

(١) قواطع الأدلة في الأصول – أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني – ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م – ١/٤٦٤ .

(٢) أحكام القرآن – أبو بكر الجصاص – ١/١١٠ .

المطلب الثاني

أُمَّة محمد ﷺ شاهدة على الأُمَمْ الأخرى

إنَّ عدالة أُمَّة محمد ﷺ هي ما جعلتهـا تصـل إلـى مَرْتبـة عظيمـة عنـد الله ﷻ، ألا وهي مرتبة الشهادة على الأُمَمْ وأنبيائهم، " والشهادة خاصة هذه الأُمَّة التي مُيِّزت بهـا "[1]، وهي مِنْ خصائص نبينا محمد ﷺ مِنْ قبْل، " فإنَّ الله ﷻ نَزَّل أُمَّته مَنْزلة العُدُول مِنَ الحُكَّـام، فيشهدون على الناس بأنَّ رُسُلهم بَلَّغتهم، وهذه الخِصِّيصة لَمْ تثبت لأحد مِنَ الأنبياء عليهم السلام "[2] .

قال الشاعر في مَدْح أُمَّة محمد ﷺ:

هُمْ وَسَط يرضى الأنام بِحُكْمهم

إذا نَزَلت إحدى الليالي بمعظم[3]

وقد كان فيمن سبق مِنَ الأُمَمْ مَنْ يتمنى أنْ يكون مع أُمَّة محمد ﷺ في هذه الفضـيلة، كما قال قوم عيسى عليه السلام فيما ذكرته الآية الكريمة: ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (آل عمران ٥٣)[4]، فالشاهدين المذكورين في الآية " هُـمْ أُمَّـة محمـد ﷺ، يشهدون لله بالتوحيد، ولِرُسله بالرِّسالة وصِحَّة ما جاؤوا به، ويشهدون علـى الأُمَـمْ السـابقة بالتصديق والتكذيب، وهُمْ عُدُول شهادتهم مَقْبولة "[5] .

حتى " إنَّ الأُمَمْ يقولون يوم القيامة: والله لقد كادت هذه الأُمَّة أنْ يكونوا أنبيـاء كُلَّهـم؛ لِمَا يَرَوْن الله أعطاهم "[6] مِـنَ الكـرامـات والفضـائـل .

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ٧٦/٢٠ .

(٢) الخصائص الكبرى – أبو الفضل السيوطي – ٣٩٥/٢ .

(٣) أضواء البيان – الشنقيطي – ٤٦/١ .

(٤) **انظر:** كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ٥٠١/٢٠ .

(٥) تيسير الكريم الرحمن – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ٢٤٢/١ .

(٦) الدر المنثور – أبو الفضل السيوطي – ٣٥١/١ .

- **شهادة أُمَّة محمد ﷺ على الأُمَمْ وأنبيائهم .**

ثبتت هذه الخاصيَّة لِأُمَّة محمد ﷺ بالأَدِلَّة المُبَاشِرة الصَّريحة، وهي واضحة مِنْ ظاهرها ولا تَحْتمل التأويل .

فقد قال رسول الله ﷺ: (**يُـدْعى نـوح يـوم القيامة، فيقـول: لَبَّيْـك وسَعْديْك يـا رب، فيقول: هل بلَّغت؟ فيقول: نـعم، فيقال لأُمَّته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانـا مِنْ نـذير، فيقول: مَنْ يشهد لك؟ فيقـول: محمد وأُمَّتـه، فيشـهدون أنَّـه قـد بلَّـغ** ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾، **فذلك قوله جل ذكره:** ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ (البقرة ١٤٣)، **والوَسَط: العَدْل**)[١] .

يَرِدْ الخِطَاب في الآية الكريمة بمعنى: وكذلك جعلناكم أُمَّة وَسَطاً عُدُولاً؛ لتكونوا شهداء لأنبيائي ورُسُلي على أُمَمهم بالبلاغ، أَنَّهم قد بَلَّغوا ما أَمَرْتُ ببلاغه مِنْ رسالاتي إلى أُمَمهم، ويكون رسولي محمد ﷺ شهيداً عليكم بإيمانكم به، وبما جاءكم به مِنْ عندي[٢] .

ووَجْه الاستدلال بالآية أنَّ الله ﷻ أَخْبر أنه جعل أُمَّة محمد ﷺ خياراً عُدُولاً، هذا حقيقة الوَسَط، فَهُمْ خير الأُمَمْ وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإرادتهم ونيَّاتهم، وبهذا استحقوا أنْ يكونوا شهداء للرُّسل عليهم السلام على أُمَمِهم يوم القيامة، والله ﷻ يَقْبَل شهادتهم عليهم، فَهُمْ شهداؤه، ولهذا نَوَّه بهم ورفع ذِكْرهم وأثنى عليهم؛ لأَنَّه تعالى لمَّا اتخذهم شهداء أَعْلَم خَلْقه مِنَ الملائكة وغيرهم بحال هؤلاء الشهداء، وأَمَر ملائكته أنْ تُصلي عليهم وتدعو لهم وتستغفر لهم، والشاهد المَقْبول عند الله هو الذي يشهد بِعلِم وصِدْق، فَيُخبر بالحق مُسْتنداً إلى عِلْمه به[٣] .

إنَّ مرتبة الشهادة على الأُمَمْ هي مرتبة عظيمة عند الله ﷻ نالتها أُمَّة محمد ﷺ ، كما وَرَدَ في قوله تعالى: ﴿ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ ﴾، " بسبب عدالتهم وحُكْمهم بالقسط، يَحْكمون على الناس مِنْ سائر أَهْل الأديان ولا يَحْكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأُمَّة بالقبول فهو مَقْبول، وما شهدت له بالرَّدْ فهو مَرْدود ... وشَرْط ذلك العِلْم والعَدْل، وهما موجودان

---

(١) صحيح البخاري ١٦٣٢/٤ – كتاب التفسير – باب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ – حديث رقم ٤٢١٧ .

(٢) **انظر:** جامع البيان – ابن جرير الطبري – ٨/٢ .

(٣) **انظر:** إعلام الموقعين – ابن القيم الجوزية – ١٣٣/٤ .

في هذه الأُمَّة، فَقُبِلَ قولها، فإنْ شك شاك في فضلها وطلب مُزَكِّياً لهــا، فهــو أكمــل الخَلْــق نبيهم محمد ﷺ ، فلهذا قال تعالى: ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ .

ومِنْ شهادة هذه الأُمَّة على غيرهم، أنَّه إذا كان يوم القيامة وسأل الله المُرْسلين عن تبليغهم، والأُمَمْ المُكَذِّبة عن ذلك، وأنكروا أنَّ الأنبياء عليهم السلام بلَّغتهم، استَشْهدت الأنبياء عليهم السلام بهذه الأُمَّــة وزكَّاها نَبِيُّها ﷺ "[1]، فهي الأُولى مكانةً، وإنْ كانت الأخيرة زماناً[2]، فإنَّ الله ﷻ أقام شــهادتها مقام شهادة الرسول ﷺ[3] .

فقد قامت أُمَّة محمد ﷺ بشروط الشهادة، وهي: " العِلْم والعَدْل، فإنَّ الشــاهد لا يكــون مَقْبولاً حتى يكون عالِماً بما يشهد له عَدْلاً في نفسه، ولــمْ يَكُــنْ الله ســبحانه ليجمــع شــهادة هؤلاء الذين هُمْ ورثــة رســوله ﷺ، وأنصــار دينــه، ولهــم لِســان الصــدق فــي الأُمَّــة على باطل وزور "[4] .

" ومُسْتندهم في الشهادة وإنْ لمْ يروا ذلك، إخبار الله ﷻ لهم بــه "[5]، وكــذلك إخبــار رسوله محمد ﷺ لهم[6] .

" فإنْ قال قائل: وكيف يَسْأل الله ﷻ الرُّسل والمُرْسَل إليهم وهو يُخْبِر أنَّه يَقُــصُّ علــيهم بِعِلْم بأعمالهم وأفعالهم في ذلك؟! قيل: إنَّ ذلك منه ﷻ ليس بمسألة استرشاد ولا مسألة تَعَــرُّف منهم ما هو به غير عالِم، وإنَّما هو مسألة توبيخ وتقرير، معناها: الخبر، كما يقول الرَّجُل للرَّجل _ ولله المَثَل الأعلى _ ألمْ أُحْسن إليك فأسأت؟! وألمْ أَصِلْك فقطعت؟! فكذلك مسألة الله المُرْسَــل إليهم بأنْ يقول لهم ألمْ يأتكم رُسُلي بالبيِّنات؟! ألمْ أَبْعث إليكم النُّذُر فَتُنْــذركم عــذابي وعقــابي في هذا اليوم مَنْ كَفَر بي وعَبَد غيري؟! ... وأمَّا مسألة الرُّسُل عليهم السلام الذي هو قَصَصٌ وخَبَــر، فإنَّ الأُمَمْ المُشْرِكة لمَّا سُئِلت في القيامة قيل لها: ألم يأتكم رُسُل منكم يتلون عليكم آيات ربكم؟! أَنْكر ذلك كثير منهم، وقالوا: ما جاءنا مِنْ بشير ولا نذير، فقيــل للرُّسُــل عليهم السلام: هــل بَلَّغــتم ما أُرْسِلتم به، أو قيل لهم: ألمْ تُبَلِّغوا إلى هؤلاء ما أُرْسِلتم به؟! ... فَكُلُّ ذلــك مِــنَ الله مســألة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ٧١،٧٠/١ .

(٢) **انظر:** أحكام القرآن – ابن العربي – ٦١/١ .

(٣) **انظر:** كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ١٧٧/١٩ .

(٤) منهاج السنة النبوية – ابن تيمية – ١٧/١ .

(٥) غاية السول في خصائص الرسول ﷺ – أبو حفص عمر بن علي الأنصاري الشهير بابن الملقن – ت: عبد الله بحر الدين عبد الله – دار البشائر الإسلامية – بيروت – ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م – ٢٦١/١ .

(٦) **انظر:** منهاج السنة النبوية – ابن تيمية – ٢٥٢/٧ .

للرُّسل على وَجْه الاستشهاد لهم على مَنْ أُرْسِلوا إليه مِنَ الأُمَمْ، وللمُرْسَل إليهم على وَجْه التقرير والتوبيخ، وكُلٌّ ذلك بمعنى القَصَصْ والخَبَر "[1] .

فإنْ قال قائل وهو يتلو قوله تعـــالى: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (يس ٦٥)، فكيف تتكلم الأُمَمْ المُشْرِكة يوم القيامة؟

الجواب: إنَّه في يوم القيامة مَواطِن، مَوْطِن يتكلمون فيه، ومَوْطِن يسكتون فيه[2] .

---

(٧) جامع البيان – ابن جرير الطبري – ١٢٢،١٢١/٨ .

(١) **انظر:** عمدة القاري – بدر الدين العيني – ٢١٩/١٥ .

المطلب الثالث

الشَّفاعة[1] مِمَّا تَميَّزت به أُمَّة محمد ﷺ في اليوم الآخر

اختصَّتْ أُمَّة محمد ﷺ بالشَّفاعة في اليوم الآخر، وذلك مِنْ جهه نبيها محمد ﷺ ، فإنَّه ﷺ يشفع عند الله ﷻ للعِبَاد في اليوم الآخر في عِدَّة مَوَاضِع، انفرد بها دون باقي الأنبياء والمُرسلين عليهم السلام، وذلك تكريماً وتشريفاً له ﷺ .

" حقيقة أَمْر الشفاعة: أنَّ الله ﷻ هو الذي يتفضّل على أَهْل الإخلاص، فَيَغْفر لهم بواسطة دعاء مَنْ أَذِن له أنْ يشفع لِيُكْرمه ... فهذا هو حقيقة الشفاعة، لا كما ظَنَّ المشركين والجُهَّال أنَّ الشفاعة هي كَوْن الشفيع يشفع ابتداءاً فيمن شاء فَيُدْخله الجنة، ويُنْجيه مِنَ النار، ولهذا يسألونها مِنَ الأموات وغيرهم "[2] .

والصحيح أنَّه لا شفاعة إلَّا بإذنه ﷻ، لذلك فإنَّ الشفاعة لا تُطْلب إلَّا مِنْه ﷻ، وليس مِنْ غيره مِنَ المَخْلوقين، ولا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّب ولا مِنْ نبيٍّ مُرسل، قال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (النجم ٢٦)، وقال أيضاً: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (يونس ٣)، فالآيات الكريمة تُوَضِّح أنَّ الشفاعة مَنْفيَّة إلَّا بإذنه تعالى، ولا شك أنَّه سَيَأذن للأنبياء والملائكة عليهم السلام والشُّهداء والصالحين بالشفاعة فيمن شاء منْ عِبَاده يوم القيامة[3] .

- **اختصاص رسول الله محمد ﷺ بشَفاعتين يوم القيامة .**

الشفاعة في اليوم الآخر هي موضوع واسع جداً، وما يَعْنينا في هذا المَوْضِع هو التركيز على ما اختصَّ به نبيُّنا محمد ﷺ مِنَ الشفاعة دون سائر أنبياء الأُمَمْ السابقة عليهم السلام .

قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ الشمس تَدْنو يوم القيامة حتى يَبْلغ العَرَق نِصْف الأذن،**

---

(١) **الشفاعة:** كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره . (لسان العرب – ابن منظر – ١٨٤/٨) .

(٢) تيسير العزيز الحميد – سليمان بن عبد الوهاب – ٢٣٦/١ .

(٣) **انظر:** التسهيل لعلوم التنزيل – محمد الغرناطي – ٤٧/١ .

فبينا هُمْ كذلك استغاثوا بآدم عليه السلام ثم بموسى عليه السلام، ثم بمحمد ﷺ فَيَشْفع لِيَقْضِى بين الخَلْق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مَقَاماً محموداً يحمده أَهْل الجَمْع كُلُّهم)[1] .

" في هذا الحديث الجَمْع بين ذِكْر الشفاعتين، الأولى في فصل القضاء، والثانية في استفتاح باب الجَنَّة، وسُمِّيَ ذلك كُله المَقَام المحمود، وهاتان الشفاعتان المذكورتان اللتان هُمَا المَقام المحمود، جعلهما الله ﷻ خاصتين بِنَبِيِّنا محمد ﷺ، وليستا لِأَحَدٍ غيره بلا نُكْران بين أَهْل السُّنَّة والجماعة "[2] .

جاء في الحديث الشريف ذِكْر المَقَام المحمود، كما ذُكِر أيضاً في قوله تعالى: ﴿ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾ (الإسراء ٧٩)، و" هو مَقام الشفاعة العُظمى، الذي اختصَّ به نبينا محمد ﷺ لا شريك له في ذلك، وهو إراحة أَهْل المَوْقف مِنْ أهواله بالقضاء بينهم، والفراغ مِنْ حسابهم "[3]، " حين يَتَشفَّع الخلائق بآدم ثم بنوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام وكُلُّهم يَعْتذر ويتأخر عنها، حتى يستشفعوا بِسَيِّد ولد آدم ليرحمهم الله مِنْ هَوْل المَوْقف وكَرْبه، فيشفع عند ربه، فَيُشَفِّعه ويُقيمه مَقاماً يَغْطبه عليه الأَوَّلون والآخرون، وتكون له المِنَّة على جميع الخَلْق "[4] .

وفي الحديث اختصار، إذ يُسْتغاث مِنَ الأنبياء أيضاً إضافةً على آدم وموسى عليهم السلام[5] .

وقوله ﷺ: **(أَهْل الجَمْع)**، أي: " أَهْل المَحْشر، وهو يوم مجموع فيه جميع الناس، مِنَ الأَوَّلين والآخرين "[6] .

وشفاعة ثالثة اختصَّ بها نبينا محمد ﷺ فِي تَخْفِيفِ الْعَذَابِ عَنْ بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ،

---

(١) صحيح البخاري ٥٣٦/٢ – كتاب الزكاة – باب من سأل الناس تكثراً – حديث رقم ١٤٠٥ .

(٢) معارج القبول – حافظ بن أحمد حكمي – ٨٩٦/٢، وانظر: شرح العقيدة الواسطية – محمد خليل هراس – ط ١ – الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م –٢٨٩/١ .

(٣) عمدة القاري – بدر الدين العيني – ٥٨/٩ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ٤٦٥/١، وانظر: فتاوى اللجنة الدائمة – أحمد بن عبد الرزاق الدويش – ٣٢٥،٣٢٤/٤، رسالة في أسس العقيدة – محمد بن عودة السعوي – ط ١ – وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية – ١٤٢٥ هـ – ١٠٣/١ .

(٥) **انظر:** عمدة القاري – بدر الدين العيني – ٥٧/٩ .

(٦) المصدر السابق ٥٨/٩ .

كَمَا فِي شَفَاعَتِهِ لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ[1] .

والدليل: عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ وذُكِر عنده عَمُّه _ أبو طالب _ فقال: **(لَعَلَّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فَيُجْعَل في ضحضاح[2] مِنَ النار يبلغ كعبيه يَغْلِي منه دماغه)**[3]، وفي رِواية: **(لولا أنا، لكان في الدَّرْك الأسفل مِنَ النار)**[4] .

في الحديث الشريف دليل على أنَّ أبا طالب مِنْ أَهْون أَهْل النار عذاباً يوم القيامة، بسبب شفاعة نبينا محمد ﷺ له عند الله ﷻ .

وفي المُحَصِّلة النهائية نَذْكر ما اختصَّ به نبينا محمد ﷺ مِنَ الشفاعة دون سائر الأنبياء عليهم السلام، وذلك كما يلي[5]:

- الشفاعة العُظمى .
- شفاعته ﷺ في أَهْل الجنة أن يدخلوها .
- شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن كان يستحقه، كشفاعته في عَمِّه أبي طالب .

وهذه النِّقاط الثلاث هي خلاصة ما سبق ذِكْره، والنُّقْطة الأولى هي المُرادة مِنْ قوله ﷺ: **(وأُعْطيت الشفاعة)**[6]، قال ابن دقيق العيد: " إنَّ اللام فيها للعهد، والمُراد: الشفاعة العُظمى في إراحة الناس مِنْ هَوْل المَوْقف، ولا خلاف في وُقُوعها . ا.هـ

وكذا جَزَم النووي وغيره "[7]، ولعلَّ ذلك لكوْن الشفاعة العُظمى هي الأَشْمل والأَعَم مِنْ غيرها .

---

(٧) **انظر:** شرح العقيدة الواسطية – محمد خليل هراس – ص ٢٩٠ .

(١) **الضحضاح:** ما رَقَّ منَ الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين، فاستعاره النبي ﷺ للنار . (النهاية في غريب الحديث والأثر– أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري – ت: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي – المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م – ٧٥/٣) .

(٢) صحيح البخاري ١٤٠٩/٣ – كتاب فضائل الصحابة – باب قصة أبي طالب – حديث رقم ٣٦٧٢، صحيح مسلم ١٩٥/١ – كتاب الإيمان – باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب – حديث رقم ٢١٠ .

(٣) صحيح البخاري ١٤٠٨/٣ – كتاب فضائل الصحابة – باب قصة أبي طالب – حديث رقم ٣٦٧٠ .

(٤) أصول الإيمان – الإمام محمد بن عبد الوهاب – ت: باسم فيصل الجوابرة – ط ٥ – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية – ١٤٢٠هـ – ٣٢٣/١ .

(٥) صحيح البخاري ١٢٨/١ – كتاب التيمم – حديث رقم ٣٢٨، صحيح مسلم ٣٧٠/١ – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – حديث رقم ٥٢١ .

(٦) فتح الباري – ابن حجر – ٤٣٨/١ .

المبحث الثاني

خصائص أُمَّة محمد ﷺ عَبْر مراحل اليوم الآخر

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خصائص أُمَّة محمد ﷺ أثناء علامات الساعة الكُبرى .

المطلب الثاني : خصائص أُمَّة محمد ﷺ حين ساعة الحِسَاب إلى نهاية مرحلة الحوض .

المطلب الثالث: خصائص أُمَّة محمد ﷺ مِنْ نهاية مرحلة الحوض إلى آخر مرحلة مِنْ اليوم الآخر .

المطلب الأول

خصائص أُمَّة محمد ﷺ أثناء علامات الساعة الكُبْرى

تُعد أُمَّة محمد ﷺ خير الأُمَمْ عند الله ﷻ، وهي آخر الأُمَمْ زماناً في الحياة الدنيا، لذلك فإنَّ هذه الأُمَّة ستُعاصِر وُقُوع كُلْ علامات الساعة الكبرى، وهي عشرة علامات، ذكرها نبينا محمد ﷺ بقوله: (**إنَّها لن تقوم _** أي الساعة _ **حتى تَرَوْن قَبْلَها عشر آيات، فَذَكَر: الدخان، والدَّجال، والدَّابة، وطلوع الشمس مِنْ مغربها، ونزول عيسى بن مريم** ﷺ**، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خُسُوف، خَسْف بالمشرق، وخَسْف بالمغرب، وخَسْف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تَخْرج مِنَ اليمن تَطْرد الناس إلى مَحْشرهم**)[١] .

ولا شك بأنَّ الأَدِلَّة الشرعية قد وَرَد فيها ما يُفيد بأنَّ أُمَّة محمد ﷺ تتميَّز بخصائص عِدَّة أثناء وُقُوع علامات الساعة الكبرى، على اعتبار أنَّها آخر الأُمَمْ زماناً في الحياة الدنيا، تُعَاصِر وُقُوع كُلْ علامات الساعة الكبرى، وهذا بِحَدِّ ذاته يُعْتبر مِنْ خصائص أُمَّة محمد ﷺ .

ويمكن الوقوف على أَبْرز خصائص أُمَّة محمد ﷺ في هذه الفترة في النِّقاط الآتية:

أَوَّلاً: ظُهُور المهدي المُنْتظر في أُمَّة محمد ﷺ .

قال رسول الله ﷺ: (**لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي**)[٢]، وقال ﷺ: (**لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظُلْماً وجوراً وعدواناً، ثم يَخْرج مِنْ أَهْل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً، كما مُلِئت ظلماً وعدواناً**)[٣] .

---

(١) صحيح مسلم ٤/٢٢٢٥ – كتاب الفتن وأشراط الساعة – ٣ باب في الآيات التي تكون قبل الساعة – حديث رقم ٢٩٠١ .

(٢) سنن الترمذي ٤/٥٠٥ – كتاب الفتن – باب ما جاء في المهدي – حديث رقم ٢٢٣٠، وقال أبو عيسى: وهذا حديث حسن صحيح .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٦٠٠ – كتاب الفتن والملاحم – حديث رقم ٨٦٦٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

هـذا هـو المشـهور بـين الكافـة مـن أهـل الإسـلام علـى ممـر الأعصـار، فإنَّه لا بد في آخر الزمان مِنْ ظهور رَجُل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهـر العـدل ويتبعـه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية، ويُسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعـده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى ﷺ ينزل من بعده، فيقتل الدجال، أو ينزل من بعده فيساعده على قتله، ويأتم بالمهدي في صلاته(١) .

ثانياً: معرفة الأُمَّة لِصِفات تفصيلية للدَّجال حتى قَتْله .

ذَكَر رسول الله محمد ﷺ لأُمَّته عِدَّة صِفات للدَّجال، لمْ يَذْكرها مِنْ قَبْل نبيٌّ لأُمَّته، والـدليل: قوله ﷺ: **(إنَّ الله ﷻ لمْ يَبْعث نَبِياً إلَّا حَذَّر أُمَّته الدَّجال ... إني سأصفه لكم صفة لمْ يَصِفْها إيَّاه قَبْلي نبي، إنَّـه يبـدأ فيقـول: أنـا نبـي، ولا نبـي بعـدي، ثـم يُثَنِّـي فيقـول: أنـا رَبُّكُـم، ولا تَـرَوْن رَبَّكُـم حتـى تموتـوا، وإنَّـه أَعْـوَر، وإنَّ رَبَّكـم لـيس بـأعور، وإنَّـه مَكْتـوب بـين عينيـه: كـافر، يقـرؤه كُـلُّ مـؤمن كاتِـب أو غير كاتِب)**(٢) .

وقد أَرْشد رسول الله محمد ﷺ أُمَّته إلى ما يَعْصِمُها مِنَ فِتْنة الدَّجال، وذلك بقوله: **(مَنْ حَفِظ عَشْر آيات مِنْ أول سورة الكهف عُصِمَ مِنَ الدَّجال)**(٣)، وفي رِوايـة أُخـرى: **(فَمَنْ أَدْركه مِنْكُم فَلْيَقْرأ عليه فَوَاتِح سورة الكهف)**(٤) .

قيل: " سبب ذلك ما في أَوَّلها مِنَ العجائب والآيات، فَمَنْ تَدَبَّرها لمْ يُفْتَـتن بالـدَّجال "(٥) وهذا مِنْ فضائل سورة الكهف .

والقرآن الكريم بما فيه سورة الكهف هو مِنْ خصائص أُمَّة محمد ﷺ كما بيَّنـا سـابقاً، بالتالي فإنَّ عِصْمة أُمَّة محمد ﷺ مِنْ فِتْنة الدَّجال بـأَوَّل عَشْـر آيـات مِـنْ سـورة الكهـف هو مِنْ خصائصها .

ومن خصائصها أيضاً في هذا المجال تَحْريم مكة والمدينة على الدَّجال، فهـو لا يسـتطيع

---

(١) **انظر:** تحفة الأحوذي – المباركفوري – ٤٠١/٦ .

(٢) سنن ابـن ماجـه ١٣٦٠/٢ – كتـاب الفـتن – بـاب فتنـة الـدجال – حـديث رقـم ٤٠٧٧، وصححه الألباني في: صحيح الجامع الصغير وزياداته – المكتب الإسلامي – ١٣٠٠/٢ .

(٣) صحيح مسلم ٥٥٥/١ – كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي – حديث رقم ٨٠٩ .

(٤) صحيح مسلم ٢٢٥٢/٤ – كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب ذكر الـدجال وصـفته ومـا معـه – حديث رقم ٢٩٣٧ .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٩٣/٦ .

أنْ يَدْخُلهما، ولا أمل له بذلك، والدليل: قوله ﷺ: **(ليس مِنْ بلد إلَّا سيطؤه الدجال إلَّا مكة والمدينة، ليس له مِنْ نِقابها[1] نقب إلَّا عليه الملائكة صافين يَحْرسونها)**[2] .

وفي هذا السِّيَاق يَبْرز تَمَيُّز أُمَّة محمد ﷺ في تحريم مكة والمدينة دون ما سِواهما على الدجال، فإنَّهما مِنَ البلاد المُقَدَّسة لدى أُمَّة محمد ﷺ .

ثالثاً: نُزُول عيسى عليه السلام، وصلاته خَلْف المهدي .

كان عيسى بن مريم عليه السلام مُطَارداً مُهَدَّداً بالقتل في زمانه، ولكن المُسلمين مِنْ أُمَّة محمد ﷺ يتبعونه وينضمون تحت لوائه عندما ينزل إلى الأرض في آخر الزمان، فَيَقود جيش المسلمين لِقِتال الدَّجال ومَنْ معه مِنَ اليهود .

فقد جاء في حديث صلاة عيسى عليه السلام خلف المهدي ما يؤكد ذلك، قال ﷺ: **(يَنْزل عيسى عليه السلام، فيقول أميرهم: تعال صَلِّ لنا، فيقول: لا، إنَّ بعضكم على بعض أُمَراء، تَكْرِمة الله هذه الأُمَّة)**[3]، وقال أيضاً: **(قال عيسى عليه السلام: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج[4]،فإذا نَظَر إليه الدجال ذاب كما يَذُوب الملح في الماء، وينطلق هارباً، ... فَيُدْركه عند باب لِدْ الشرقي فيقتله، فَيَهزم الله اليهود)**[5]، ومِنْ هنا تَظْهر خَيْرِيَّة أُمَّة محمد ﷺ بإتباع عيسى عليه السلام، ودناءة اليهود بإتباع الدجال .

رابعاً: خروج يأجوج ومأجوج وهَلَكتهم .

قال رسول الله ﷺ: **(يَبْعث الله يأجوج ومأجوج، وهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَب يَنْسلون، فَيَمُر أوائلهم على بُحَيْرة طَبَرية فَيَشربون ما فيها، ويَمُر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه**

---

(١) **نِقابهما:** بكسر النون، أي: طُرُقهما وفِجَاجهما، وهو جمع نقب: أي الطريق بين جبلين . (المصدر السابق ٧١/١٨ بتصرف يسير) .

(٢) صحيح البخاري ٦٦٥/٢ – كتاب الحج – باب لا يدخل الدجال المدينة – حديث رقم ١٧٨٢ .

(٣) صحيح مسلم ١٣٧/١ – كتاب الإيمان – ٧١ باب نزول عيسى بن مريم عليه السلام حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ – حديث رقم ١٥٦ .

(٤) **ساج:** هو الطَّيْلسان الأخضر، وقيل: هو الطيلسان المُقور . (النهاية – أبو السعادات الجزري – ٤٣٢/٢) .

(٥) سنن ابن ماجه ١٣٦١/٢ – كتاب الفتن – باب فتنة الدجال – حديث رقم ٤٠٧٧، وصححه الألباني رحمه الله في: صحيح الجامع الصغير وزياداته – المكتب الإسلامي – ١٣٠١/٢،١٣٠٢ .

مَـرَّة مـاء، ويُحْصـر نـبـي الـلـه عيسـى عليه السلام وأصـحابـه، حتـى يكـون رأس الثـور لأحـدهم خيـراً مِنْ مائة دينـار لأحدكم اليوم، فَيَرْغب نـبـي الله عيسى عليه السلام وأصحابـه، فَيُرْسِل الله عليهم النَّغَفَ[1] في رقابـهم، فَيُصْبـحون فرسى كَمَوْت نَفْسٍ واحدة)[2] .

فهلاك يأجوج ومأجوج يأتي يومئذٍ ببركة دعاء عيسى عليه السلام عليهم[3]، لِيَتِم التَّخَلُّص مِنْهم والاستراحة مِنْ شَرِّهم إلى الأبد .

وهذا يَخْتلف عن ما صَنَعه ذو القرنين[4] بيـأجوج ومـأجوج فـي الأيـام الغـابرة[5]، فإنَّ التَّخلص مِنْهم آنذاك كان مؤقتاً وليس أَبَدياً، لذلك فَهُم يَظْهرون مَرَّة أخرى في آخر الزمان، ويفسدون في الأرض، فَـيُهْلكهم الله جميعـاً ببركـة دعـاء نبـي الله عيسـى عليه السلام علـيهم، فالفارق واضح بين هذه وتلك في هذه المسألة، وهو الشَّاهِد في الحديث الشريف .

خامساً: عدم قِيام الساعة على أُمَّة محمد ﷺ .

قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة إلَّا على شِرَار النـاس)**[6]، بمعنى: أنَّه لا تقوم السـاعة إلَّـا علـى شِـرَار النـاس، الـذين لا يعرفـون معروفـاً، ولا يُنْكـرون مُنْكـراً، يتهارجون كتهارج البهائم[7] .

" وذلك إنما يقع بعد طلوع الشمس مِنْ مغربها وخروج الدابة وسائر الآيات العظام "[8] .

---

(١) **النَّغَف:** بفتحتين وغين معجمة، أي الدُّود الذي يكون فـي أنـوف الإبـل والغـنم، والواحـدة نغفـة بفتحتين أيضاً . (مختار الصحاح- محمد الرازي - ٢٧٩/١) .

(٢) صحيح مسلم ٢٢٥٤/٤ - كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب ذكر الـدجال وصـفته ومـا معـه - حديث رقم ٢٩٣٧ .

(٣) **انظر:** شرح العقيدة الطحاوية - ابن أبي العز الحنفي - ٥٦٥/١ .

(٤) **ذو القرنين:** هو الإسكندر المَلِك، وهو يوناني، وقيل: رومي، وكان رَجُلاً صالحاً، وقيل: كان نَبِياًّ ... والصحيح أنَّه مَلِك بكسر اللام . (التسهيل لعلوم التنزيل - محمد الغرناطي - ١٩٤/٢) .

(٥) **انظر:** تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ١٠٥/٣ .

(٦) صحيح مسلم ٢٢٦٨/٤ - كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب قرب الساعة - حديث رقم ٢٩٤٩ .

(٧) **انظر:** غريب الحديث - القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد - ت: د. محمد عبد المعيد خـان - ط ١- دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩٦هـ - ٧٧/٤ .

(٨) فيض القدير - عبد الرؤوف المناوي - ٤١٧/٦ .

المطلب الثاني

خصائص أُمَّة محمد ﷺ مِنَ البعث إلى نهاية مرحلة الحوض[١]

يحوي اليوم الآخر على العديد مِنَ مَواطن الكرامات والتشريفات لرسول الله محمد ﷺ وأُمَّته، مِنَّةٌ وفَضلٌ مِنَ الله ﷻ، وذلك بِدَلالة النصوص الشرعية جُمْلةً وتفصيلاً .

ومِمَّا يلفت الانتباه: عَرْض هذا المَوْضوع بعد مَوْضوع الشفاعة، وذلك كما صَنَعَ البخاري ﷺ في صحيحه، فإنَّه وبعبارةٍ أَدَق قد أَوْرَدَ أحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة، وبعد نَصْب الصِّراط؛ إشارةً مِنْه إلى أنَّ الوُرود على الحوض يكون بعد نَصْب الصراط والمرور عليه، وبعد نصب الميزان، مستدِلاًّ على ذلك بِعِدَّة أدِلَّة شرعية[٢] .

فالصراط هو جِسْر فوق جَهَنَّم، وهو بين المَوْقف والجنة، يَمُرُّ عليه المؤمنون لِدُخول الجنة، ويتساقط الكافرون مِنْه على النار، فلو كان الحوض دونه لَحَالت النار بينه وبين الماء الذي يُصَب مِنَ الكوثر[٣]نهر الجنة في الحوض، وهذا يعني أنَّ الحوض بجانب الجنة[٤] .

قال القاضي عياض ﷺ: إنَّ الشرب مِنَ الحوض يقع بعد الحساب والنَّجاة مِنَ النار؛ لأنَّ ظاهر حال مَنْ لا يَظْمأ أنْ لا يُعَذَّب بالنار[٥]

و" مِمَّا يَجِب على كُلِّ مُكَلَّف أنْ يَعْلمه ويُصَدِّق به أنَّ الله ﷻ قد خَصَّ نَبِيَّه محمداً ﷺ بالحوض المُصَرَح باسمه وصفته وشَرَابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة، التي يَحْصل بمجموعها العِلْم القطعي ... وأَجْمَع على إثباته السَّلَف، وأَهْل السُّنَّة مِنَ الخَلَف "[٦] .

" فالإيمان به فَرْض، والتَّصْديق به مِنَ الإيمان، وهو على ظاهره عند أَهْل السُّنَّة والجماعة لا يُتَأوَّل ولا يُخْتلف فيه، وحديثه مُتَواتر النَّقْل "[٧] .

---

(١) **الحوض** في اللغة: هو مجمع الماء، وجمعه حياض وأحواض . انظر: (فتح الباري – ابن حجر – ٤٦٦/١١) .

(٢) **انظر:** فتح الباري – ابن حجر – ٤٦٦/١١ .

(٣) الكوثر: على وزن فوعل، من الكثرة، سُمِيَ بها النهر لكثرة مائه وآنيته، وعِظَم قَدْره وخيره . (فتح الباري – ابن حجر – ٧٣١/٨) .

(٤) **انظر:** المصدر السابق ٤٦٦/١١ .

(٥) **انظر:** المصدر السابق .

(٦) فتح الباري – ابن حجر – ٤٦٧/١١ .

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم ٥٣/١٥ .

أوّلاً: هيئة أُمَّة محمد ﷺ يوم البعث .

تَمَيُّز أُمَّة محمد ﷺ بِعَلَامة ظاهرة تُعْرف منْ خِلالها، قال ﷺ: **(تَرِدُ عليَّ أُمَّتي الحوض، وأنا أذود الناس عنه كما يَذُود الرَّجُل إبِل الرَّجُل عن إبِله، قالوا: يا نبي الله: أَتَعْرفنا؟ قال: نعم، لَكُم سِيما ليست لأحد غيركم، تَرِدون عليَّ غُراً مُحَجَّلين مِنْ آثار الوُضوء)**[1] .

في الحديث إشارة مِنْه ﷺ إلى أنَّ أُمَّته تتميَّز بِصِفة ظاهرة مُشَاهدة تُعْرف مِنْ خِلالها، وهذه الصِّفة ليست موجودة في الأُمَمْ الأُخرى .

قال أَهْل اللُّغة: " الغُرَّة بياض في جَبْهة الفَرَس، والتَّحْجيل بياض في يديها ورجليها، قال العلماء: سُمِيَّ النُّور الذي يكون على مَوَاضع الوُضوء يوم القيامة غُرةً وتَحْجيلاً، تشبيهاً بِغُرَّة الفَرَس "[2] .

لفظة **(سِيما)** الواردة في الحديث الشريف، هي بمعنى: " العلامة، وهي مَقْصورة وممدودة لُغَتان ... وقد اسْتَدَلَّ جَمَاعة مِنْ أَهْل العِلْم بهذا الحديث، على أنَّ الوضوء مِنْ خصائص هذه الأُمَّة، زادها الله ﷻ شَرَفاً "[3]، آمين .

إذن فإنَّ مَوَاضع الوضوء لدى أُمَّة محمد ﷺ تكون يوم القيامة علامة ظاهرة تُعْرف الأُمَّة مِنْ خِلالها، وتُمَيَّزُ بها عن غيرها مِنَ الأُمَمْ .

ثانياً: كثرة أُمَّة محمد ﷺ .

قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ لِكُل نَبيٍّ حوضاً، وإنَّهم يتباهون أَيُّهم أكثر وارِدَة، وإني أَرْجو الله أنْ أكون أكثرهم واردة)**[4] .

في ضوء الحديث الشريف تَبْرز خصائص أُمَّة محمد ﷺ في نقطتين، هُما:

١ـ الواردون على حوض نبيٍّ أُمَّة محمد ﷺ أكثر مِنَ الواردين على أحواض أنبياء الأُمَمْ الأخرى عليهم السلام؛ وذلك لِكثرة المؤمنين برسالة رسول الله محمد ﷺ ، وقِلَّة المؤمنين برسالة الأنبياء الآخرين عليهم السلام .

وقد وَرَد العديد مِنَ الأَدِلَّة الشرعية التي تؤكد على ما جاء في الحديث الشريف،

---

(١) صحيح مسلم ٢١٧/١ – كتاب الطهارة – باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء – حديث رقم ٢٤٧ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣٥/٣ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) سنن الترمذي ٦٢٨/٤ – كتاب صفة القيامة – باب ما جاء في صفة الحوض – حديث رقم ٢٤٤٣، وصححه الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١١٧/٤ .

وتُثْبت صِحَّة ما ورَد فيه، وذلك كقوله ﷺ: **(أنا أكثر الأنبياء تَبَعاً يوم القيامة)**[١] .

وقد خصَّ نبيُّنا محمد ﷺ **يوم القيامة** بأكثرية الأتباع كما في الحديث السابق؛ لِكَوْن ذلك اليوم هو يوم الظهور بالجَمْع وبالجُمْلة[٢] .

وقال ﷺ أيضاً: **(ما مِنَ الأَنْبِياءِ نَبِيٌّ إلاّ أُعْطِيَ مِنَ الآياتِ ما مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وإنَّما كانَ الّذِي أُوتِيتُ وحْياً أَوْحاهُ اللهُ إليَّ، فأَرْجُو أنْ أكون أكْثَرُهُمْ تابِعاً يَوْمَ القِيامَةِ)**[٣] .

يُشير الحديث الشريف إلى أنَّ كُلُّ نبي منَ الأنبياء عليهم السلام قد أُوتِيَ مِنَ الآيات والمُعجزات ما كانت سبباً لإيمان منَ آمن منَ البشر، أمَّا ما أُوحِيَ إلى نبينا محمد ﷺ ألَا وهو مُعجزة القرآن، التي كانت سبباً في كثرة المؤمنين به ﷺ، والمُهْتَدين لِدينه، الذين فاقوا بِعَددهم أتباع الأنبياء السابقين عليهم السلام .

" مُعْجزة القرآن تُشاهد بالبصيرة، فيكون مَنْ يتبعه ﷺ لِأَجْلها أكثر؛ لأنَّ الذي يُشَاهد بِعَين الرأس يَنْقرض بانقراض مُشَاهِده، والذي يُشَاهَد بِعَيْن العقل باقٍ، يُشَاهِده كُلُّ مَنْ جاء بَعْد الأَوَّل مُسْتمراً "[٤] .

قوله ﷺ: **(فأَرْجُو أنْ أكون أكْثَرُهُمْ تابِعاً يَوْمَ القِيامَةِ)**، " رَتَّب هذا الكلام على ما تَقَدَّم مِنْ مُعْجزة القرآن المُسْتمرة؛ لِكَثْرة فائدته وعموم نفعه؛ لاشتماله على الدَّعْوة والحُجَّة والإخبار بِمَا سيكون، فَعَمَّ نَفْعه مَنْ حَضَر ومَنْ غاب، ومَنْ وُجِد ومَنْ سيوجد، فَحَسُن ترتيب الرَّجوى المَذْكورة على ذلك، وهذه الرَّجوى قد تحققت، فإنَّه ﷺ أكثر الأنبياء عليهم السلام تَبَعاً "[٥] .

٢ـ أنَّ حوضه ﷺ تَصُبُّ فيه أنهار الجنة: قال ﷺ في وَصْف الحوض: **(يَشْخب[٦] فيه مِيزابان مِنَ الجنة)**[٧] .

---

(١) صحيح مسلم ١٨٨/١ – كتاب الإيمان – باب في قول النبي ﷺ: **(أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا)** – حديث رقم ١٩٦ .

(٢) **انظر:** فيض القدير – عبد الرؤوف المناوي – ٣٩/٣ .

(٣) صحيح البخاري ١٩٠٥/٤ – كتاب فضائل القرآن – باب كيف نزول الوحي – حديث رقم ٤٦٩٦، صحيح مسلم ١٣٤/١ – كتاب الإيمان – باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته – حديث رقم ١٥٢ .

(٤) فتح الباري – ابن حجر – ٧/٩ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) **يشخب:** يسيل . **انظر:** (النهاية في غريب الأثر – أبو السعادات الجزري – ٤٥٠/٢) .

(٧) صحيح مسلم ١٧٩٨/٤ – كتاب الفضائل – باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ – حديث رقم ٢٣٠٠ .

" فالمُخْتص بنبينا محمد ﷺ الكوثر، الذي يَصُب مِنْ مائه في حوضه ﷺ؛ فإنَّه لَـمْ يُنْقَـل نظيره لغيره "[1] .

وقد ذُكِرَ الكَوْثر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ (الكوثر ١)، وقد جاء تفسير الآية بقوله ﷺ لأصحابه ﵃: **(أَتَدْرون ما الكوثر؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: إنَّـه نَهْر وعدنيـه ربـي ﷻ، عليـه خيـر كثيـر، هـو حـوض تَـرِدُ عليـه أُمَّتـي يـوم القيامـة، آنيته عدد النجوم)**[2] .

فَلَمْ يَرِدْ دليل شرعي يُشير إلى أنَّ ثَمَّة نبي مِنَ الأنبياء ﵈ يشترك مع نبينا محمد ﷺ في هذه المِيزة، بل إنَّ الأدِلَّة الشرعية تُثْبت تَمَيُّزه ﷺ عن الأنبياء الآخرين ﵈ في أنَّ حوضه تَصُبُّ فيه أنهار الجنة .

ثالثاً: أُمَّة محمد ﷺ أوَّل منْ يُقْضى لها، وأَوَّل الأُمَمْ إجازة على الصِّراط .

إنَّ رسول الله محمد ﷺ هو أول نبي يُقْضى بين أُمَّته، وأَوَّلهم إجازة على الصِّراط بأُمَّتـه يـوم القيامـة[3]، وذلـك لقولـه ﷺ: **(نحن الآخرون السابقون يوم القيامة)**[4]، أي أنَّ أُمَّة محمد ﷺ هي آخر الأُمَمْ زمانـاً فـي الحيـاة الـدنيا، والأولـى منزلـةً ومكانـةً في الدنيا والآخرة[5] .

---

(١) فتح الباري – ابن حجر – ٤٦٧/١١ .

(٢) صحيح مسلم ٣٠٠/١ – كتاب الصلاة – باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة – حديث رقم ٤٠٠ .

(٣) **انظر:** تفسير القرآن العظيم – ابن كثير – ٥٦/٣، معارج القبول – حافظ بن أحمد حكمي – ١١٢٢/٣ .

(٤) صحيح البخاري ٢٩٩/١ – كتاب الجمعة – باب فرض الجمعة – حديث رقم ٨٣٦، صحيح مسلم ٥٨٦/٢ – كتاب الجمعة – باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة – حديث رقم ٨٥٥ .

(٥) **انظر:** مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦٢/١١ .

المطلب الثالث

خصائص أُمَّة محمد ﷺ مِنْ نهاية مرحلة الحوض، إلى آخر مرحلة مِنَ اليوم الآخر

إنَّ الجنة والنار هُما آخر وأهم مرحلة في اليوم الآخر، وعليهما مَدار هذا الموضوع .

وكما لاحظنا سابقاً فَضْل أُمَّة محمد ﷺ على باقي الأُمَمْ، فإنَّه سَيَظْهر لنا ما لأُمَّة محمد ﷺ مِنْ مكانة عظيمة عند الله ﷻ، بِما خَصَّها مِنْ كرامات ليست لِأُمَّة أُخرى .

أَوَّلاً: أكثر أَهْل الجنة هُمْ مِنْ أُمَّة محمد ﷺ .

قال رسول الله ﷺ لأصحابه ﭫ: **(أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تكونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّة؟** فَكَبَّرنا _ أي الصحابة ﭫ _، ثُمَّ قال: **أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّة؟** فَكَبَّرنا، ثُمَّ قال: **إنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْر أَهْلِ الجَنَّة، وسَأُخْبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكُفَّار إلَّا كَشَعْرة بيضاء في ثَوْر أَسْوَدْ، أو كَشَعرة سَوْداء في ثَوْر أَبْيَض)**[1] .

ذَكَر رسول الله محمد ﷺ هذا الحديث بِلَفْظ الاستفهام؛ " لإرادة تقرير البشارة بذلك، وذَكَره بالتَّدَرُّج ليكون أعظم لسرورهم ... وفي ذلك كُلِّه دلالة على أَنَّهم استَبْشروا بِمَا بَشَّرهم به، فحمدوا الله على نعمته العُظْمى، وكَبَّروه استعظاماً لنعمته، بعد استعظامهم لِنَقْمته "[2] .

ومِمَّا يُعَظِّم البُشْرى قوله ﷺ في حديث آخر: **(أَهْل الجنة عشرون ومائة صَفْ، هذه الأُمَّة مِنْها ثمانون صَفاًّ)**[3] .

" فهذا دليل على أَنَّهم _ أي أُمَّة محمد ﷺ _ يكونون ثُلُثي أَهْل الجنة، فيكون نبينا ﷺ أَخْبر أَوَّلاً بحديث النِّصْف، ثُمَّ تَفَضَّل الله ﷻ بالزِّيادة فَأَعْلمه بحديث الصُّفوف فَأَخبر به نبينا ﷺ

---

(١) صحيح البخاري ٢٣٩٢/٥ – كتاب الرقاق – باب كيف الحشر – حديث رقم ٦١٦٣، صحيح مسلم ٢٠٠/١ – كتاب الإيمان – باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة – حديث رقم ٢٢١ .

(٢) فتح الباري – ابن حجر – ٣٨٧/١١، **وانظر:** شرح النووي على صحيح مسلم ٩٥/٣ .

(٣) المستدرك على الصحيحين ١٥٥/١ – الحاكم النيسابوري – كتاب الإيمان – حديث رقم ٢٧٣، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وصححه الهيثمي ﭬ، **انظر:** مجمع الزوائد ٤٠٣/١٠ .

بعد ذلك، ولهذا نظائر كثيرة في الحديث مَعْروفة "[1]، فلا تعارض بين هذا وذاك .

ثانياً: أَوّل الأُمَمْ دُخُولاً للجنة هي أُمَّة محمد ﷺ .

رسول الله محمد ﷺ وأُمَّته أَوَّل منْ يدْخلون الجنة[2]، والدليل: قوله ﷺ: **(آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: مَنْ أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمِرْتُ، لا أفتح لأَحد قَبْلك)**[3]، وقوله ﷺ: **(نحن الآخرون السابقون يوم القيامة)**[4]، أي أنَّ أُمَّة محمد ﷺ هي آخر الأُمَمْ زماناً في الحياة الدنيا، والأولى منزلةً ومكانةً في الدنيا والآخرة[5] .

ثالثاً: دُخُول فقراء أُمَّة محمد ﷺ الجنة قَبْل أغنيائها .

فقراء أُمَّة محمد ﷺ يَدْخلون الجنة قَبْل الأغنياء، والدليل: قوله ﷺ: **(يَدْخل فقراء أُمَّتي الجنة قَبْلَ أغنيائهم بأربعين خريفا)**[6] .

" إنَّ الفقراء يَسْبقون الأغنياء إلى الجنة؛ لِخِفَّة الحِساب عليهم، ثُمَّ الأغنياء يُحاسبون، فَمَنْ كانت حسناته أَرْجح مِنْ حَسَنات الفقير، كانت درجته في الجنة أعلى، وإنْ تَأَخَّر عنه في الدُّخول، ومَنْ كانت حسناته دون حسنات الآخر، كانت درجته دونه "[7] .

---

(١) تحفة الأحوذي – محمد المباركفوري – ١٠/٩ .

(٢) **انظر:** مجموع فتاوى ابن تيمية ٥٢٨/١٦، لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد – أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي – ت: بدر بن عبد الله البدر – ط ١ – الدار السلفية – الكويت – ١٤٠٦ هـ – ٢٩/١، معارج القبول – حافظ بن أحمد حكمي – ١١٢٢/٣ .

(٣) صحيح مسلم ١٨٨/١ – كتاب الإيمان – باب في قول النبي ﷺ: **(أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعا)** – حديث رقم ١٩٧ .

(٤) صحيح البخاري ٢٩٩/١ – كتاب الجمعة – باب فرض الجمعة – حديث رقم ٨٣٦، صحيح مسلم ٥٨٦/٢ – كتاب الجمعة – باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة – حديث رقم ٨٥٥ . .

(٥) **انظر:** مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦٢/١١ .

(٦) المعجم الكبير ٣١٥/١٢ – سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني – ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي – ط ٢ – مكتبة الزهراء – الموصل – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م – حديث رقم ١٣٢٢٣ سالم عن ابن عمر، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب – ط ٥ – مكتبة المعارف – الرياض – ١٣١/٣ .

(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢١/١١ بتصرف يسير .

رابعاً: اصطفاء أعداد كبيرة منَ أُمَّة محمد ﷺ لدُخول الجنة بغير حِساب .

قال رسول الله ﷺ: (**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجعَلَ يَمُرُّ النبيُّ ومعَهُ الرَّجُلُ، والنبي ومعَهُ الرَّجُلانِ، والنبيُّ ومَعَهُ الرَّهْطُ، والنبيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، ورأَيْتُ سَواداً كَثيراً سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ أُمَّتي، فَقيلَ: هذَا مُوسى ﷺ وقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَواداً كَثيراً سَدَّ الأُفُقَ، فَقيلَ لِي: انْظُرْ هكَذَا وهكَذَا، فرَأَيْتُ سَواداً كَثيراً سَدَّ الأُفُقَ، فقيلَ: هؤُلاءِ أُمَّتُكَ، ومعَ هؤلاءِ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُون الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسابٍ** _ وزاد مُسلم في رِوايته _: **ولا عذاب**، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ ولمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ، فَتَذاكَرَ أَصْحابُ النبيِّ ﷺ، فقالوا: أَمَّا نحْنُ فَوُلِدْنا في الشِّرْكِ، ولكِنَّا آمَنَّا بالله ورَسُولِهِ، ولكِنْ هؤُلاءِ هُمْ أَبْناؤُنا، فَبَلَغَ النبيَّ ﷺ، فقال: **هُمُ الذِينَ لا يَتَطَيَّرُونَ[1] ولا يَسْتَرْقُونَ[2] ولا يَكْتَوُونَ[3] وعلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكلُون**)[4] .

" هذا مِنْ خصائصه ﷺ، ولمْ يَثْبت ذلك لغيره مِنَ الأنبياء عليهم السلام "[5] .

أمَّا قوله ﷺ: (**سَبْعُونَ أَلْفاً**)، يُحْتمل أنْ يكون المراد به خصوص العدد، ويُحْتمل أنْ يُراد به التكثير لا خصوص العدد[6] .

ومِمَّا يُؤيد الرأي الثاني قوله ﷺ: (**إنَّ ربي وَعَدني أنْ يدخل مِنْ أُمَّتي الجنة سبعين ألفاً بغير حِساب، ثُمَّ يتبع كُل ألف بسبعين ألفاً، ثُمَّ يحثي بِكَفِّه ثلاث حثيات**)[7] .

وقد جعَل رسول الله محمد ﷺ الوصف الذي استحق به هؤلاء دُخولهم الجنة بغير حِساب ولا عذاب تحقيق التوحيد وتجريده، فلا يَسألون غيرهم أنْ يرقيهم، ولا يَتَطيَّرون؛ لأنَّ الطِّيَرة نوع مِنْ الشرك، وعلى ربِّهم يتوكلون، قَدَّم الظرف ليفيد الاختصاص، أي عليه لا على غيره، وهذه درجة الخواص[8] .

---

(١) **يَتَطيَّرون:** يتشاءمون بشئ . (فتح الباري – ابن حجر – ٤١٠/١١) .

(٢) **الرُّقْية:** هي العوذة التي يُرْقى بها صاحب الآفة . (تحفة الأحوذي – المباركفوري – ١٧٩/٦) .

(٣) **لا يكتوون:** لا يسألون غيرهم أن يكويهم . (تيسير العزيز الحميد – سليمان بن عبد الوهاب – ٨٥/١) .

(٤) صحيح البخاري ٢١٧٠/٥ – كتاب الطب – باب من لم يرق – حديث رقم ٥٤٢٠، صحيح مسلم ١٩٩/١ – كتاب الإيمان – باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولاعذاب – حديث رقم ٢٢٠ .

(٥) فيض القدير – عبد الرؤوف المناوي – ٥٦٨/١ .

(٦) **انظر:** المصدر السابق ٩٢/٤ .

(٧) صحيح ابن حبان ٢٣٢/١٦ – كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الأمة – باب فضل الأمة – حديث رقم ٧٢٤٧، وصححه الألباني رحمه الله في: صحيح الترغيب والترهيب ٢٣٢/٣ .

(٨) **انظر:** فيض القدير – عبد الرؤوف المناوي – ٩٢/٤ .

" ولَعَلَّ هذه الطائفة هُمْ أَهْل مَقام التَّفويض، الــذين غَلَــب علــيهم حــال الخليــل ، حين قال له جبريل وهــو فـــي المَنْجنيــق: ألــك حاجــة؟ قــال: أمــا إليــك فــلا "[1]، فالله خير الحافظين .

" فَلِكَمال تَوَكُّلِهم على رَبِّهم وسكونهم إليه وثقتهم به ورِضاهم عنه وإنزال حوائجهم به، لا يسألون الناس شيئاً، لا رُقْيَة ولا غيرها، ولا يَحْصل لهم طِيَــرة تَصُــدُّهم عمَّــا يقصــدونه؛ فإنَّ الطِّيَرة تُنْقص التوحيد وتُضْعفه "[2] .

والرُّقْيا بآيات القرآن وبالأذكار المعروفــة، والتَّــداوي بالأدويــة والأطعمــة النافعــة، لا نهى فيهما بل هُما سُنَّة عن رسول الله محمد ﷺ، وقد يَتَــوهَّم الــبعض أنَّ ذلــك يُعــارض ما تَضَمَّنه الحديث مِنْ مدحٍ لِمَنْ تَرَك الإسترقاء مع كونه جائز شرعاً، ولكن في الحقيقة لا يوجد تعارض على الإطلاق، فإنَّ ثَمَّة فارق بين الرَّاقي والمُسْــترقي، فــالرَّاقي مُتَصَــدِّق مُحْســن، والمُسْترقي سائل، والنبي ﷺ رَقَى ولمْ يَسْترق، والمدح في الحديث هو لمــن تــرك الاســترقاء مع كونه جائز شرعاً، وليس لمَــنْ لــمْ يرْقِــي غيــره أو نَفْســه، هــذا هــو وَجْــه الجَمْــع والتوفيق بين المسألتين[3] .

---

(1) فيض القدير – عبد الرؤوف المناوي – 4/78 .

(2) زاد المعاد – ابن القيم – 1/496 .

(3) **انظر:** المصدر السابق 1/496، شرح النووي على صحيح مسلم 3/90، 14/168 .

الخاتمة

أولاً: أهم النَّتائج التي تَوَصَّلتُ إليها مِنْ خِلال هذا البحث، وهي كالتالي:

١) شَمِلَتْ بِعْثَة رسول الله محمد ﷺ كافَّة الإنْس والجِنْ على السَّوَاء، مُنْذُ بِعْثته ﷺ وكُلْ مَنْ جاء بَعْده حتى قِيَام السَّاعة .

٢) كَتَب الله ﷻ لهذا الدِّين أنْ ينتشر في جميع أقطار الأرض، وصولاً إلى كلِّ سُكَّانها، وأنْ يكون ظاهراً مُهَيْمناً على كلِّ المِلَلْ، رغم كثرة الخصوم والأعداء، الذين يضعون الخُطَطْ والعقبات والمكائد؛ لإيقاف امْتِداده وتوسعه المُتَواصِل والمُتَعاظِم، فمِنْ سُنَّة الله ﷻ، أنَّه إذا أراد إظهار دِينه، أقام مَنْ يُعارضه، فَيُحِق الحَقَّ بكلماته، ويَقْذِف بالحق على الباطل فَيَدْمغه، فإذا هو زاهِق .

٣) إنَّ انتشار الدِّين الإسلامي، واعتناقه مِنْ قِبَل العديد مِنَ الناس والشُّعُوب، إنَّما كان على أساس الحُرِيَّة المُطْلَقة في الإرادة والاختيار، لدى مَنْ تَبِع هذا الدِّين واعتنقه، باقتناع كامل ودون إكراه .

٤) أَرْسَل الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافَّة، ونَسَخَ بشريعته سائر الشرائع، وجعل كتابه الكريم، مُهَيْمِناً على سائر الكتب السماوية، فالواجب على جميع أَهْل الأرض، مِنَ الجن والإنس، سواء كانوا مِنَ اليهود أو النَّصارى أو غيرهم، مِنْ سائر أَجْناس بني آدم، ومِنْ سائر أجناس الجن، أنْ يدخلوا في دِين الله، الذي بُعِثَ به خاتم الرُّسُل إلى الناس عامَّة، وأنْ يلتزموا به ويستقيموا عليه؛ لأَنَّه هو دين الإسلام، الذي لا يَقْبَل الله مِنْ أَحَدٍ دِيناً سِوَاه .

٥) أخذ الله ﷻ العهد على جميع الأنبياء عليهم السلام، لَئِنْ أدركوا محمداً ﷺ، ليؤمنن به ولينصرنَّه وليتبعنَّه، وأَخَذ عليهم العَهْد بذلك، وقد أَخْبر الرُّسل أُمَمَهم بذلك، فلمْ يَبْق مجال في هذا الوقت ولا غيره، لِدَعْوة الجاهِلِيَّة بِعُنوان مُجَوَّف: (وحْدة الأَدْيان) .

٦) إنَّ كِتاب الله ﷻ: (القرآن الكريم)، هو آخر كُتُب الله نُزولاً وعهداً بِرَبِّ العالمين، وأنَّه ناسخ لِكُلِّ كِتاب أُنْزل مِنْ قَبْل، مِنَ التَّوْراة والزَّبور والإنجيل وغيرها، ومُهَيْمن عليها، فلمْ يَبْقَ كتاب مُنْزل يُتَعبد الله به سوى القرآن الكريم .

٧) اليهود يحسدون أُمَّة محمد ﷺ ؛ لِمَا لها مِنَ الكرامات والفضائل .

٨) تلازم خَيْرِيَّة أُمَّة محمد ﷺ مع الأمر بالمعروف والنهي عَنْ المُنْكَر .

٩) تَفْريط بني إسرائيل في شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عنْ المنكر، وتَخَلِّيهم عنْها .

١٠) تَمَيُّز أُمَّة محمد ﷺ في رواياتها بالسَّنَد، وتَخَلُّف الأُمَمْ الأُخْرى في هذا المجال وجَهْلِهم به .
١١) عِصْمة أُمَّة محمد ﷺ مِنَ الإجماع على ضلالة .
١٢) عِصْمة أُمَّة محمد ﷺ مِنْ سِنَة عامة تأخذها، أو إبادة عامة على يد أعدائها .
١٣) رَفْع الخطأ والنسيان عن أُمَّة محمد ﷺ .
١٤) رَفْع الحَرَج عن أُمَّة محمد ﷺ فيما يتعلق بالإكراه، وحديث النَّفْس .
١٥) أُمَّة محمد ﷺ ناصِرة لِنَبِيِّها، وبني إسرائيل يَخْذلون أنبياءهم عليهم السلام، بل يُعَادوهم .
١٦) مُعْظم أَهْل الجنة هُمْ مِنْ أُمَّة محمد ﷺ ، وأَقَلُّ أَهْل النار عدداً هُمْ مِنْ أُمَّة محمد ﷺ .

_ ثانياً: في خِتَام هذا البحث أُوْصِي بِمَا يلي:

١) التركيز على إبراز كرامات وفضائل أُمَّة محمد ﷺ في الدنيا والآخرة؛ فهذا أَمْر ضروري وهام لِدعوة غير المسلمين لاعتناق الدِّين الإسلامي، والالتزام به .
٢) معرفة نِقَاط قوتنا كأُمَّة إسلامية، ومِنْ ثَمَّ تعزيز هذه النِّقَاط والتَّمَسُّك بها .
٣) تَجَنُّب كافَّة الأخطاء والتجاوزات التي وَقَعت فيها الأُمَمْ السابقة، والبُعْد عن كُلْ ما يَضُر بهذه الأُمَّة في الدنيا والآخرة .

الطالب/ نايف هشام أبو شمالة

بحمد الله تعالى

المُلَخَّص

إنَّ خُلاصة هذا البحث تَتَرَكَّز على جَمْع خصائص أُمَّة محمد ﷺ عقائدياً، وتسليط الضوء عليها شرحاً وتحليلاً، بِمَا يُفِيد تَمَيُّز أُمَّة محمد ﷺ بِخَصائصها عن الأُمَمْ الأُخْرى .

فإنَّ رِسالة أُمَّة محمد ﷺ هي الخاتمة الناسخة للرسالات السماوية السابقة، وهي الرسالة العامة الشاملة للثقلين، مُنْذ أنْ بُعِث بها رسول الله محمد ﷺ إلى قِيام الساعة، وهذا يُعَد مِنْ أَبْرز ما اخْتَصَّت به أُمَّة محمد ﷺ .

كما أَنَّها تَمَيَّزت أيضاً بأنَّها اهتدت بِتَوفيقٍ مِنَ الله ﷻ إلى العديد مِنَ الفضائل التي ضَلَّت عنها الأُمَمْ السابقة، كَهِدايتها إلى فَضِيلة بعض الأيام والأزمنة والأماكن المِخصوصة؛ للتَّعَرُّض فيها لِنَفحات الله المُباركة .

وقد امتدت هذه الهِداية لِتَشمل العديد مِنَ العُلوم النافعة والمُفيدة والحَضْرِيَّة لدى أُمَّة محمد ﷺ، وقد انعكس ذلك بالفائدة العَظِيمة على البَشَرية كُلها .

أَضِفْ إلى ذلك، الصِّفات والنُّعُوت الجليلة التي اختصَّت بها أُمَّة محمد ﷺ، فهي الأُمَّة المعصومة المرحومة، التي عُصِمت ورُحِمت مِمَّا نَزَل بالأُمَمْ السابقة .

وإنَّ هذه الصِّفات الجليلة لدى أُمَّة محمد ﷺ تَحْمل دلالات واضحة على أنَّ هذه الأُمَّة قد تَبَوَّأتْ مكانة عَظِيمة عند الله ﷻ، لمْ تَصِل إليها أُمَّة مِنَ الأُمَمْ .

وإنَّ اختصاص أُمَّة محمد ﷺ بهذه الخصائص العظيمة لَيَدُلُّ صراحةً على أنَّها الأَجْدر لِنَيْل الخصائص والكرامات الكُبْرى في اليوم الآخر، وهذا ما سيَحْدُث بإذنه ﷻ، كما تَمَّ إثباته في هذا البحث .

هذه مُجْمل خصائص أُمَّة محمد ﷺ التي تَمَّتْ دِراستها في هذا البحث دِراسة عقائدية تحليلية مُفَصَّلة، لإثبات وسَطِيَّة أُمَّة محمد ﷺ، وخَيْرِيَّتها على الأُمَمْ السابقة .

بحمد الله تم

Abstract

This research focuses on collecting the characteristics of Mohammed's nation (peace be upon him) and their faith as well as focusing light on explaining and analyzing it , which distinguishes Mohammed's nation characteristics from other nations .

Mohammed's message (peace be upon him) is the final coping the other preceding heavenly messages which is a comprehensive and general one for both humans and fairies since he was reserected (peace be upon him) to many virtues which other nations neglected as the values of some days and times and holy places to get the blessings from Allah .

And this virtue extends to other useful sciences for the nation of Mohammed (peace be upon him) which reflects greatly on human kind in general .

In addition to that, the qualities and characteristics of Mohammed's nation as it is the protected and blessed nations of all the others.

These qualities for Mohammed's nations (peace be upon him) carries clear indications that this nation got great position from Allah the greatest which no other nation got.

Specifying Mohammed's nation with these characteristics indicates clearly that it the best to got such a promotion in the Domes Day as proved in this research.

These are a brief of Mohammed's nation characteristics which was presented in this analytic and faithly research to prove the moderaty of Mohammed's nation over the others.

فهرس الآيات القرآنية

السورة	(رقمها)	الآية	رقمها	الصفحة
		السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ﴾		
النمل	٢٧	﴿ ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين ﴾	٣١	٤
الذاريات	٥١	﴿ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾	٣٦	٤
النحل	١٦	﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله ﴾	٣٦	٤
الشعراء	٢٦	﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾	١٠٥	٥
الشعراء	٢٦	﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾	١٢٣	٥
الذاريات	٥١	﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾	٥٦	٥٠
الأعراف	٧	﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾	٣٨	٥١
ص	٣٨	﴿ لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴾	٨٥	٥١
هود	١١	﴿ وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾	١١٩	١١
الفتح	٤٨	﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ﴾	٢٨	٥٢
النور	٢٤	﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ﴾	٥٥	٥٥
آل عمران	٣	﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾	٦٤	٦٠
الأعراف	٧	﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً	١٥٧	٦٠

السورة	(رقمها)	الآية	رقمها	الصفحة
		عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ﴾		
المائدة	٥	﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾	٤٨	٦٢
آل عمران	٣	﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	٨٥	٦٢
آل عمران	٣	﴿ وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾	٩٧	٦٢
المائدة	٥	﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾	٣	١١
المائدة	٥	﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ ﴾	١٣	٦٧
البقرة	٢	﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾	٧٩	٦٧
المائدة	٥	﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ ﴾	٤٨	٦٧
الحجر	١٥	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	٩	٦٨
فصلت	٤١	﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	٤٢	٦٩
البقرة	٢	﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	١٤٢	٧٤
البقرة	٢	﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾	١٠٩	٧٧

السورة	(رقمها)	الآية	رقمها	الصفحة
النساء	٤	﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾	٥٤	٧٧
إبراهيم	١٤	﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ ﴾	٢٣	٧٩
الأعراف	٧	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾	١٦٧	٨٠
المائدة	٥	﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾	٤١	٨٠
المائدة	٥	﴿ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾	١٣	٨٠
النمل	٢٧	﴿ أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾	٥٦	٨١
البقرة	٢	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾	٤٧	٨٣
الجاثية	٤٥	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾	١٦	٨٣
المائدة	٥	﴿ وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾	٦٢	٨٤
المائدة	٥	﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾	٧٨	٨٤
الأعراف	٧	﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً ﴾	١٦٣	٨٤
الحجرات	٤٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً	٦	٨٧

السورة	(رقمها)	الآية	رقمها	الصفحة
		بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾		
النجم	٥٣	﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾	٤	٩٥
النساء	٤	﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾	١١٥	١٠٨
البقرة	٢	﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾	١٤٣	١١١
الأنفال	٨	﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾	٣٣	١١٢
الأنفال	٨	﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ﴾	٣٤	١١٢
الأنبياء	٢١	﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾	١٠٧	١١٣
البقرة	٢	﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾	٢٨٦	١١٧
البقرة	٢	﴿ لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾	٢٨٤	١١٧
النحل	١٦	﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾	١٠٦	١٢٠
الحشر	٥٩	﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ﴾	٨	١٢٥
الأنفال	٨	﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾	٧٢	١٢٥

السورة	(رقمها)	الآية	رقمها	الصفحة
الأنفال	٨	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾	٧٤	١٢٥
الحجرات	٤٩	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾	١٥	١٢٦
آل عمران	٣	﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ ﴾	٨١	٣٨
الفتح	٤٨	﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾	٢٩	١٢٧
المائدة	٥	﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾	٢٤	١٢٧
الأنفال	٨	﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	١٠	١٢٩
آل عمران	٣	﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	١٦٠	١٢٩
التوبة	٩	﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾	٤٠	١٢٩
محمد	٤٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾	٧	١٢٩
الحج	٢٢	﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	٤٠	١٣٠
الأنفال	٨	﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾	٦٠	١٣٠
التوبة	٩	﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا	٢٥	١٣١

السورة	(رقمها)	الآية	رقمها	الصفحة
		رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾		
النساء	٤	﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾	٥٩	١٣٥
آل عمران	٣	﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾	٥٣	١٣٧
يس	٣٦	﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾	٦٥	١٤٠
النجم	٥٣	﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً ﴾	٢٦	١٤١
الكوثر	١٠٨	﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾	١	١٥١

فهرس الأحاديث النَّبويَّة

فهرس المصادر والمراجع

- القــرآن الكــريــم .

١) أحكام القرآن – أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي – ت: محمد عبد القــادر عطــا – دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان .

٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنَّة – نُخْبَة مــن العلمــاء – ط ١ – وزارة الشــؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ١٤٢١هـ .

٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام – محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله – ت: د. أحمد حجازي الســقا – دار التــراث العربي – القاهرة – ١٣٩٨هـ .

٤) التقرير والتحرير في علم الأصول – ابن أمير الحاج – دار الفكر – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

٥) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد – سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب – مكتبة الرياض الحديثة – الرياض .

٦) أحكام القرآن – أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر – ت: محمد الصادق قمحاوي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٠٥هـ .

٧) أحكام القرآن للشافعي – محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله – ت: عبد الغني عبد الخالق – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٠ هـ .

٨) أحكام أهل الذمة – أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعــي الدمشقي – ت: يوسف أحمد البكري / شاكر توفيق العاروري – ط ١ – رمادى للنشــر – دار ابن حزم – الدمام – بيروت – ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م – .

٩) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – أبي السعود محمد بــن محمــد العمــادي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١٠) إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول – محمد بن علي بن محمد الشوكاني – محمد سعيد البدري أبو مصعب – ط ١ – دار الفكر – بيروت – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

١١) أصول الإيمان – الإمام محمد بن عبد الوهاب – ت: باســم فيصــل الجــوابرة – ط ٥ – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكــة العربيــة الســعودية – ١٤٢٠هـ .

١٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م – ت مكتب البحوث والدراسات.
١٣) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس – ت: محمد حامد الفقي – ط ٢ – مطبعة السنة المحمدية – القاهرة – ١٣٦٩هـ .
١٤) آكام المرجان في أحكام الجان – بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الشبلي الحنفي – ت: إبراهيم محمد الجمل – مكتبة القرآن – مصر – القاهرة .
١٥) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان – بكر بن عبد الله أبو زيد – ط ١– ١٤٢١هـ .
١٦) الأحاديث المختارة – أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي – ت: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش – ط ١ – مكتبة النهضة الحديثة – مكة المكرمة – ١٤١٠هـ .
١٧) الإحكام في أصول الأحكام – علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد – ط ١ – دار الحديث – القاهرة – ١٤٠٤ هـ .
١٨) الآداب الشرعية والمنح المرعية – الإمام أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي – ت: شعيب الأرنؤوط / عمر القيام – ط ٢ – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .
١٩) الإسلام أصوله ومبادئه – محمد بن عبد الله بن صالح السحيم – ط ١ – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية – ١٤٢١هـ .
٢٠) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام – محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله – ت: د. أحمد حجازي السقا – دار التراث العربي – القاهرة – ١٣٩٨هـ .
٢١) الباعث على إنكار البدع والحوادث – عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة – ت: عثمان أحمد عنبر – ط ١ – دار الهدى – القاهرة – ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .
٢٢) البداية والنهاية – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء – مكتبة المعارف – بيروت .
٢٣) البرهان في علوم القرآن – محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله – ت: محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعرفة – بيروت – ١٣٩١ هـ .
٢٤) البرهان في علوم القرآن – محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله – ت: محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعرفة – بيروت – ١٣٩١ هـ .

٢٥) التبيان شرح أركان الإيمان – د سعد عبد الله عاشـــور – مكتبـــة ومطبعـــة دار المنـــارة ١٤٢٧هـــ _ ٢٠٠٦م _ فلسطين – غزة .

٢٦) التسهيل لعلوم التنزيل – محمـــد بـــن أحمـــد بـــن محمـــد الغرنـــاطي الكلبـــي – ط ٤ – دار الكتاب العربي – لبنان – ١٤٠٣هـــ – ١٩٨٣م .

٢٧) التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح – سليمان بن خلف بـــن ســـعد أبو الوليد الباجي – ت: أبو لبابة حسين – ط ١ – دار اللواء للنشر والتوزيع – الريـــاض – ١٤٠٦هـــ – ١٩٨٦م .

٢٨) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبـــد البـــر النمري – ت: مصطفى بن أحمد العلوي/محمد عبد الكبير البكري – وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٣٨٧ هـــ .

٢٩) التنصير – عبد الرحمن بن عبد الله الصالح – ط ١ – دار الكتاب والسنة – ١٤٢٠هـــ – ١٩٩٩م .

٣٠) التوقيف على مهمات التعاريف – محمد عبد الرؤوف المناوي – ت: د. محمـــد رضـــوان – ط ١ – دار الفكر المعاصر – دار الفكر – بيروت / دمشق – ١٤١٠هـــ .

٣١) التيسير بشرح الجامع الصغير – الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي – ط ٣ – مكتبة الإمام الشافعي – الرياض – ١٤٠٨هـــ – ١٩٨٨م .

٣٢) الجامع الصحيح المختصر – محمد بـــن إســـماعيل أبـــو عبـــدالله البخـــاري الجعفـــي – دار ابـــن كثيـــر – اليمامـــة – بيـــروت – ١٤٠٧هـــــ – ١٩٨٧م – ط ٣ – ت: د. مصطفى ديب البُغا .

٣٣) الجامع الصحيح سنن الترمذي – محمد بن عيسى أبو عيســـى الترمـــذي الســـلمي – ت: أحمد محمد شاكر وآخرون – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣٤) الجامع الكبير – أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي – ت: د. بشار عواد معروف – ط ٢ – ١٩٩٨م – دار الجيل – بيروت / دار العرب الإسلامي – بيروت .

٣٥) الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – دار الشـــعب – القاهرة .

٣٦) الجرح والتعديل – عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي – ط ١ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٢٧١ هـــ – ١٩٥٢ م .

٣٧) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم – محمد بن فتوح الحميدي – ط ٢ – دار ابن حزم – لبنان/ بيروت – ١٤٢٣هـــ – ٢٠٠٢م – ت: د. علي حسين البواب .

٣٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح – أحمد عبد الحليم بن عبد الســـلام ابـــن تيميـــة –

علي سيد صبح المدني – مطبعة المدني – مصر .
٣٩) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى – سعيد بن علي بن وهف القحطاني – ط ١ – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية – ١٤٢٣هـ .
٤٠) الخصائص الكبرى – أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
٤١) الدر المنثور – عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي – دار الفكر – بيروت – ١٩٩٣م .
٤٢) الرسل والرسالات – د عمر سليمان الأشقر – ط ٤ – ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م – مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع / دار النفائس للنشر والتوزيع .
٤٣) السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات – محمد عبد السلام خضر الشقيري – ت: محمد خليل هراس – دار الفكر .
٤٤) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون – علي بن برهان الدين الحلبي – دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٠ هـ .
٤٥) الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح – إبراهيم بن موسى بن أيوب البرهان الأبناسي – ت: صلاح فتحي هلل – ط ١ – مكتبة الرشد – الرياض – السعودية – ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .
٤٦) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة – أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيثمي – ت: عبد الرحمن بن عبد الله التركي / كامل محمد الخراط – ط١ – دار النشر: مؤسسة الرسالة – لبنان – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
٤٧) العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية – عبد الحميد بن باديس – ت: محمد الصالح رمضان – ط ١ – دار الفتح – الشارقة – الإمارات العربية – ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .
٤٨) الفرق القديمة والمعاصرة في التاريخ الإسلامي – د.محمد حسن بخيت – ط ٢ – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م – مكتبة آفاق للطباعة والنشر والتوزيع .
٤٩) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني – أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي – دار الفكر – بيروت – ١٤١٥هـ –.
٥٠) اللمعة في خصائص الجمعة – جلال الدين عبد الرحمن السيوطي – ت: محمد السعيد بسيوني زغلول – ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
٥١) المستدرك على الصحيحين – محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري – ت: مصطفى عبد القادر عطا – ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

٥٢) المعجم الكبير – سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني – ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي – ط ٢ – مكتبة الزهراء – الموصل – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م .

٥٣) المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار – ت: مجمع اللغة العربية – دار الدعوة .

٥٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض – ط ٢ – ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م .

٥٥) النبوات – أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس – المطبعة السلفية – القاهرة – ١٣٨٦ هـ – .

٥٦) النكت على مقدمة ابن الصلاح – بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر – ت: زين العابدين بن محمد بلا فريج – ط ١ – أضواء السلف – الرياض – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

٥٧) النهاية في غريب الحديث والأثر – أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري – ت: طاهر أحمد الزاوى / محمود محمد الطناحي – المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٥٨) الوجيز في عقيدة السلف الصالح – عبد الله بن عبد الحميد الأثري – مراجعة وتقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – ط ١ – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ١٤٢٢هـ .

٥٩) إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل – محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة – ت: وهبي سليمان غاوجي الألباني – ط ١ – دار السلام للطباعة والنشر – مصر – ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

٦٠) بحوث ندوة: أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو – لـ: مجموعة من العلماء – ط ٢ – وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ١٤٢٥هـ .

٦١) بولس وتحريف المسيحية – هيم ماكبي – ترجمة: سميرة عزمي الزين – منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية .

٦٢) تاج العروس من جواهر القاموس – محمد مرتضى الحسيني الزبيدي – ت: مجموعة من المحققين – دار الهداية .

٦٣) تاريخ أصبهان – أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن مهران المهراني الأصبهاني – ت: سيد كسروي حسن – ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٠ هـ –١٩٩٠م .

٦٤) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – ت: د. عمر عبد السلام تدمري – ط ١ – دار الكتاب العربي – لبنان/ بيروت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٦٥) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد – محمد ناصر الدين الألباني – ط ٤ – المكتب الإسلامي – بيروت .

٦٦) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي – محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا – دار الكتب العلمية – بيروت .

٦٧) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي – عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – ت: عبد الوهاب عبد اللطيف – مكتبة الرياض الحديثة – الرياض .

٦٨) معالم التنزيل – أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي – ت: خالد عبد الرحمن العك – ط ٤ – دار المعرفة – بيروت .

٦٩) تفسير القرآن – أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني – ت: ياسر بن إبراهيم / غنيم بن عباس بن غنيم – ط ١– دار الوطن – السعودية – الرياض – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م – .

٧٠) تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء – سامي بن محمد سلامة – ط ٢ – دار الفكر – بيروت – ١٤٠١هـ .

٧١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل – عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي .

٧٢) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم – محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي الحميدي – ت: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز – ط ١ – مكتبة السنة – القاهرة – مصر – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

٧٣) توجيه النظر إلى أصول الأثر – طاهر الجزائري الدمشقي – ت: عبد الفتاح أبو غدة – ط ١ – مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب – ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

٧٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ت: محمد بن صالح بن عثيمين – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م .

٧٥) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ط ١ – وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية – ١٤٢٢هـ .

٧٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن – محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر – دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥ هـ .

٧٧) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم – زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي – ت: شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس – ط ٧ – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

٧٨) حاشية قليوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين – شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي – ت: مكتب البحوث والدراسات – ط ١ – دار الفكر – لبنان / بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م – .

٧٩) حجة الله البالغة – الإمام أحمد المعروف بشاه ولي الله ابن عبد الرحيم الدهلوي – ت: سيد سابق – دار الكتب الحديثة – مكتبة المثنى – القاهرة – بغداد .

٨٠) رسالة التوحيد – إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي – ط ١ – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية – ١٤١٧هـ .

٨١) رسالة في أسس العقيدة – محمد بن عودة السعوي – ط ١ – وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية – ١٤٢٥ هـ .

٨٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين _ أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي – ط ٢ – المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٥هـ .

٨٣) روضة الناظر وجنة المناظر – عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد – ت: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد – ط ٢ – جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض – ١٣٩٩ هـ .

٨٤) زاد المعاد في هدي خير العباد – محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله – ت: شعيب الأرناؤوط / عبد القادر الأرناؤوط – ط ١٤ – مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية – بيروت – الكويت – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م – .

٨٥) سلسلة الأحاديث الصحيحة – محمد ناصر الدين الألباني – ط ٤ – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م – المكتب الإسلامي – بيروت .

٨٦) سنن ابن ماجه – محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني – ت: محمد فؤاد عبد الباقي – دار الفكر – بيروت .

٨٧) سنن أبي داود – سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي – محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الفكر .

٨٨) شذرات الذهب في أخبار من ذهب – عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي – ت: عبد القادر الأرنؤوط / محمود الأرناؤوط – ط ١ – دار بن كثير – دمشق – ١٤٠٦هـ .

٨٩) شرح العقيدة الواسطية – محمد خليل هراس – ط ١ – الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .

٩٠) شرح المقاصد في علم الكلام – سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني – ط ١ – دار المعارف النعمانية – باكستان – ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
٩١) شرح فتح القدير – كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي – دار الفكر – بيروت – ط ٢ .
٩٢) شرح منتهى الإرادات – منصور بن يونس بن إدريس البهوتي – ط ٢ – عالم الكتب – بيروت – ١٩٩٦ م .
٩٣) شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر – نور الدين أبو الحسن على بن سلطان محمد القاري الهروي – ت: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم – دار الأرقم – لبنان / بيروت .
٩٤) شعب الإيمان – أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٠ هـ – ط ١ – ت: محمد السعيد بسيوني زغلول .
٩٥) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان – محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي – ت: شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م – ط ٢ .
٩٦) صحيح ابن خزيمة – محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري – ت: د. محمد مصطفى الأعظمي – المكتب الإسلامي – بيروت – ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠م .
٩٧) صحيح الترغيب والترهيب – محمد ناصر الدين الألباني – ط ٥ – مكتبة المعارف – الرياض .
٩٨) صحيح الجامع الصغير وزياداته – محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي .
٩٩) صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري – ت: محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت .
١٠٠) صحيح مسلم بشرح النووي – أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٣٩٢ هـ – ط ٢ .
١٠١) طبقات الشافعية – أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة – ت: د. الحافظ عبد العليم خان – ط ١ – عالم الكتب – بيروت – ١٤٠٧ هـ .
١٠٢) طرح التثريب في شرح التقريب – زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي – ت: عبد القادر محمد علي – دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٠م ، ط ٢ .
١٠٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين – محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله – ت: عمر بن محمود أبو عمر – ط ٢ – دار النشر: دار ابن القيم – الدمام – ١٤١٤هـ – ١٩٩٤ م .
١٠٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري – بدر الدين محمود بن أحمد العيني – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١٠٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود – محمد شمس الحق العظيم آبادي – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٩٥م – ط ٢ .
١٠٦) غاية السول في خصائص الرسول ﷺ – أبو حفص عمر بن علي الأنصاري الشهير بابن الملقن – ت: عبد الله بحر الدين عبد الله – دار البشائر الإسلامية – بيروت – ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .
١٠٧) غريب الحديث – أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي – ت: عبد المعطي أمين القلعجي – ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
١٠٨) غمز عيون البصائر شرح كتاب الأشباه والنظائر – زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن بكر المشهور بابن النجيم الحنفي – ت: شرح مولانا السيد أحمد بن محمد الحنفي الحموي – ط ١ – دار الكتب العلمية – لبنان/بيروت – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .
١٠٩) فتاوى السبكي – الامام أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي – دار المعرفة – لبنان/بيروت .
١١٠) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء – أحمد بن عبد الرزاق الدويش – ط ١ – رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الإدارة العامة للطبع – الرياض – ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .
١١١) فتاوى مهمة لعموم الأمة – عبد العزيز بن باز / محمد بن صالح العثيمين – ت: إبراهيم الفارس – ط ١ – دار العاصمة – الرياض – ١٤١٣هـ .
١١٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – ت: محب الدين الخطيب – دار المعرفة – بيروت .
١١٣) فتح المغيث شرح ألفية الحديث – شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي – ط ١ – دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤٠٣هـ .
١١٤) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري – سعيد بن علي بن وهب القحطاني – ط ١ – الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – ١٤٢١هـ .
١١٥) في ظلال القرآن – سيد قطب – ط جديدة – ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م – دار الشروق – القاهرة / بيروت .
١١٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير – عبد الرؤوف المناوي – المكتبة التجارية الكبرى – مصر – ١٣٥٦هـ – ط ١ .
١١٧) قواطع الأدلة في الأصول – أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني – ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٨هـ –

١٩٩٧م .
١١٨) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث – محمد جمال الدين القاسمي – ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .
١١٩) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل – محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي – دار الكتاب العربي – لبنان – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م – ط ٤ .
١٢٠) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس – ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي – ط ٢ – مكتبة ابن تيمية .
١٢١) كمال الدين الإسلامي – عبد الله بن جار الله بن إبراهيم آل جار الله – ط ١ – وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ١٤١٨هـ .
١٢٢) لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري – دار صادر – بيروت – ط ١ .
١٢٣) لسان الميزان – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي – ت: دائرة المعرف النظامية – الهند – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م – ط ٢ .
١٢٤) محبة الرسول بين الاتباع والإبتداع – عبد الرءوف محمد عثمان – ط ١ – رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة – الرياض – ١٤١٤هـ .
١٢٥) مختار الصحاح – محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي – ت: محمود خاطر – مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م – طبعة جديدة .
١٢٦) مختصر إظهار الحق – رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي – ت: محمد أحمد عبد القادر ملكاوي – ط ١ – وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ١٤١٥هـ .
١٢٧) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات – علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد – دار الكتب العلمية – بيروت .
١٢٨) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – علي بن سلطان محمد القاري – ت: جمال عيتاني – ط ١ – دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
١٢٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل – أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني – مؤسسة قرطبة – مصر .
١٣٠) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول – حافظ بن أحمد حكمي – ت: عمر بن محمود أبو عمر – دار ابن القيم – الدمام – ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م – ط ١ .

131) معاني القرآن – النحاس – ت: محمد علي الصـــابوني – ط 1 – جامعـــة أم القـــرى – مكة المكرمة – 1409 هـــ .

132) معجم البلدان – ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله – دار الفكر – بيروت .

133) معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مـــذاهبهم وأخبـــارهم – أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي – ت: عبـــد العلـــيم عبـــد العظـــيم البستوي – ط 1 – مكتبة الدار – المدينة المنورة – السعودية – 1405هـــ – 1985م .

134) معرفة علوم الحديث – أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري – ت: السيد معظم حسين – ط 2 – دار الكتب العلمية – بيروت – 1397هـــ – 1977م .

135) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج – محمد الخطيب الشربيني – دار الفكر – بيروت .

136) مناهل العرفان في علوم القرآن – محمد عبد العظيم الزرقاني – ط 1 – دار الفكر – لبنان – 1416هـــ – 1996م .

137) مَنْهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السُّنَّة والجماعة – عثمان بن علي حسن – ط 3 – 1415هـــ – 1995م – مكتبة الرُّشد – الرياض .

138) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر – جمال الدين أبي الفرج عبـــد الـــرحمن بن الجوزي – ت: محمد عبد الكريم كاظم الراضي – ط 1 – مؤسسة الرسالة – لبنـــان/ بيروت – 1404هـــ – 1984م .

139) نواقض الإيمان القولية والعملية – د.عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف – ط 2 – 1415هـــ – مدار الوطن للنشر – الرياض .

فهرس المحتويات